المكتبة الصوفية

حدائق الحقائق

تأليف

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

شمس الدين الرازي

(ت: ٦٦٠ هـ)

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

حَدَائِقُ الحَقَائِقِ

المكتبة الصوفية



تأليف
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
شمس الدين الرازي
(ت: ٦٦٠ هـ)

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	١٤٧٨٣/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 341 -055 -2



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢١ شارع بورسعيد - الظاهر - القاهرة
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

إهداء

إلى شيخي، وقدوتي، وحبيب قلبي

سليل بيت النبوة، فضيلة الإمام

صلاح الدين التجاني الحسني الحُسيني

ابنك

سعيد عبد الفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

ما زلنا ـ بالرغم من أننا فى عصر التفكير العلمى ـ فى حاجة ماسة لأن ترقى أذواقنا، وترهف مشاعرنا، وتطمئن قلوبنا، وتمتلئ نوراً ويقيناً وهداية، تجتلى معها البصيرة فترى ما لا يراه معدمو الأبصار.

ذلك أن ظروف العصر الذى نعيشه أكَّدت ـ بما لا يدعُ مجالاً للشك ـ أنها نالت من الذوق والمشاعر، وعطلت حركة الأرواح فزادت الحُجُب، وصنعت غلالات ضبابية على شفافية القلوب وطمأنينتها، وبات الإنسان يستشعر الفقد، وسط هذا التقدم العلمى الهائل.

ومما يؤكد ذلك: أن إنسان هذا العصر امتلك من الأدوات، والأجهزة العلمية التى تعينه وتُريحه أعظم مما كان يدور بخلد أصحاب العصور السالفة بكثير جداً، ومع هذا بات أكثر منهم شعوراً بالفقد، وعدم الطمأنينة، وارتفعت الأصوات تشكو، وتلعن الزمن، وهم صانعوه! دون أن تهدأ هذه الأصوات.

وأظن أن إنسان هذا العصر لا يهدأ، ولن يهدأ إلا فى آفاقٍ من الروحانية تُجلِّله وتؤنسه، وتهز وجدانه وتشيع عبق الطمأنينة فى أرجائه، لأنها ملأت المنبع، وهو قلبه.

حينئذ تتيقظ نفسه، وتسمو روحه وتعرُج معراجها الطبيعى كلما هفت لتنال المدد والإلهام، فيضحى الإنسان فى حالة من التيقظ الوجدانى الذى يدفعه إلى جهاد نفسه، وحركة عقله ووعيه؛ فتشدو نفسه بالحياة الحق وتعلق بقيمها وروعتها.

ونحن من خلال سلسلة **(المكتبة الصوفية)** نقدم هذا الكتاب مساهمة فى أن يتعرف القارئ الكريم على الطريق الحقيقى لبلوغ هدفه الرُّوحى، بعد أن يبذل جهداً للتعلق بهذا المدد الروحى الذى يبثه الكتاب خلال أبوابه الستين، والذى يُعد كل باب منه حديقة لإحدى الحقائق، فيكون فى مجمله حدائق للحقائق التى هى معارف ربانية تكشف للنفس زيغها وبهرجها وتضع قدماً ثابتة على طريق النور الروحانى.

وهذا الكتاب من الكتب التى تمتلك ناصية التأليف والتصنيف بتبويبه، وصياغته، وحسن أداء عبارته، ففى كل باب من الأبواب رأى المؤلف أن يجعله مقتصراً على فكرة

واحدة وموضع واحد، هى كلها فى مجملها تؤدى إلى تكامل رؤية، فهو كحبات العقد، تتآلف هذه الحبات لتصنع عقدًا جميلا رائعًا، لجماع أبواب التصوف، كمدرسة شاملة، ومنهج متميز لجماع أبواب الخير.

وقد قمت بعملى فى هذا الكتاب كما ينبغى لمثل هذا العمل الهام، فقمت بضبط النص ضبطًا صحيحًا - فيما أرجو - على نسختين مخطوطتين ونسّقت أبوابه تنسيقًا يتناسب وموضوع الكتاب، ثم خرّجت آياته، وأحاديثه، وأعلامه، وضبطت شعره بالشكل، وقدّمت للكتاب والمؤلف مبينًا أهم ما يميز الكتاب ومؤلفه، ثم أوضحت منهج التأليف ومنهج التحقيق.

ثم قدمت مجموعة كاملة من الفهارس نهاية الكتاب تشتمل على الآتى:

١- فهرس للآيات القرآنية.

٢- فهرس للأحاديث.

٣- فهرس للشعر.

٤- فهرس للأعلام.

٥- فهرس للمراجع.

٦- فهرس للمحتوى الذى يدور حوله الكتاب.

وأخيرًا فإنى أدعو الله العلىّ القدير أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ينفعنى به يوم تزل الأقدام.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

غرّة ربيع الأول ١٤٢١ هـ

٢٤ من مايو ٢٠٠١م

مؤلف الكتاب

هو: محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى (زين الدين) أو (شمس الدين) أو (تاج الدين) أبو عبد الله، لغوى، فقيه، صوفى، مفسر، أديب، أصله من الرِّى، زار مصر والشام، وأقام بقونية.

توفى، رحمه الله، سنة ٦٦٠هـ، وقيل: توفى بعد سنة ٦٦٦هـ.

ترك عدداً من المؤلفات:

١- **أنموذج جليل فى بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل،** ويسمى أيضًا باسم: أسئلة القرآن وأجوبته.

وقد طبع هذا الكتاب طبعتين:

الأولى: سنة ١٣٠٦هـ فى جزئين طبعة القاهرة ـ المطبعة الميمنية.

الثانية: سنة ١٩٦١م فى مجلد واحد ـ القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى. طبعة بعنوان (مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل).

٢- **تحفة الملوك:**

وطبع بعناية شمس الدين حسين أبو على، طبعة العجم ـ فاران ـ طبع حجر، سنة ١٨٩٥م ثم ١٩٠٢م.

٣- **روضة الفصاحة:**

وقد طبع بتحقيق أحمد النادى شعلة ـ القاهرة ـ دار الطباعة المحمدية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤- **كتاب الأمثال والحكم:**

وقد طبع أيضًا بتحقيق عبد الرزاق حسين ـ دار البشير للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥- **لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار:**

وقد طبع باستانبول ـ مطبعة الحاج محرم أفندى النبوى ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م.

٦- **مختار الصِّحَاح:**

وقد طبع طبعات عديدة، وهو معجم لغوى مشهور جداً، أول طبعاته سنة ١٨٨٢م مطبعة وادى النيل، وآخر طبعاته سنة ٢٠٠٠م دار الحديث ـ القاهرة، وبينهما عدة طبعات أخرى.

٧ - مقامات الحنفي:

طبع باستانبول مطبعة أحمد كامل سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

مع كتاب (مقامات ابن ناقيا ـ عبد الله بن محمد بن ناقيا بن داود).

٨ - دقائق الحقائق: لم نقف على إشاراته.

٩ - حدائق الحقائق، وأظنهما كتابا واحدًا، ولم يطبع، وهو الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ.

١٠- كنوز البراعة فى شرح المقامات للحريرى لا يزال مخطوطًا.

١١- هداية الاعتقاد فى شرح بدء الأمالى لا يزال مخطوطًا.

مصادر ترجمة المؤلف:

وقد تحدثت عدد من المصادر عن المؤلف ومؤلفاته، نورد منها هنا ما يلى:

١- كحالة: معجم المؤلفين ٩/ ١١٢.

٢- البغدادى: هدية العارفين ٢/ ١٢٧.

٣- البغدادى: إيضاح المكنون ١/ ٤٧٥

٢/ ٣٨٩

٤- الزركلى: الأعلام ٦/ ٢٧٩.

٥- فهرست الخديوية ١٨٥، ١٨٦، ٤/ ٢٧٥.

٦- د/ محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل للتراث المطبوع ٣/ ٧.

النسخ الخطية للكتاب

اعتمدت فى تحقيقى لهذا الكتاب على نسختين مخطوطتين:

أولا: نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة دار الكتب القومية المصرية تحت رقم (٢١٠ تصوف) ميكروفيلم رقم (٣٣٥٤٢).

وهى نسخة كتبت بخط نسخ عادى، ومعها رسالة أخرى بعنوان (تحفة السفرة إلى حضرة البررة).

احتل الكتاب الأول (حدائق الحقائق) الجزء الأكبر من المجموع من (١ - ٨٨) وتحفة السفرة من (٨٩ - ١٠٣).

وهذه النسخة مسطرتها ١٧ سطراً من ١٠ - ١٢ كلمة.

يتميز الصفحة الأولى للكتاب خاتم دائرى به (وقف يوسف اكاه ابن سليمان شاه سنة ١٢١٠).

تتغير المسطرة أحيانًا لتصير ١٩ سطراً ونفس القلم، ونهاية النسخة لم يسجل عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، انظر الصفحات المرفقة.

ورمزت لها بالرمز (د).

ثانيًا: النسخة الثانية ورمزت لها بالرمز (جـ).

نسخه مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٠٤٢٩) فى ٧٦ ورقة ضمن مجموع أيضًا.

على الورقة الأولى (أ) ديباجة الكتاب، و (ب) فهرس بأبواب الكتاب، والخط فيهما مختلف بأقلام مختلفة، وكلاهما يختلف عن خط نسخ الكتاب، وقد سجلت ديباجة أخرى بهامش الصفحة (أ) من مقدمة الكتاب بخط آخر أيضًا مختلف، مما يدل على تنقل الكتاب فى عدة تملكات.

والكتاب نُسخ بخط فارسى مسطرته ١٧ سطراً، من ١٢ - ١٤ كلمة فى السطر الواحد، تتضح فيه عناوين الأبواب بعض الشىء بخط أكبر قليلا من خط النسخ العادى.

* أحيانا توجد هوامش مقابلة للنسخة، وهوامش أخرى استدراك من المؤلف بنفس الخط، وهوامش تفسيرية أحيانا.

لم يسجل على نهاية الكتاب اسم الناسخ ولا اسم المؤلف ولا تاريخ النسخ، وقد أوردنا بهامش نهاية الكتاب نهايات النسخ.

وأرفقنا صوراً فوتوغرافية لمخطوطات الكتاب، انظرها.

منهج تحقيق الكتاب

بعد أن قمنا بنسخ الكتـاب، وضبطه نصّا ولغةً ومقابلةً ضبطـنا أشعار الكتاب، وأوردنا بعض ما يشكل من ذلك فى الهـامش، والنسختان اللـتان اعتمدنا عـليهما همـا: نسخة دار الكتب، كما أوردت سلفًا، ونسخة مكتبة جامعة القاهرة.

ولكل نسـخة منهمـا بعض الإشارات الخـاصة، ضـبطت عليهـما نص الكتـاب بحيث أكملت النقص هنا من هناك، والعكس، وإذا وجدت أمـرًا لم أرتح إليه أوردت إشارته فى الهامش، وقد أشرت إلى كل ذلك بالهامش.

ثم قمت بتخريج الآيات، والأحاديث، والضبط للشعر، وخرّجت الأعلام من مظانها، إلاّ قليل، بل ونادر، لم أقف عليـه، وأوردت نهاية الكتـاب مجمـوعة من الفـهارس على النحو التالى:

١- فهرس للآيات القرآنية.

٢- فهرس للآحاديث.

٣- فهرس للأشعار.

٤- فهرس للأعلام.

٥- فهرس للمراجع التى اعتمد عليها فى التحقيق.

٦- فهرس لمحتوى الكتاب.

وبعد هذا الجهد، الذى أرجو أن يتقبله الله خالصًا لوجهه، أرجو أن أكون قد وفقت.

المحقق

صور ونماذج
لمخطوطات الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

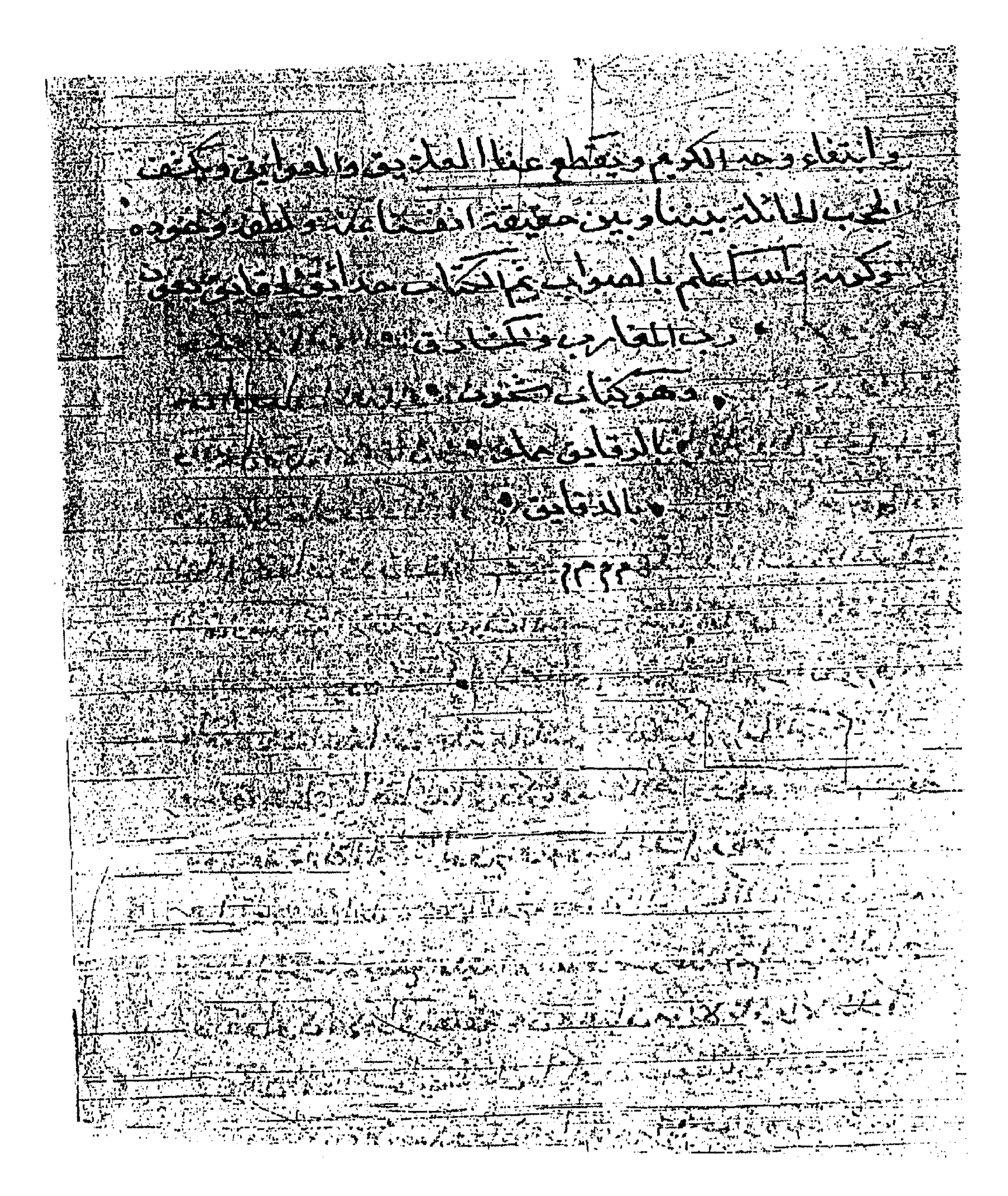
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه
محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام المتقين صلوة
دائمة الى يوم الدين قال العبد الضعيف الفقير الى رحمة ربه المعترف
بخطيئته وذنبه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي عفى
الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين بمنه وفضله انه غفور
رحيم هذا مختصر جمعته من كتاب الله تعالى وسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وآثار صحابته وكلمات العارفين الذين
هم ارباب الطريقة واصحاب الحقيقة واولئك السالكين واهله
الناسكين وخلف الماضين الذين لم يعدلوا عن جادة الدين
واتباع سنن المرسلين اعاد الله علينا بركة انفاسهم وسقينا
رحيق محبته بكاسهم ووفقنا لاتباعهم قولا وفعلا وحشرهم
وإيانا في حضرة قربه بالمحل الاعلى وسميته حدائق الحقائق

وجعلت

الصفحة (١) من الورقة الأولى من المخطوط (د)

وجعلته ستين بابا الباب الأول في التوبة الباب الثاني في المجاهدة
الباب الثالث في العزلة الباب الرابع في الخلوة الباب الخامس
في مخالفة النفس الباب السادس في الحسد الباب السابع في الغيبة
الباب الثامن في الدنيا الباب التاسع في الأمل الباب العاشر
في الصمت الباب الحادي عشر في التفكر الباب الثاني عشر في الفقر
الثالث عشر في الخوف الرابع عشر في الرجاء الخامس عشر في الحزن
السادس عشر في البكاء السابع عشر في الجوع الثامن عشر في القناعة
التاسع عشر في التوكل العشرين في الدعاء الحادي والعشرين
في الصبر الثاني والعشرين في الرضا الثالث والعشرون في
التسليم والتفويض الرابع والعشرون في التقوى والخامس والعشرون
في الزهد السادس والعشرون في الورع السابع والعشرون
في اليقين الثامن والعشرون في الاخلاص التاسع والعشرون في
العبودية الثلاثين في الحرية الحادي والثلاثين في الفتوة الثاني
والثلاثين في الجود والسخاء الثالث والثلاثين في الصدق
الرابع والثلاثين في الحياء الخامس والثلاثين في الخشوع
والسادس في التواضع السابع في الأدب والثامن في التصوف
في الخلق التاسع في الذكر والأربعين في السفر الحادي في الشكر

الصفحة (ب) من الورقة الأولى من المخطوط (د)



وابتغاء وجه الكريم ويقطع عنا العلائق والعوائق ويكشف
الحجب الحائلة بيننا وبين حقيقة اذ فينا عليه ولطفه وجوده
وكرمه والله اعلم بالصواب تم الكتاب بحمد الله [illegible]
رجب الفارد وكتب في [illegible]
وهو كتاب [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوط (د)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
وأصحابه الكرام المتقدمين صلاة دائمة إلى يوم الدين الكتاب الأول
في التوبة التوبة في اللغة الرجوع عن الذنوب وكذلك التوب
قال الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب وقيل التوب جمع توبة
والتوبة في الشرع الرجوع عن الأفعال والأقوال المذمومة
إلى المحمودة وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء أما الوجوب
فلقوله تعالى وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون وأما الفور فلما
في تأخيرها من الإصرار المحرم وأما الإنابة فهي قريبة
من التوبة لغة وشرعًا والتوبة عند أهل الحقيقة الندم على
ما مضى والدوام على الاستقامة من التوبة وقيل الندم على ما
فات وإصلاح ما هو آت وقيل التوبة ترك التسويف و
ترك المماطلة وقال بعضهم التوبة أن ترجع عن كل شيء سوى
الله عز وجل وتقطع كل علاقة بينك وبين غيره كما قال الله تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه
أحدًا وروي أن رجلًا جاء إلى النبي عليه السلام فقال له إني أتصدق
بالصدقة فألتمس بها وجه الله وأحب أن يقال في خير فنزلت هذه الآية

الصفحة (١) من الورقة الثانية من المخطوط (ج)

وقال ذو النون رحمه الله عليه حقيقة التوبة ان تضيق عليك الارض
بما رحبت وتضيق عليك نفسك وتظن ان لا ملجا من الله الا اليه
كما قال الله تعالى وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب
عليهم وسيل عن السري عن التوبة فقال ان تنسى ذنبك وسيل عن
الجنيد فقال ان لا تنسى ذنبك وكلا هما صحيح لان السري اراد توبة
الخواص فانهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة
الله ودوام ذكره والجنيد اراد توبة العوام في ابتداء السلوك
وقيل التوبة ثلث توبة من الذلات وهي توبة العوام وتوبة
من الغفلات وهي توبة الخواص وتوبة من رؤية الحسنات
وهي توبة خواص الخواص وقيل من تاب خوفا من العقاب
فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة
ومن تاب مراعاة للامر لا خوفا ولا طمعا فهو صاحب اوبة
وقيل التوبة صفة المومنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها
المومنون والانابة صفة الاوليا والمقربين قال الله تعالى وجاء
بقلب منيب والاوبة صفة الانبيا والمرسلين قال الله تعالى في ايوب

الصفحة (ب) من الورقة الثانية من المخطوط (جـ)

ان ينفعنا بالعلم ويوفقنا للعمل به ويرزقنا في العلم والعمل و
الصدق والاخلاص وابتغاء وجهه الكريم
ويقطع عنا العلايق والعوايق
ويكشف الحجب الحايلة
بيننا
وبين حقيقة معرفته انفسنا بمنه ولطفه وجوده وكرمه الحمد لله رب
العالمين وصلواته على خير خلقه محمد واله اجمعين برحمتك
يا ارحم الراحمين تم بعون الله

وفاة مشورا ابي حنيفة رحمة الله عليه
ببغداد في رجب سنة خمسين ومائة
وهو يومئذ ابن سبعين سنة وتو
القاضي ابو يوسف رحمه الله عليه في
اثنين وثمانين ومائة ووفاة مح
محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله
في سنة تسع وثمانين ومائة و
ثمان وخمسين سنة

الصفحة الأخيرة من المخطوط (جـ)

مقدمة المؤلف(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام المتقدمين، صلاةً دائمة إلى يوم الدين[١].

قال العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه الخبير، المعترف بخطيئته وذنبه: «محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى» عفا[٢] الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين بمنّه وفضله، إنه عفوٌ غفور[٣]:

هذا مختصر جمعته من كتاب الله تعالى، وسنّة رسول الله ﷺ، وآثار صحابته، ﷺ، وكلمات العارفين، الذين هم أرباب الطريقة، وأصحاب الحقيقة، وأدلة السالكين، وأهلة الناسكين، والسلف الماضين الذين لم يعدلوا عن جادة الدين واتباع سنن المرسلين، أعاد الله علينا بركة أنفاسهم، وسقانا رحيق محبته بكأسهم، ووفقنا لاتباعهم قولا وفعلا، وخصّهم وإيّانا من حضرة قربه بالمحل الأعلى، وسميته:

«حدائق الحقائق»

وجعلته ستين بابًا[٤].

(*) من المحقق.

(١) فى النسخة (جـ) وضعت هنا إشارة استدراك، واستكمل بقية التقديم على هامش النسخة بخط مختلف تمامًا، مما يدل على أنه مقابلة استدركت السقط بالنسخة.

(٢) فى (جـ) ، (د): (عفى).

(٣) فى النسخة (د): (غفور رحيم).

(٤) إلى هنا انتهى السقط فى النسخة (جـ) وعلى أول ورقة (أ) من المخطوط (جـ) أضاف الناسخ بخط مغاير لخط النسخة هذا السقط وقال: (هذا ديباجة حدائق الحقائق) تم المقابل لها (ب) فهرس الأبواب.

فهرس الأبواب(*):

الباب الأول: فى التوبة.
الباب الثانى: فى المجاهدة.
الباب الثالث: فى العزلة[١] والخلوة.
الباب الرابع: فى مخالفة النفس.
الباب الخامس: فى الحسد.
الباب السادس: فى الغيبة.
الباب السابع: فى الدنيا.
الباب الثامن: فى الأمل.
الباب التاسع: فى الصمت.
الباب العاشر: فى التفكر.
الباب الحادى عشر: فى الفقر.
الباب الثانى عشر: فى الخوف.
الباب الثالث عشر: فى الرجاء.
الباب الرابع عشر: فى الحزن.
الباب الخامس عشر: فى البكاء.
الباب السادس عشر: فى الجوع.
الباب السابع عشر: فى القناعة.
الباب الثامن عشر: فى التوكُّل.

(*) هذا الفهرس وضع بنسقه فى النسخة (د) وترتيبه طبيعى، كما ذكرنا هنا، أمَّا فى النسخة (جـ) فجاء على النحو التالى: (هذا كتاب حدائق الحقائق ـ فهرس الأبواب) ثم ذكر كل باب وقال: فى التوبة، فى المجاهدة، فى العزلة، فى مخالفة النفس... إلخ.
وضع أسفل كل باب الرقم العددى، لا اللفظى.
وهناك اضطراب كثير فى هذه الأرقام.
ثم فى النهاية قال: فيكون مجموع الأبوب تسعة وخمسين بابًا.

(١) فى (جـ) (العزلة) فقط لم يذكر الخلوة.
وفى (د) (الباب الثالث فى العزلة) (والباب الرابع فى الخلوة) هكذا فى الفهرس ثم داخل الكتاب جعلهما بابًا واحدًا، هو الباب الثالث فقط.

الباب التاسع عشر: فى البلاء.
الباب العشرون: فى الصبر.
الباب الحادى والعشرون: فى الرضى.
الباب الثانى والعشرون: فى التسليم.
الباب الثالث والعشرون: فى التقوى.
الباب الرابع والعشرون: فى الزهد.
الباب الخامس والعشرون: فى الورع.
الباب السادس والعشرون: فى اليقين.
الباب السابع والعشرون: فى الإخلاص.
الباب الثامن والعشرون: فى العبودية.
الباب التاسع والعشرون: فى الحرية.
الباب الثلاثون: فى الفتوة.
الباب الحادى والثلاثون: فى الجود والسخاء.
الباب الثانى والثلاثون: فى الصدق.
الباب الثالث والثلاثون: فى الحياء.
الباب الرابع والثلاثون: فى الخشوع والتواضع.
الباب الخامس والثلاثون: فى الأدب.
الباب السادس والثلاثون: فى التصوف.
الباب السابع والثلاثون: فى الخُلُق.
الباب الثامن والثلاثون: فى السفر.
الباب التاسع والثلاثون: فى الذكر.
الباب الأربعون: فى الشكر.
الباب الحادى والأربعون: فى الدعاء.
الباب الثانى والأربعون: فى الإرادة.
الباب الثالث والأربعون: فى التوحيد.
الباب الرابع والأربعون: فى المراقبة.
الباب الخامس والأربعون: فى الاستقامة.
الباب السادس والأربعون: فى الولاية.

الباب السابع والأربعون: فى المعرفة.
الباب الثامن والأربعون: فى الصحبة.
الباب التاسع والأربعون: فى المحبة.
الباب الخمسون: فى الغيرة.
الباب الحادى والخمسون: فى الشوق.
الباب الثانى والخمسون: فى السماع.
الباب الثالث والخمسون: فى معرفة النفس، والروح، والقلب.
الباب الرابع والخمسون: فى الفراسة.
الباب الخامس والخمسون: فى كرامات الأولياء.
الباب السادس والخمسون: فى المنامات(١).
الباب السابع والخمسون: فى أحوال أهل الحقيقة عند الموت.
الباب الثامن والخمسون: فى حفظ قلوب المشايخ، وترك مخالفتهم.
الباب التاسع والخمسون: فى وصية المريدين(٢).
الباب الستون: فى ألفاظ أهل الحقيقة واصطلاحاتهم.

(١) فى (جـ): (٥٨) وسماه: (رؤية القوم).
(٢) فى (جـ): (وصية المريد) والرقم مضطرب كما تحدثت عن ترتيب الأرقام.

الباب الأول

فى التـــوبة

التوبة[١] فى اللغة: الرجوع عن الذنوب.

وكذلك التوب.

قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[٢].

وقيل: التوب: جمع توبة.

والتوبة فى الشرع: الرجوع عن الأفعال والأقوال المذمومة إلى المحمودة.

وهى واجبة على الفور[٣]، عند عامة العلماء.

* أمَّا الوجوب[٤] فلقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥].

* وأمَّا الفورية[٦]: فَلِمَا فى تأخيرها من الإصرار[٧] على المحرم.

* وأمَّا الإنابة: فهى قريبة من التوبة لغةً وشرعًا.

والتوبة عند أهل الحقيقة: الندم على ما مضى، والدوام على ما استقام[٨] من التوبة.

وقيل: الندم على ما فات، وإصلاح ما هو آت.

---

(١) فى هامش النسخة (جـ) بخط مختلف كتب: لعله لا تكمل توبته ما لم يرض خصماؤه بقدر الإمكان.

(٢) الآية رقم (٣) من سورة غافر.

(٣) فى هامش النسخة (جـ) بخط مختلف كتب مفسرا. (أى: فى الحال).

(٤) فى الهامش: أى: بيان الوجوب.

(٥) الآية رقم (٣١) من سورة النور.

(٦) فى (جـ): (وأمَّا الفور) وفى هامش (د): أى: بيان الفورية).

(٧) انظر حديث النبى ﷺ: «ما أصرَّ من استغفر، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» رواه أبو داود والترمذى عن أبى بكر ﷺ.

وقوله ﷺ: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار».

رواه أبو الشيخ والديلمى عن ابن عباس ﷺ.

(٨) فى النسخة (د): (على ما صفى).

وقيل: التوبة: ترك التسويف [وترك المماطلة][(١)].

وقال بعضهم: التوبة: أن ترجع عن كل شيء سوى الله، عز وجل، وتقطع كل علاقة بينك وبين غيره.

كما قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[(٢)].

وروى: (أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ) فقال له: إنى أتصدق بالصدقة فألتمس بها وجه الله، وأحب أن يقال فىَّ خير»[(٣)] فنزلت هذه الآية.

وقال ذو النون[(٤)]، رحمه الله: حقيقة التوبة: أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك، وتظن أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليه.

كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(٥)].

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د). (٢) الآية رقم (١١٠) من سورة الكهف.

(٣) حديث: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ...» أخرجه هناد فى الزهد، عن مجاهد رضي الله عنه، وانظر الامام السيوطى: (الدر المنثور) ٥/ ٤٦٩.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن عباس رضي الله عنه فى قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية، قال: نزلت فى المشركين الذين عبدوا مع الله إلهًا غيره، وليست هذه فى المؤمنين، وعندنا أنها تصح فى كل هذا، ويغيره أيضًا.

(٤) (ذو النون) هو: أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم، الإخميمى، المصرى، الملقب بـ (ذى النون) كان نوبيًا، توفى، رحمه الله، على أرجح التقديرات سنة ٢٤٨هـ روى الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طريق (الليث بن سعد) وغيره، مثل حديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وسئل ذو النون (ما أخفى الحجاب وأشدَّه؟) قال: «رؤية النفس وتدبيرها».

انظر فى ترجمته: الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى، لابن عربى، بتحقيقنا، أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/ ٢٣١، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٨١، الرسالة القشيرية ١٠، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ٢٨٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٠٧، السلمى: طبقات الصوفية ١٥، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٣٤٧، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٤٠٠.

النبهانى: جامع كرامات الأولياء ١/ ٦٢٣، وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى أنه توفى ٢٤٥هـ، انظر: النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٠.

(٥) الآية رقم (١١٨) من سورة التوبة.

وسُئِل السَّرِى[١] عن التوبة فقال: أن تنسى ذنبك.
وسُئِل الجنيد[٢] فقال: أن لا تنسى ذنبك.

= والثلاثة الذين ذكرتهم الآية هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة؛ وكلهم من الأنصار.

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: لمـا نزل رسول الله ﷺ بذى أوان، خرج عامة المنافقين الذين كانوا تخلفوا عنه يتلقونه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تُكلمُنَّ رجلاً تخلّف عنا، ولا تجالسوه حتى آذن لكم» فلم يكلموهم.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه الذين تخلفوا يسلمون عليه، فأعرض عنهم، وأعرض المؤمنون عنهم، حتى إن الرجل ليعرض عنه أخوه وأبوه وعمه، فجعلوا يأتون رسول الله ﷺ ويعتذرون بالجهد والأسقام، فرحمهم رسول الله ﷺ فبايعهم واستغفر لهم.

وكان الذين ذكرناهم سلفًا.

انظر: الإمام السيوطى: الدر المنثور ٤/ ٣٠٩، ٣١٠.

(١) السَّرِى) هو السَّرِىُّ بنُ المُغَلِّس السَّقَطِىُّ (كُنيته: أبو الحسن) يُقال: إنه خال الإمامَ الجنيد، وأستاذه.

صحب معروفا الكرخى، وهو أول من تكلم ببغداد فى لسان التوحيد، وحقائق الأحوال، وهو إمام البغداديين وشيخهم فى وقته - مات، رحمه الله، سنة ٢٥١هـ، أسند الحديث.

كان يقول: «كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنّه، وعلم يستعمله».

ويقول: «اللهمّ ما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب».

انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، السلمى: طبقات الصوفية ٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٢٧، القشيرى: الرسالة ١٢، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٠٩، الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ٨٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٤١٦، النبهانى: جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١، الجامى: نفحات الأنس ١٥٥.

(٢) الجُنَيدُ) هو: الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزّاز، كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريرى، أصله من نهاوند، بلدة بينها وبين همذان ثلاثة أيام، مولده ونشأته بالعراق، كان فقيهًا وعالمًا، تفقّه على أبى ثور، وكان يفتى فى حلقته، صحب السرى السقطى، وهو خاله، والحارث المحاسبى، وغيرهما من الأئمة، توفى، رحمه الله، سنة ٢٩٧هـ.

كان يقول: «إن الله تعالى يخلِّص إلى القلوب من بِرّه، حسب ما خلصت القلوبُ به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك».

أنظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، الجامى: نفحات الأنس ٢٥٦، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٣٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١١٣، السلمى: طبقات الصوفية ١٥٥، =

وكلاهما[(١)] صحيح، لأن السَّرى أراد توبة الخواص، فإنهم لا يذكرون ذنوبهم، مما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره.

والجنيد أراد توبة العوام فى ابتداء السلوك.

وقيل: التوبة ثلاث:

توبة من الزلات، وهى[(٢)] توبة العوام.

وتوبة من الغفلات، وهى توبة الخواص.

وتوبة من رؤية الحسنات، وهى توبة خراص الخواص[(٣)].

وقيل: من تاب خوفًا من العقاب فهو صاحب توبة.

ومن تاب طمعًا فى الثواب فهو صاحب إنابة.

ومن تاب مراعاة للأمر، لا خوفًا ولا طمعًا، فهو صاحب أوبة[(٤)].

وقيل: التوبة صفة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[(٥)].

والإنابة: صفة الأولياء والمقربين، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[(٦)].

والأوبة: صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى فى حق أيوب، عليه السلام: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[(٧)].

[[(٨)] وأظهر الأقوال أن التوبة على قسمين:

توبة العوام: وهى الرجوع عن المعاصى إلى الطاعات بترك الدنيا وطلب الآخرة.

= الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٩٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٢٨، النبهانى: جامع كرامات الأولياء ٢/ ١١.

(١) فى النسخة (جـ) (وكلاهما صحيح).

(٢) فى النسخة (جـ) (كناية) هامش أصغر أعلى الكلمة.

(٣) أورد صاحب الرسالة: «سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول: سمعت عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول: شتَّان ما بين تائب يتوب من الزلاَّت، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات».

انظر الرسالة القشيرية ص ٥١.

(٤) انظر ما قاله أبو على الدقاق، الرسالة القشيرية ص ٥٠.

(٥) الآية رقم (٣١) من سورة النور. (٦) الآية رقم (٣٣) من سورة ق.

(٧) الآية رقم (٤٤) من سورة ص.

(٨) ابتداء من هذه المعقوفة وحتى نهاية الباب سقط من النسخة (جـ) ودخل فى الباب الثانى مباشرة =

وتوبة الخواص: وهي الرجوع عن طلب الآخرة والـجنة ونعيمها إلى عـبادة الله تعالى لذاته المقدسة لا طمعًا في الثواب، ولا خوفًـا من العقاب، ولهذا كانت توبةُ العوام ذنبًا(١) من ذنوب الخواص، كما قال النبي ﷺ: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»(٢).

ثم الخواص على قسمين: العارفون، والمقربون، والمقربون: خواص الخواص.

ونسبة العارفين إلى المقربين كنسبة المبتدئين في السلوك إلى العارفين.

ثم اعلم أن القسم الأول من قسمي التوبة هو أول منازل السالكين ومقامات الطالبين، وقد حثَّ الله تعالى في التوبة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾(٣).

وروى: أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنب»(٤) ثم تلا هذه الآية.

والمعنى أن الله تعالى إذا أحب العبد وفّقـه للتوبة فيتوب، فلا يضره الذنب [الذي](٥) صدر منه قبل التوبة.

وحث عليها النبي ﷺ أيضًا فقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»(٦).

= (المجاهدة) ثم أثناء باب المجاهدة تكلم مرة أخرى عن التوبة، واتضح أنه النقص الذي كان هنا، حدث ترحيل في عين الناسخ دون أن يدري. المحقق.

(١) في (د) (ذنب).

(٢) (حسنات الأبرار سـيئـات المقربين) قـال العجلوني في كـشف الخفاء: هو مـن كلام أبي سعـيد الخراز، كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية، مات، رحمه الله، سنة ٢٨٠هـ، وعدّه بعضهم حديثًا، وليس كذلك، وقال النجم: رواه ابن عساكر أيضًا عن أبي سعيد الخرّاز من قوله، وحُكي عن ذي النون المصري.

وعزاه الزركشي في لقطته للجنيد، وقال شيخ الإسلام في شرحها: الفرق بين الأبرار والمقربين أن المقربين هم الذيـن أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم، واستعملوا فـي القيام بحقوق مـولاهم عبودية وطلبًا لرضاه، وأن الأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وإراداتهم، وأقيـموا في الأعمال الصالحة، ومقـامات اليقـين، ليجزوا على مـجاهدتهم برفع الدرجات. انـظر العجلوني: كشف الخـفاء ١/ ٣٥٦/ ١١٣٧.

(٣) الآية رقم (٢٢٢) من سورة البقرة.

(٤) حديث: «إن الله إذا أحب عبدا لم يضره ذنب».

ذكره العجلوني في كشف الخفاء، وقال: أورده الديلمي، وابن النجار، والقشيري في الرسالة، عن أنس، على أنه زيادة لحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

انظر: العجلوني: كشف الخفاء ١/ ٢٩٦ حديث رقم (٩٤٤) والسيوطي: الدر المنثور ١/ ٦٢٦.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) حديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». =

وقال ﷺ : «ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب»[(١)].

وشروط التوبة عند أهل السنة والجماعة ثلاثة:

* الندم على ما فات.

* والترك فى الحال.

* والعزم على ألا يعود إلى مثل ذلك فى المستقبل.

وأمَّا قوله ﷺ : «الندم توبة»[(٢)]، فمعناه: معظم أركانها، أو معظم شروطها، كقوله ﷺ : «الحج عرفة»[(٣)].

= انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث (١٠٦٦٧).
وقال: رواه ابن ماجه عن ابن مسعود، والحكيم عن أبى سعيد رضي الله عنه.
وفى الحديث رقم (١٠٦٦٨) أورده بزيادة: ذكره النبى فقال: ـ«التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب» انظر تخريج الحديث السابق.
أمَّا الحديث رقم (١٠٦٦٩) ففيه: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه، ومن آذى مسلمًا كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل».
وقال: رواه البيهقى فى الشعب، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما.
انظر: جامع الأحاديث ٣/ ٦٥١ الأرقام المبينة عالية.
وانظر: الدُّر المأثور للسيوطى ١/ ٦٢٦، وانظر: العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٢٩٦.

(١) حديث: «ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، وقال: رواه أبو المظفر السمعانى فى أماليه عن سلمان رضي الله عنه، الحديث رقم (١٨٨٠٢) ٥/ ٥٨٤ من جامع الأحاديث.
وانظر الحديث رقم (١٩٤٢٧) وقال: رواه الديلمى عن أنس رضي الله عنه، ٥/ ٧٠٨.

(٢) حديث: «الندم توبة».
رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام البخارى فى التاريخ، والإمام ابن ماجه فى سننه، والإمام الحاكم فى المستدرك، كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه.
ورواه الحاكم أيضًا، والبيهقى فى الشعب، كلاهما عن أنس، رضي الله عنه، الحديث رقم (٢٣٩٩٤) و (٢٣٩٩٥) والأخير بزيادة: «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».
وقال: رواه الطبرانى، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى سعيد الأنصارى، رضي الله عنه.
وانظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ٣١٥ حديث رقم (٢٨٠١).
وانظر: الإمام صلاح الدين التجانى: (جوامع الكلم) حديث رقم (٢٦٠٩) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة التراث).

(٣) حديث: «الحج عرفة» رواه الإمام أحمد، وأصحاب السُّنن، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.
=

وقال بعض الناس: إنه مجرى على ظاهره، وأن الندم كل التوبة، والركنان الباقيان يتبعانه فى الوجود لا محالة؛ إذا كان ندمًا صادقًا.

وقال بعضهم: شروط التوبة ثمانية:

الثلاثة المذكورة.

* والرابع: أداء مظالم العباد وحقوقهم.

* والخامس: قضاء ما فوّت من واجبات الله تعالى.

* والسادس: إذابة كل لحم وشحم نبت من الحرام، بالرياضة والمجاهدة.

* والسابع: إصلاح المأكول، والمشروب، والملبوس، بجعلها من جهة حلال.

* والثامن: تطهير القلب من الغلّ والغش، والكبر، والحسد، والحقد، وطول الأمل، ونسيان الأجل، وما أشبه ذلك.

وأمّا التوبة النصوح فهى: التوبة البالغة فى النصح.

وقيل: هى أن يتوب ثم لا يعود إلى ما تاب عنه أبدًا.

وقال «يحيى بن معاذ»[1]: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلّة قبل التوبة.

وقال «ذو النون»[2] رحمة الله عليه: الاستغفار من الذنب من غير الإقلاع عنه توبة

= وقال الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم من الصحابة وغيرهم.

وكذا رواه الدارقطنى، والبيهقى، كلهم عن عبد الرحمن بن يعمر الديلمى.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٣٥١ حديث رقم (١١١٥) والسيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١١٣٦٦) ٤/ ١٤.

وانظر: الإمام صلاح الدين التجانى: (جوامع الكلم) حديث رقم (١١٤٤) ص ١٥٦.

(سلسلة التراث) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

(١) (يحيى بن معاذ) بن جعفر، الرازى الواعظ.

تكلم فى علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه، مات رضي الله عنه بنيسابور سنة ٢٥٨هـ، روى الحديث، كنيته أبو زكريا، وكان يقول: «من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وُكّلِ إلى المخلوقين».

انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٥١، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ٧١، الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ٩٤، الرسالة القشيرية ٢١، السلمى: طبقات الصوفية ١٠٧، ابن العماد، شذرات الذهب ٢/ ١٣٨، الجامى: نفحات الأنس ١٦٦، الهجويرى: كشف المحجوب ١٢٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣١، البغدادى: هدية العارفين ٢/ ٥١٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٤٩٦.

(٢) تقدمت ترجمته.

الكذابين، ومن تاب ثم لم ينقض توبته فهو من السعداء، وإن نقضها مرة أو مرتين ثم جددها، فإنه يُرجى له أيضًا من الثبات عليها، فإن لكل أجل كتابًا.

وحُكِيَ عن «أبى حفص الحداد»(١) أنه قال: تركت الضيعة كذا مرةً، ثم عدت إليها، ثم تركتها، ولم أعد إليها.

وقال الشيخ «أبو على الدقاق»(٢) رحمه الله عليه: تاب بعض المريدين ثم ترك التوبة، ففكر يومًا أنه لو عاد إلى التوبة هل يقبل منه ذلك أو لا يقبل؟ فهتف به هاتف:

يا فلان، أطعتنا فشكرناك، ثم تركتنا فأمهلناك، ولو عُدْت إلينا قبلناك.

فعاد المريد إلى التوبة، وبلغ المقصود.

وأول ما يبدأ به التائب بعد التوبة:

* إسقاط مظالم العباد وحقوقهم عن ذمته بالإبراء، أو بالأداء، فإن عجز عن ذلك يكون أبدًا عازمًا على إيصال ذلك الحق إلى مستحقيه، متى قدر عليه.

ولا يزال يدعو لصاحب الحق إلى أن يوفيه حقه أو يبرئه منه صاحبه، ثم يلتزم(٣) الاعتزال عن الناس والانقطاع إلى الله، ليتفرغ لقضاء حقوق الله الفائتة، والندم والبكاء على ما فرَّط فى جنب الله، وعلى ما ضيَّع فيه شبابه وصحته.

---

(١) (أبو حفص الحداد) النيسابورى، واسمه عمرو بن سلمة، وكان من أهل قرية يقال لها: كورداباذ، من قرى نيسابور، وهو شيخ الملامتية فى عصره، كان شيخ أبا عثمان الحيرى، وشاه بن شجاع الكرمانى، وغيرهم، توفى، رحمه الله، سنة ٢٦٤هـ.

كان يقول: «حُسْن أدب الظاهر عنوان حُسْن أدب الباطن».

انظر ترجمته: الجامى: نفحات الأنس ١٧٨، السلمى: طبقات الصوفية ١١٦، أبو نعيم: حلية الأولياء: ١٠/ ٢٢٩، الرسالة القشيرية: ٢٢، الهجويرى: كشف المحجوب ١٢٣، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣/ ٦٦، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ٩٨.

(٢) الشيخ (أبو على الدقاق) هو الحسن بن على، الأستاذ أبو على الدقاق، النيسابورى، الشافعى، لسان وقته، وإمام عصره، كان فارهًا فى العلم، مبسوطا فى الحلم.

كان يقول: «الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد قد يورق، ولكنه لا يثمر، ومريد بلا أستاذ لا يجىء منه شىء».

مات، وحمه الله، سنة خمس، أو ست وأربعمائة هجرية.

انظر ترجمته: المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٦٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ١٨٠، كحالة: معجم المؤلفين ٣/ ٢٦١.

(٣) فى (د) (ثم يلزمه).

واعلم أنه لا ينبغى للعصاة والمذنبين أن ييأسوا من رحمة الله تعالى فى قبول توبتهم وحوبتهم[1] وإن كثرت ذنوبهم وعظمت، وتكرر منه نقض التوبة والإصرار على الكبائر، فإن ذلك غلط عظيم، وسبب لفوات التوبة والبقاء فى الذنوب أبدًا، بل ينبغى إذا عرضت لهم مثل هذه الحال أن يعلموا أن ذلك من كيد الشيطان ومكره فى منع الإنسان عن التوبة، وإبقائه مصرًا على الذنب مدة حياته نعوذ بالله من ذلك، وعلاج ذلك الداء إذا حصل أن يتدبر العصاة قوله تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[4].

ونظير ذلك كثيرة جدًا فى القرآن الكريم.

ورُوِى عن «عبد الله بن عباس»[5] أنه قال: آيتان فى كتاب الله تعالى ما أصاب عبد ذنبًا فقرأهما ثم يستغفر الله تعالى إلاّ غفر الله له:

إحداهما: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[6].

والأخرى: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾[7] الآيتين.

واعلم أن التوبة أصل هذا الطريق وأساسه فمتى صحت التوبة وخلصت لله صح ما بنى عليها وأتم، ومتى فسدت باختلال بعض شروطها، أو بأن يشوبه شىء من الأغراض الدنيوية كطلب السمعة والشهرة واجتذاب قلوب الناس، وما أشبه ذلك، كان البناء كالبناء على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم، نعوذ بالله من ذلك.

فهذا هو القول فى التوبة جملة وتفصيلاً.

---

(١) غير واضحة، ومصححه بالهامش.

(٢) الآية رقم (٨٧) من سورة يوسف.

(٣) الآية رقم (٥٣) من سورة الزمر.

(٤) الاية رقم (١١٦) من سورة النساء.

(٥) (عبد الله بن عباس) هو: أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، القرشى الهاشمى، الحبر، البحر، الصحابى الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ، وأبو الخلفاء العباسيين، قال عنه الرسول ﷺ: «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن». توفى، رضي الله عنه، بالطائف بعد أن كُفَّ بصره، فى آخر عمره، سنة ٦٨هـ، له فى الصحيحين ١٦٦٠ حديثًا.

انظر ترجمته: ابن قنفد القسنطينى: الوفيات ٧٦، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٧٥، ابن حجر: الإصابة ترجمة رقم (٤٧٧٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٣١٤.

(٦) الآية رقم (١٣٥) من سورة آل عمران.

(٧) الآية رقم (١١٠) من سورة النساء.

الباب الثانى

فى المجاهدة

المجاهدة فى اللغة: المحاربة.

وفى الشرع: محاربة[١] أعداء الله تعالى.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: محاربة النفس الأمَّارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب شرعًا.

وقال بعضهم: المجاهدة: مخالفة النفس.

وقال بعضهم: المجاهدة: منع النفس عن المألوفات.

والمجاهدة على قسمين:

* مجاهدة العوام: وهى توفية الأعمال[٢].

* [مجاهدة الخواص][٣]: وهى تصفية الأحوال، فإن مقاساة الجوع والسهر سهل يسير بالنسبة إلى تبديل الأخلاق المذمومة بالمحمودة.

* والمجاهدة فى الله تعالى من أعظم أسباب الوصول إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤].

قيل: معناه: من اجتهد فى عملٍ لله تعالى زاده الله هداية على هدايته.

وقيل: معناه: والذين اجتهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفقنهم لذلك.

وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله»[٥].

---

(١) فى النسخة (د) (المحاربة من أعداء الله). (٢) كتب على هامش أسفل السطر فى النسخة (جـ).

(٣) فى (جـ): (مجاهدة العوام والخواص). (٤) الآية رقم (٦٩) من سورة العنكبوت.

(٥) حديث: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله».

رواه أحمد والطبرانى والقضاعى عن فضالة بن عبيد مرفوعًا، وفى الباب عن جابر وعقبة بن عامر.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ١٩٩ حديث رقم (٢٢٧٢) إلا أنه أورد الحديث بلفظ: «فى ذات» بدلاً من: «فى طاعة».

=

وقال الشيخ: «أبو على الدقّاق»[1] رحمه الله: من زيّن ظاهره بالمجاهدة زيّن الله باطنه بأنوار المشاهدة.

واعلم أن المجاهدة لا بد منها بعد التوبة فى ابتداء السلوك، ومن لم يكن فى ابتدائه صاحب مجاهدة لم يشرب من مودة القوم جرعة.

[وقال «أبو عثمان المغربى»[2]: من ظن أنه يفتح له باب من أبواب هذه الطريقة، أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة، فهو غالط][3].

وقال «الحسن القزاز»[4]: بنيت هذه الطريقة على ثلاثة أشياء:

* أن لا تأكل إلا عند الفاقة.

* ولا تنام إلا عند الغلبة[5].

* ولا تتكلم إلاّ عند الضرورة.

وقال «إبراهيم بن آدهم»[6] رحمة الله عليه: لا ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات:

= وأورده السيوطى الحديث عن فضالة، أيضًا، بدونهما بلفظ: «المجاهد من جاهد نفسه فى الله» وقال: رواه الترمذي، وابن حبان، الحديث رقم (٢٣٤٧٨) ٦/ ٦٧٧.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (أبو عثمان المغربى) هو: سعيد بن سلاّم، من ناحية قيروان من قرية يقال لها: كركنت، أقام بالحرم مدة، صحب أبا عمرو الزجاجى، وأبا الحسن بن الصائغ، وغيرهما، لم ير مثله فى علو الحال، وصون الوقت، وصحة الحكم بالفراسة، توفى، رحمه الله، ٣٧٣هـ بنيسابور.

انظر ترجمته: الرسالة القشيرية ٣٨، والسلمى: الطبقات ٤٧٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٨١، الجامى: نفحات الأنس ٢٨١، ابن كثير: البداية والنهاية ١/ ٢٩٩، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٣٨٩، الهجويرى: كشف المحجوب ١٥٨.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

(٤) (الحسن القزاز): لم أقف له على ترجمة، وربما قصد الحسن الفلاس، الذى عاصر السرى السقطى، وتأدّب ببشر الحافى، انظر المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٣٩٦.

(٥) فى النسخة (د): (غلبة النوم).

(٦) (إبراهيم بن أدهم) أبو إسحاق، من أهل بلخ بخراسان، كان من أبناء الملوك الميسورين، خرج متصيدًا، فهتف به هاتف، أيقظه من غفلته، فترك طريقة أهل الدنيا وزينتها ورجع إلى طريقة أهل الزهد، والورع، والفقر.

ذهب إلى مكة، وصحب بها سفيان الثورى، والفضيل بن عياض، ودخل الشام، فكان يعمل ويأكل من عمل يده. =

الأولى: يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

الثانية: يغلق باب العز ويفتح باب الذل.

الثالثة: يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب.

الرابعة: يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

الخامسة: يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

السادسة: يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

وقال «أبو على الروذبارى»[1]: إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام: أنا جائع فألزموه السوق وأمدوه بالكسب.

وقال: «إبراهيم الخوّاص»[2] رحمة الله عليه: ما هالنى شيء إلاّ ركبته.

= أسند الحديث، كان يقول: «من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه» توفى، رحمه الله، سنة ١٦٣هـ بالشام.
انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ٢٧، أبو نعيم: حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، القشيرى: الرسالة ٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ٢١، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ١٤٢، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٧٨٧، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٥٩، الهجويرى: كشف المحجوب ١٢٩، الذهبى: مختصر دول الإسلام ١/ ١١٠، محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ٦٠، الكلاباذى: التّعرف لمذهب أهل التصوف ١٦٦، الجامى: نفحات الأنس ١٠٤.

(١) (أبو على الروذبارى) واسمه: (أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسرى، وهو من أهل بغداد، سكن مصر، وصار شيخًا بها، ومات بها، صحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وأبا حمزة البغدادى، وغيرهم، كان عالمًا فقيهًا، حافظا لحديث رسول الله ﷺ، توفى، رحمه الله، سنة ٣٢٢هـ.
كان يقول: «المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمراعاة للأبصار»
انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٥٦، القشيرى: الرسالة ٣٤، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٩٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٨١، السلمى: طبقات الصوفية ٣٥٤.

(٢) (إبراهيم الخواص) هو: إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، كنيته: أبو أسحاق، لقب بالخواص، أحد من سلك طريق التوكل، من أقران الجنيد، والنورى، له سياحات ورياضات، مات فى جامع الرّى سنة ٢٩١هـ، كان يقول: «من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه».
انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٥، القشيرى: الرسالة ٣١، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١١٣، السلمى: طبقات الصوفية ٢٨٤.

واعلم أن المجاهدة أنواع كثيرة، وكل مريد يليق به نوع منها لا يليق بغيره على قدر قوة المريد وضعفه، ومعرفته ما هو الأشق عليه نظراً إلى حاله، وإلى أوان[1] مجاهدته، وغير ذلك.

مثال ذلك: أن المجاهدة بالصوم والصلاة أشق على الملوك من المجاهدة بالصدقة والعتق، وفى حق التجار الحرفيين الأمر بالعكس.

والمجاهدة بترك المجادلة والمنازعة وإظهار الفضل وترك التنافس فى المجلس وطلب التصدر أشق يعلى بعض فقهاء زماننا من المجاهدة [بالصوم والصلاة والمطالعة والتكرار.

والمجاهدة من بعض مشايخ زماننا بترك إعطاء يده للناس ليقبلوه أشق عليه من لبس الصوف الخشن وملازمة السجادة مدة طويلة.

والمجاهدة بالصوم فى الصيف أشق من المجاهدة بالصوم فى الشتاء، وفى قيام الليل الأمر العكس.

والحاصل أن تعيين أنواع المجاهدات[2] لأنواع المريدين مفوض إلى رأى الشيخ الذى يسلكهم ويربيهم إلى اختيارهم لأنفسهم، فإن ذلك خطر عظيم وخطب جسيم][3].

(١) فى (د): زمان).
(٢) فى (د): (المجاهدة).
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

الباب الثالث

فى العزلة والخلوة

العزلة والخلوة[١] معروفتان، وهما مطلوبتان شرعًا.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٢].

إلى قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[٤].

وقال ﷺ: «خير الناس رجل يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله، ثم رجل يعبد الله فى شعب من الشعاب ويدع الناس من شرّه»[٥].

وقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله الفرّارون بدينهم، يبعثهم الله مع عيسى ابن مريم يوم القيامة»[٦].

وقال أهل الحقيقة: الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة.

ولا بد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم فى نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه.

---

(١) فى النسخة (د) (معلومتان).

(٢) الآية رقم (٤٨) من سورة مريم.

(٣) الآية رقم (٤٩) من سورة مريم.

(٤) الآية رقم (٣١) من سورة الفرقان.

(٥) حديث: «خير الناس...».

انظر الحديث برواياته فى: البخارى: الجهاد ٣، والرقاق ٣٤، ومسلم: الإمارة ١٢٢، ١٣٣، ١٣٧، وأبى داود: الجهاد ٥، والترمذى: فضائل الجهاد ٢٤، والنسائى: الزكاة ٧٤، والجهاد ٧، وابن ماجه: الفتن ١٣، والدارمى: الجهاد: ٦، وأحمد بن حنبل: ١/ ٢٢٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٢/ ٥٦، ٣٤٤، ٣/ ١٦، ٢٧، ٥٦، ٨٨، ٤٦١، ٤٧٧، ٤/ ٢٢٤.

انظر المعجم المفهرس ٣/ ١٣٢.

(٦) حديث: «أحب الناس إلى الله الفرّارون بدينهم...».

والعزلة نوعان:

* **عزلة العوام:** وهى مفارقة الناس بجسده طلبا لسلامتهم من شرِّه، لا لسلامته من شرهم.

ـ فإن العزلة على الوجه الأول صفة الأتقياء، لأنها نتيجة احتقار النفس واستصغارها.

ـ والعزلة على الوجه الثانى صفة الشيطان، لأنها أَنَفَةٌ من خلق الله، وتكبر إبليسى معناه أنا خير منه(١).

وإلى العزلة الأولى وقعت الإشارة بقوله ﷺ فى الحديث الذى سبق: «ويدع الناس من شرِّه».

[وقيل لبعض الرهبان: أنت راهب؟.

قال: لا، بل حارس كلب عقور عن أذى الخلق، وهو نفسى، أخرجتها من بين الخلق ليسلموا منها.

ومرَّ رجل ببعض الصالحين فجمع ذلك الصالح ثيابه عن المار.

فقال له الرجل: لم تجمع ثيابك عنى، وثيابى ليست نجسة.

فقال الشيخ: وهمت فى ظنك، ثيابى هى النجسة فجمعتها عنك لكى لا تنجسك»](٢).

* **والعزلة الثانية:**

عزلة الخواص: وهى مفارقة الصفات البشرية إلى الصفات الملكية(٣) وإن كان مخالطا للناس، ومجاوراً لهم.

[ولهذا](٤) قالوا: العارف كائن بائن، معناه: كائن مع الناس بظاهره، باين عنهم بباطنه وسِرِّه..

وقال «أبو علىٍّ الدقّاق»(٥) رحمة الله عليه: البس مع الناس ما يلبسون [من الحلال](٦)، وكل معهم ما يأكلون، وانفرد عنهم بسرِّك.

= أورده السيوطى فى الجامع الصغير برواية: «أحب شىء إلى الله تعالى: الغرباء الفرارون بدينهم، يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى ابن مريم» وقال: رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمرو. وقال الشيخ الألبانى فى تحقيقه: ضعيف، انظر حديث رقم ١٧١ فى ضعيف الجامع.

(١) فى النسخة (جـ): (منهم).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

(٣) فى النسخة (جـ): (الملائكة).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

وفى العزلة فوائد منها:

* السلامة[(١)] من الغيبة، والرياء، والنفاق، والاشتغال بزينة الدنيا ولهوها.

* والأمان من ملل الأصدقاء، وستر الفاقة عن العدو، والشامت[(٢)]، والصديق المتوجع.

* والتفرغ للنظر فى العلم، واستنباط الحكمة.

ومن أراد العزلة فينبغى أن يحصل قبلها من العلم ما يصحح[(٣)] به عقيدة توحيده، لكى[(٤)] لا يستهويه الشيطان بوسواسه، وما يصحح به[(٥)] فرائض الله تعالى عليه ليكون بناء[(٦)] أمره على أصل محكم، وأساس قوى متين، وينبغى أن يكون فى عزلته خاليًا من ذكر كل شىء سوى ذكر ربه، ومن إرادة كل شىء [بعزلته][(٧)] سوى إرادة ربه، ثم يأخذ نفسه فى عزلته بتأديبها وتهذيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات والعبادات.

فالحاصل أن العزلة الحقيقية عند القوم اعتزال الصفات المذمومة ومفارقتها.

قال «أبو يزيد»[(٨)]: رأيت ربى فى المنام فقلت: فكيف أصل إليك؟.

قال الله تعالى: فارق نفسك وتعالَ.

وقال «يحيى بن معاذ»[(٩)]: من كان أنسه بالخلوة ذهب أُنْسُه إذا فارقها، ومن كان أنسه بالله فى الخلوة استوت عنده الأماكن كلها.

---

(١) فى النسخة (د): (سلامة الغيبة).

(٢) فى النسخة (د): (الشامت).

(٣) فى النسخة (جـ): (ما يصح).

(٤) فى (جـ ، د): (لكيلا).

(٥) فى (جـ): (وما يصح).

(٦) فى (جـ): (بقاء).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).

(٨) (أبو يزيد البسطامى): واسمه: طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جده سروشان هذا مجوسيًا فأسلم، وهم ثلاثة أخوة: آدم، وطيفور، وعلىّ، وكلهم كانوا زهادًا، عُبَّادًا، أرباب أحوال، وهو من أهل بسطام، مات، رحمه الله، سنة ٢٦١هـ، وقيل غير ذلك.

كان يقول: «الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم».

انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ١٣٣، السلمى: طبقات الصوفية ٦٧، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٨٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٥، الجامى: نفحات الأنس ١٧١، القشيرى: الرسالة ١٧، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٤٣٤، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٤٤٢، الهجويرى: كشف المحجوب ١٠٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥، النبهانى: جامع كرامات الأولياء: ٢/ ١٣٣.

(٩) تقدمت ترجمته.

وقال «أبو بكر الورَّاق»(١) : وجدت خير الدنيا والآخرة فى العزلة والخلوة، وشرَّهما فى الخلطة.

وقال «الشبلى»(٢) : علامة(٣) الإفلاس الاستئناس بالناس.

وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عزِّ الطاعة آنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصَّره عيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة.

واعلم بأن التوفيق للعزلة دليل سعادة الأبدية، لأن من خالط الناس داراهم، ومَنْ داراهم رآهم، ومن رآهم نافقهم، ومن نافقهم استحق الدرك الأسفل من النار بنص الكتاب العزيز، [وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾](٤).

وعليك بمحو اسمك من صحائف القلوب، وصحائف الألسن، فإن العرفان [بلاء](٥) والمعروف ناقص، والخامل كامل، وطالب الاسم والرسم ظاهره عامر وباطنه خاسر، وطالب الحق والحقيقة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

---

(١) (أبو بكر الورَّاق) وهو: محمد بن عمر الحكيم، أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، لقى أحمد بن خضرويه وصَحِبَهُ، وصحب محمد بن سعد الزاهد، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخى.
له مؤلفات فى الرياضيات والمعاملات والآداب.
دخل عليه رجل فقال: إنى أخاف من فلان، فقال له: لا تخف منه، فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه، توفى، رحمه الله، سنة ٢٨٠هـ.
انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ٢٢١، الجامى: نفحات الأنس ٤١٧، القشيرى: الرسالة ٢٩، الهجويرى: كشف المحجوب ١٧، كحالة: معجم المؤلفين ١١/ ٧٨، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٥٨١.

(٢) (الشبلى) هو: أبو بكر دُلَفُ بنُ جَحْدَر، ويقال: ابن جعفر، ويقال: جعفر بن يونس، خُرسانى الأصل، بغدادى المنشأ والمولد، تاب فى مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن فى عصره من المشايخ، وكان رفيقًا للحلاج، وكان يقول: «كنت أقول كما قال الحلاج، إلاَّ أنه كشف وكتمت».
توفى، رحمه الله سنه ٣٣٤هـ ودفن فى مقبرة الخيرزان.
انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ٣٣٧، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٣٨ أخبار الحلاج، بتحقيقنا، ٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١، الجامى: نفحات الأنس ٥٢١.

(٣) فى (د): (علامات).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د) والآية هى رقم (١٤٥) من سورة النساء.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب الرابع

فى مخالفة النفس

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[1].

قيل: معناه: ونهى النفس عن الشهوات.

[وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: من أكل شبعًا لا يصلح لخدمتى، ومن نام جميع الليل لا يصلح لجنتى، ومن لا يحب من أحبنى لا يصلح لرؤيتى][2].

[وأوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود حذّر أصحابك عن أكل الشهوات][3] فإن النفوس المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنى.

قال النبى ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل»[4].

أمَّا اتباع الهوى فيَصُدُّ عن الحق، أمَّا طول الأمل فيُنسى الآخرة.

واعلم أن مخالفة النفس[5]، والتجرد من حظوظها رأس العبادة لأنها أعظم حجاب[6] بين العبد وربه، ومن طلعت طوارق نفسه غربت شوارق أنسه، ومن رضى نفسه أهلكها، وكيف يصح للعاقل الرضى عن نفسه!.

[وقد قال يوسف الصديق: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[7] الآية.

---

(١) الآية رقم (٤١) من سورة النازعات.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د)، (جـ) ومستدرك على هامش النسخة (جـ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د) وحتى كلمة: (فإن النفوس).

(٤) حديث: (أخوف ما أخاف على أمتى...) رواه (عدى) عن جابر ﷺ.

انظر السيوطى: جامع الأحاديث ١/ ١٦٢، حديث رقم (٧٣٩).

(٥) فى (جـ): (مخالفتها).

(٦) فى (جـ): (الحجاب، والرب).

(٧) الآية رقم (٥٣) من سورة يوسف.

وقال السَّرِى(١) : طالبتنى نفسى ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعتها.

ورُئى رجل جالسا فى الهواء، فقيل له: بم نلت هذا؟ فقال: تركت الهوى فسخَّر لى الهواء](٢).

وقال «إبراهيم الخوَّاص»(٣) : من ترك شهوة فلم يجد ثمرة تركها فى قلبه فهو كاذب فى تركها.

واعلم أن النفس الأمَّارة بالسوء كشيطان له سبعة رءوس:

الشهوة، والغضب، والكبر، والحسد، والبخل، والحرص، والرياء.

* فرأس الشهوة يُقطع بالرياضة، والإقلال من مشاركة البهائم فى الأكل والشرب.

* ورأس الغضب يُقطع بالحلم.

* ورأس الكبر يُقطع بالتواضع.

* ورأس الحسد يقطع باعتقاد أن الملك لله تعالى، وأن الناس عبيده، فيهب لمن يشاء من عبيده ما يشاء من ملكه: إمَّا بطريق(٤) أنه أعلم بمصلحة كل واحد منهم، أو بطريق(٥) أنه يتصرف فى ملكه كما يشاء ويختار.

* ورأس البخل والحرص يُقطع بعزٍّ بالقناعة، وبالنظر الصحيح، وأن البخيل والحريص يلقى نفسه للكدِّ والتعب والهوان مدَّة عمره، فى الأمور الخسيسة والدَّنيَّة، ويكون عرضة للذمِّ والقدح، يكابد مشقة الجمع والتحصيل، ويُفوِّت على نفسه الانتفاع بما رزقه الله [تعالى](٦) ثم يموت وينتفع بذلك غيره، ويبقى عليه وزره وحسابه.

وطريق تصحيح ذلك: النظر، أن يعتبر بكل بخيل وحريص كان فى زمانه أو قبله.

* ورأس الرياء يُقطع بالإخلاص الذى يُثمر أنواع الخيرات والبركات الدينية والدنيوية.

واعلم أن موافقة(٧) النفس طاعة الشيطان.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (د): (إمَّا ينظر).

(٥) (فى (د): (أو ينظر).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٧) فى (د): (موافقة هوى النفس).

خالف نفسك في هواها واعتبر بآدم، فإنّه لما اتبع هواه في أكل الشجرة هبط من الفردوس الأعلى إلى الحضيض الأدنى، ونوح عليه السلام لما اتبع هواه في طلب تخليص ابنه من الغرق ردّ الله عليه قوله وزجره بقوله: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1] الآية.

و «إبراهيم» الخليل عليه السلام: لما استراح ساعةً في مضجعه، قيل له: قم واذبح ولدك.

[وكذلك][2] يعقوب، عليه السلام[3]، فرح بلقاء يوسف ساعةً فحُبس[4] في بحر الأحزان أربعين سنة.

ويوسف التفت يومًا إلى جماله وقال: لو كنت عبدًا ماذا كنت أساوي؟ فبيع بثمن بخس، وحُبس في السجن بضع سنين.

وموسى، عليه السلام: ظن أنه أعلم [أهل][5] زمانه، وتاه بعلمه وفضله، فابتُلي بالخضر.

وداود، عليه السلام: مال إلى حظ نفسه نفسًا فابتُلي بالبكاء والنحيب أربعين سنة حتى ناحت الجبال والطير معه.

وسليمان، عليه السلام: استعظم ملكه فسُلِبَ منه، وألقى على كرسيه جسدًا.

وزكريا، عليه السلام: التجأ إلى غير الله، واستتر في بطن شجرة فشُقّ بالمنشار طولا.

ومن أعرض عن غير الله، وأقبل على الله فهو ملاطف، وعليه عاطف[6] فـ ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[7].

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[8].

والله أعلم.

---

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة هود.
(٢) ما بينهما سقط من (د).
(٣) ما بينهما سقط من (جـ).
(٤) في (جـ): (وحبس).
(٥) ما بينهما سقط من (د).
(٦) جمله زائدة في (د): ارجعوا إلى ربكم.
(٧) الآية رقم (٥٢) من سورة الأنبياء.
(٨) الآية رقم (٢٨) من سورة الفجر.

الباب الخامس

فى الحسد

قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(١).

[وختم السورة التى عُوِّذَت بالتعوذ من الحسد](٢).

وقال النبى ﷺ: «ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتّقوهن واحذروهن:

الكبر: فإنه منع إبليس من السجود لآدم، عليه السلام.

والحرص: فإنه حمل آدم على أكل الشجرة.

والحسد: فإنه حمل قابيل على قتل هابيل»(٣).

وقيل: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الله الواحد(٤).

وقيل؛ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(٥).

قيل: ما بطن: الحسد.

[وقيل: اتق الحسد فإنه يؤثر فيك قبل أن يؤثر فى المحسود](٦).

وقال الأصمعى(٧)، رحمة الله عليه: رأيت أعرابيًا له مائة وعشرون سنة، فقلت له: ما أطال عمرك؟.

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة الفلق.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ) واستدرك على الهامش مقابلة وتصحيحًا بلفظ: (ختم السورة التى جعلها عوذت عوذه بالتعوذ من الحسد).

(٣) حديث: «ثلاث هُنَّ أمل كل خطيئة...».

أورده القشيرى فى الرسالة القشيرية ص ٧٩ عن ابن مسعود ﵁.

(٤) فى (جـ): (بقضاء الواحد).

(٥) الآية رقم (٣٣) من سورة الأعراف.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٧) (الأصمعى) هو: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع الباهلى المعروف بالأصمعى (أبو سعيد) الأديب اللغوى النحوى، من أهل البصرة، قدم بغداد فى أيام هارون =

فقال: تركت الحسد فبقيت.

وقيل: إذا أردت الهرب من الحاسد فلبِّس عليه أمرك.

وقيل: إياك أن تتعب نفسك فى مودة من يحسدك، فإنه لا يفيد أبداً.

وقال «علىٌ»(١) ﷺ: صحة الجسد من قِلَّة الحسد.

= الرشيد، وتوفى بالبصرة سنة ٢١٦هـ، وقيل غير ذلك، له نوادر الأعراب، وكتاب الخراج، واللغات وغيرها.

انظر ترجمته: كحالة: معجم المؤلفين ٦/ ١٨٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٩٠ اليافعى: مرآة الجنان ٢/ ٦٤، الذهبى: ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٢، البغدادى: هدية العارفين: ١/ ٦٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٦.

(١) الإمام (على بن أبى طالب) بن عبد المطلب بن هاشم القرشى، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم الحبيب ﷺ وصهره، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، ولد بمكة سنة ٢٣هـ، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ، كانت الفتنة شديدة فى زمنه ﷺ، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ، ثم وقعة صفين سنة ٣٧هـ، ثم وقعة النهروان سنة ٣٨هـ، قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة بالسيف فى ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

ترجمته، كرم الله وجهه، فى مئات من الكتب والمجلدات.

منها: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٢٨، العقاد: عبقرية الإمام على، عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام على، أحمد زكى صفوت: ترجمة على بن أبى طالب.

وعديد من كتب التاريخ والسير.

الباب السادس

فى الغيبـــة

قال الله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾(١).

وأوحى الله تعالى إلى موسى؛ عليـه السلام: من مات وهو تائب من الغيبـة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات وهو مُصِرٌّ عليها فهو أول من يدخل النار.

وقيل: مـثل الذى(٢) يغـتاب الناس كـمثل من نصب منجنيـقًا يرمى به حـسناته شـرقًا وغربًا.

وقيل: يُعطى الرجل كـتابه فيرى فـيه حسنات لم يعملهـا، فيقال له: هذا بمـا اغتابك الناس، وأنت لا تشعر.

وسُئِل «سفيان»(٣) عن قوله ﷺ: «إن الله يبغض أهل البيت اللحميين»(٤).

---

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الحجرات. (٢) فى (جـ) (الذين).

(٣) (سفيان) هو: سفيان بن سعيد بن مـسروق الثّوري، من بنى ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله، كان إمامًا فى علم الحديث، أجـمع الناس على دينه وورعه، وزهده وثقته فى الرواية، وكان من الأئمـة المجـتهـدين، ولد فى الكوفـة سنة ٩٥هـ، وسمع مـن السبـيعى والأعـمش ومن فى طبقتـهما، وسمع منه الأوزاعى، وابن جـريج، وابن إسحاق وغيرهم، سكن مـكة والمدينة، كان يقول: «العالم طبيب الدين، والدرهم دَاءُ الدين، فإذا جرَّه الطبيب إليه فكيف يداوى غيره».
مات، رحمـه الله، مستخفـيًا من المهدى بالبصـرة سنة ١٦١هـ، ترك عددًا كبيـرًا من المؤلفات، مثل: كتاب الفرائض، الجامع الصغير، الجامع الكبير.
انظر ترجمـته: ابن العمـاد: شذرات الذهب ١/ ٢٥٠، أبو نعيم: حليـة الأولياء ٦/ ٣٥٦، ابن قنفذ القـسنطينى: كتـاب الوفيات ١٣٤، المناوى: الكواكـب الدرية: ١/ ٢١٢، كحالة: مـعجم المؤلفين ٤/ ٢٣٤، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٣٨٧.

(٤) حديث: «إن الله يبغض أهل البيت اللحميين».
أورده البيهقى فى الشعب حديث رقم (٥٦٦٨) عن كعب رضي الله عنه.
وانظر السيوطى: الدر المنثور ٧/ ٥٧٦، وانظر: العـجلونى: كشف الخفاء، الحديث رقم (٧٦١) «إن الله يكره الحبر السمين» ومعه أورد مثله من الأحاديث ١/ ٢٤٨.

فقال: هم الذين يغتابون الناس ويأكلون لحومهم.

وذكرت الغيبة عند «عبد الله بن المبارك»(١).

فقال: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديَّ لأنهما أحق الناس بحسناتي.

وقيل للحسن البصري(٢): إن فلانًا اغتابك، فأرسل إليه طبقًا حلوى(٣) وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فكافأتك بقدر الإمكان.

[وقال النبي ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»(٤).

وقال ﷺ: «ليس للفاسق غيبة»(٥).

---

(١) (عبد الله بن المبارك) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم، المروزي، الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، جمع العلم والفقه والشعر والادب والفصاحة، وكان مشهورًا بزهده، وتقواه، وله كتب في الرقائق الصوفية، كان ينفق على الفقراء مائة ألف درهم في السنة.

توفي، رحمه الله، سنة ١٨١هـ.

انظر ترجمته: ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات ١٤٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٩٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، سزكين: تاريخ التراث العربي ١/ ١٣٧ طبعة القاهرة.

(٢) (الحسن البصري) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، من سادات التابعين، وكبرائهم، وكان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وكان عالمًا رفيعًا فقيهًا، عابدًا، زاهدًا، ورعًا.

ولد سنة ٢١هـ، لسنتين بقينا من خلافة عمر بن الخطاب، ونشأ في وادي القرى، واستقر بالبصرة، قال عنه الإمام الغزالي: «كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديًا من الصحابة، وكان في غاية الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه» مات ﷺ سنه ١١٠هـ.

انظر ترجمته: ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات ١٠٩، أبو نعيم: حلية الأولياء: ٢/ ١٣١، إحسان عباس: الحسن البصري، الذهبي: ميزان الاعتدال: ١/ ٢٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٥٤.

(٣) في (جـ): (حلويًا) وفي (د): (حلواى).

(٤) حديث: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له».

رواه البيهقي في السُّنن عن أنس ﷺ.

انظر: السيوطي: جامع الأحاديث؛ حديث رقم (٢٠٣٨٣) ٦/ ١٢٠.

وانظر: السيوطي الدر المنثور ٧/ ٥٧٧.

(٥) حديث: «ليس لفاسق غيبة».

رواه الطبراني، وابن عديٍّ في الكامل، والقضاعي، عن معاوية بن حيدة مرفوعًا.

وأخرجه الهروي في ذم الكلام له.

وقال «الجنيد»[١] : رأيت فقيـراً عليه أثر العبادة، وهو يسأل، فـقلت فى نفسى: لو أن هذا عمل عملا يصون به وجهه كان أحب إليه.

فلما انصرفت إلى بيـتى وشرعت فى وردى ثقل علىَّ جميع أنواعـه فنمت عنها فرأيت ذلك الفقير وقد جىء به على خوان، وقيل لى: كل من لحمه فقد اغتبته.

فقلت: إنما قلته فى نفسى.

فقيل لى: مثلك لا يليق به ذلك، اذهب فاستحله[٢].

فلما أصبحت ذهبت ولم أزل أطوف حتى وجدته فى مـوضع يلتقط من كناسة البقالين فى النهر عروقًا من البقل فسلمت عليه.

فقال لى: يا أبا القاسم أتعود؟.

فقلت: لا.

فقال: غفر[٣] الله لنا ولك][٤].

= وانظر مناقـشات طويلة حـول هذا الحديث فى العـجلونى: كشف الـخفاء ٢/ ١٧١ حـديث رقم (٢١٥١).

وانظر: الدر المنثور ٧/ ٥٧٧.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أى: اطلب التحلل من ذنبه بإرضائه.

(٣) فى (د): (غفرك الله) وهى ساقطة من (جـ).

(٤) كل ما بين المعقوفتين سقط من النسخه (جـ).

الباب السابع(١)

فى الدنيـــــا

قال الله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(٣).

وقال النبى ﷺ: «من كان همــه الدنيا شتت الله عليه أمره وجهل فقـره بين عينيه، ولم يأته منها إلا ما كـتب له، ومن كان همه الآخرة جمع الله شـمله وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا راغمة»(٤).

وقال ﷺ: «من أحب دنياه أضـرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنيـاه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(٥).

---

(١) فى (جـ) (الباب السابع) الأمل.. ثم استدرك كله على هامش المخطوط بظم مختلف، وكتب بعده صح صح.

(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة الحديد.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) حديث: «من كان همّه الدنيا...».

أورده السيوطى فى جامع الأحـاديث بلفظ: «تَفَرَّغوا من هموم الدنيا ما اسـتطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه، ومن...» الحديث.

وقال: رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى الدرداء رضي الله عنه.

الحديث رقم (١٠٤٩٩) ٣/ ٦١٨.

(٥) حديث: «من أحب دنياه أضرَّ بآخرته...».

رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والحاكم فى مستدركه عن أبى موسى رضي الله عنه.

انظر: السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٢٠١٠٣) ٦/ ٧٧.

وقال العجلونى فى كشف الخفاء: رواه أحمد والطبرانى والقضاعى وغيرهم عن أبى موسى رفعه.

وانظر الحديث رقم (٢٣٥١) ٢/ ٢٢٢)

وانظر الحافظ العراقى؛ قال: رواه أحمد والبزار، والطبـرانى، وابن حبان والحاكم وصححه، انظر الإحياء هامش ٣/ ١٩٧.

وقال ﷺ : «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها قطرة ماء»(١).

وقال ﷺ : «والله ما الدنيا فى الآخرة إلاّ كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»(٢).

وقال ﷺ : «لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى لاخترت الآخرة»(٣).

وقال ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة»(٤).

وقال عيسى عليه السلام: «رأيت الدنيا فى صورة عجوز شوهاء.

فقلت لها: أين أزواجك؟

فقالت: قتلتهم عشقًا»(٥).

---

(١) حديث: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة».
رواه الترمذى فى سننه.
والضياء فى المختارة عن سهل بن سعد ﷺ، انظر السيوطى جامع الأحاديث، حديث رقم (١٧٦٦٩) ٥/ ٣٩٤.
وفى رواية أخرى «لو عَدَل الدنيا...».
رواه ابن عساكر عن أبى هريرة.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٧٨٣٤) ٥/ ٤٢٢.
وانظر المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٧ هامش الإحياء.

(٢) حديث: «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا...».
قال الحافظ العراقى فى كتابه: المغنى عن حمل الأسفار: رواه مسلم من حديث المستورد بن شدّاد.
انظر إحياء علوم الدين هامش ٣/ ٢١٢.

(٣) حديث: «لو كانت الدنيا ذهبًا...».
لم أقف على تخريجه بهذا اللفظ

(٤) حديث: «حُبُّ الدنيا رأس كل خطيئة».
رواه البيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا، الحديث رقم (١٠٥٠١) وانظر جامع الأحاديث ٣/ ٧٤٧، حديث رقم (١١١٦٣).

(٥) قال عيسى، عليه السلام: «رأيت الدنيا فى صورة عجوز شوهاء...» لم أقف عليه.

الباب الثامن[1]

فى الأمـــل

اعلم أن الأمل هو الرجـاء، وتعلق القلب بالـبقـاء، فمـن طال أمله اشتـغل بالجـمع والتحصيل، وغفل عن الموت، وتركه نسيًا منـسيًا، كمن أيقن أنه سيبقى إلى أقصى أوقات الآجال.

قال ﷺ : «يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان: الحرص، وطول الأمل»[2].

وقال ﷺ : «إن أخوف ما أخاف على أمتى: الهوى، وطول الأمل.

أمَّا: الهوى فيصد عن الحق.

وأمَّا: طول الأمل فيُنسى الآخرة»[3].

وقال ﷺ : «الكيِّس من دان نفـسه وعمل لمـا بعد الموت، والعـاجز من اتَّبع هواه وتمنى على الله تعالى الأمانى»[4].

(١) فى النسخة (جـ): الباب السابع، وقد أشرنا إلى ما حدث فى الباب السابق.

(٢) حديث «يشيب ابن آدم...».

أورده العجلونى فى كـشف الخفاء بلفـظ: «يهرم ابنُ آدم ويبقى ...» ثم ذكـر الحديث الذى هو مقصود به الترجمة وغيره، وقال: رواه الشيخان عن أنس مرفوعًا، وفى لفظ مسلم والترمذى وابن ماجـه عن أنس أيضًا: «يهرم» انظر تـفاصيل كـثيرة الحـديث رقم (٣٢٥٤) ٢/ ٣٩٦ من كشف الخفاء.

(٣) حديث: «إن أخوف ما أخاف على أمتى...».

أورده السـيوطى فى جـامع الأحاديث رقم (٧٣٢١) ٢/ ٧١٠، وقـال: رواه الحاكم فى تاريـخه، والديلمى فى مسنده عن جابر.

(٤) حديث: «الكيِّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت...».

رواه أحمد، وابن ماجـه، والحاكم، والعسكرى، والقضاعى، والترمـذى، وقال: حسن عن شدَّاد ابن أوس مرفوعًا.

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى.

وتعقَّبه الذَّهبى بأن فى سنده ابن أمّ مريم (واهٍ). =

واعلم أن قصر الأمل من أعظم السعادات، وهو أن يُطهِّر الإنسان قلبه من كل شيء إلاَّ من ذكر الموت ومجيئه بغتة وفجأة، ويستمر في الاستعداد له.

= ورواه البيهقي عن أنس بلفظ: «الكيِّسُ من عمل لما بعد الموت، والعاري العاري من الدين، اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».
انظر: العجلوني: كشف الخفاء ٢/ ١٣٦ حديث رقم (٢٠٢٩).

الباب التاسع(١)

فى الصمت

[قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(٢).

وقال النبى ﷺ: «البلاء موكّل بالمنطق»(٣).

وقال النبى ﷺ: «إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه»(٤)](٥).

وقال ﷺ: «من كثُر كلامه كثُر سَقَطُه، ومن كثُر سَقَطُه كثُرتْ ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»(٦).

---

(١) فى (جـ): (الثامن).

(٢) الآية رقم (٧٠) من سورة الأحزاب.

(٣) حديث «البلاء موكّل بالمنطق» أورده الإمام صلاح الدين التجانى فى كتابه: «جوامع الكلم» وقال: رواه القضاعى عن حذيفة، والبخارى فى الأدب، وابن أبى شيبة فى مصنفه، كلهم عن ابن مسعود ﷺ، وقال: حديث حسن.

انظر جوامع الكلم: طبعة سلسلة التراث الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩.

وأورده السيوطى فى جامعه وأضاف:

وابن السمعانى فى تاريخه عن علىّ، كرم الله وجهه، حديث رقم (١٠١٠٢).

وفى رواية أخرى بزيادة: «فلو أن رَجُلاً عيَّر رجُلاً برضاع كلبة لرضعها».

وقال: رواه الخطيب عن ابن مسعود ﷺ، انظر الحديث رقم (١٠١٠٣).

(٤) حديث: «إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه».

أورده السيوطى بدون لفظ: (إن) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشُّعَب، عن ابن مسعود ﷺ، انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٣٨٣٩) ٢/ ٤.

(٥) ما بين معقوفتين سقط من (جـ)

(٦) حديث: «من كثر كلامه كثر سقطه...».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث تحت رقم (٢١١٣٣) ٦/ ٢٣٦ وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، عن ابن عمر ﷺ، والحديث رقم (٢٢٩٦٧) وقال: رواه العسكرى فى الأمثال عن ابن عمر أيضًا ﷺ.

وقال ﷺ : «ليس شيء أشد من الجسد إلاّ وهو يشكو حدّة اللسان»(١).

وقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت»(٢).

وقال ﷺ : «رحم الله امرأ سكت فسلم، وقال خيراً فغَنِم»(٣).

وقال ﷺ : «من صمت نجا»(٤).

وقيل لرسول الله ﷺ : ما النجاة؟

فقال ﷺ : «احفظ عليك لسانك، وابكِ على خطيئتك»(٥).

قال أهل الحقيقة(٦): الصمت سلامة، وهو الأصل، والنطق عارض.

---

(١) حديث: «ليس شيء أشد من الجسد...».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث رقم (١٨٠٠٥) ٥/ ٤٥٢ بلفظ (ذَرَب) بدلاً من (حدة).
وقال: رواه أبو يعلى، والبيهقى، عن أبى بكر رضي الله عنه.

(٢) حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً...».
رواه أحمد والشيخان والترمذى عن أبى شريح عن أبى هريرة رضي الله عنه.
وأورده العجلونى بلفظ: «أو ليسكت» بدلا من: «ليصمت».
انظر الحديث رقم (٢٥٨٠) ٢/ ٢٧٣.

(٣) حديث: «رحم الله امرءًا سكت فَسلِم...».
رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس، رفعه.
ورواه العسكرى عن أنس أيضًا لكن بلفظ «عبدًا».
انظر العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٤٢٦ حديث رقم (١٣٧٤).

(٤) حديث: «من صمت نجا».
أورده الإمام صلاح الدين التجانى فى جوامع الكلم، حديث رقم (٢٣٠٣) وقال: رواه الترمذى عن ابن عمرو، وقال: حسن، وأورده السيوطى فى جامع الأحاديث رقم (٢٠٨٤٦) وقال: رواه أحمد ابن حنبل، والترمذى عن ابن عمرو ٦/ ١٩٠.

(٥) حديث: «احفظ عليك لسانك، وابك على خطيئتك».
أورده السيوطى بلفظ: «املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».
انظر: الجامع الصغير، ففيه: رواه: الترمذى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، والبخارى، وابن قانع، والطبرانى، عن الحارث بن هشام بن المغيرة.
قال الهيثمى: رواه الطبرانى بإسنادين جيدين، ورواه أحمد بن حنبل فى الزهد ص ١٥، والمسند ٥/ ٢٥٩، وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت ٥/ ٢٦ فى موسوعته، وانظر الجامع الصغير ١/ ٦٦، وانظر هامش: أعذب المسالك ص ٧٠.

(٦) مكررة لفظ (الحقيقة) فى (جـ).

واختلف الناس فى[١] تفضيل أحدهما على الاخر.

والأصح أن كل واحد منهمـا أفـضل من الآخر فى بعض المواضع لـكن الموفق من يعرف موضع الصمت وموضع النطق.

وقال «بشر الحافى»[٢]: إذا أعجبك الكلام فاسكت، وإذا أعجبك السكوت[٣] فتكلم.

قال «لقمـان» لابنه: لو كان النطق فضة لكان الصمت ذهـبًا، ولقد ندمت على الكلام مرارًا، ولم أندم على السكوت مرة واحدة.

وقال «أبو علىّ الدقّاق»[٤]: من صمت عن الحق فهو شيطان أخرس.

واعلم: أن الصمت على نوعين:

صمت العوام: وهو إمساك اللسان عن الغيبة، والكذب.

وصمت الخواص: وهو إمساك اللسان لاستيلاء سلطان الهيبة، وذلك الصمت هو من آداب الحضرة.

وينقسم[٥] الصمت إلى[٦] قسمين آخرين:

صمت العوام: وهو كفٌ باللسان، وحده.

وصمت الخواص: وهو كفٌ باللسان والقلب.

فالمتوكل: صمت قلبه عن طلب رزقه[٧].

---

(١) فى (جـ): (على).

(٢) (بشر الحافى) هو: بشـر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن مـاهان بن عبد الله، الحافى، أصله مـن «مرو» سكن بغداد، ومـات بها يوم الأربعاء، لعـشر خلون من المـحرم سنه ٢٢٧هـ، صحب الفضيل بن عياض وغيره، وكان عالمًا ورعًا.

كان يقول: «لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوُّك، وكيف فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك».

انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦، الشـعرانى: الطبقات ١/ ٨٤، الإمام القشيرى: الرسالة ١٤، ابن العـماد: شذرات الذهب ٢/ ٦٠، السلمـى: طبقات الصوفـية ٣٩، ابن كثـير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٧، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٣٦٨، اليـافعى: مرآة الجنان ٢/ ٩٢، الجامى: نفـحات الأنس ١٣٣، البـغدادى: هدية العـارفين ١/ ٢٣٢، ابن تغرى بـردى: النجوم الزاهرة ٢/ ٣١، كحالة: معجم المؤلفين ٣/ ٤٦.

(٣) فى (د): (إذا أعجبك الصمت فتكلم وإذا أعجبك الكلام فاسكت).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) فى (جـ): (واعلم أن الصمت على نوعين).

(٦) وفى (د): (وتقسيم الصمت قسمين آخرين).

(٧) فى (جـ): (عن طلب الرزق).

والراضى: صمت قلبه عن حركة الاعتراض[١].

[أى: كف عملك عن المقال، وكف كرمك عن السؤال][٢].

وسئل «أبو بكر الفارسى»[٣] عن الصمت فقال: ترك الفكر فى الماضى والمستقبل.

وقد يكون سبب[٤] الصمت الحيرة بسبب ورود كشف بغتة فتخرس العبارة عند ذلك، ويكل النطق هنالك، فلا علم، ولا حس، ولا نطق، ولا فهم، وقد آثر أرباب المجاهدة السكوت لما رأوا فى الكلام من الآفات، وحفظ النفس وإظهار صفة المدح، وميل الإنسان بالطبع إلى أن يتميز عن أشكاله بحسن النطق.

[ورُوى عن «داود الطائى»[٥] أن سب توبته أنه كان يجالس «أبا حنيفة»[٦] رحمه الله، فقال له «أبو حنيفة» يوما: يا أبا سليمان، أما الآداب فقد أحكمناها.

(١) فى (جـ): (عن الاعتراض).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٣) (أبو بكر الفارسى) هو: أبو بكر الطمستانى الفارسى، صحب أبراهيم الدباغ وغيره من مشايخ الفرس، كان مشايخ وقته يحترمونه، مات، رحمه الله، سنة ٣٤٠هـ.
كان يقول: «ما الحياة إلاَّ فى الموت» أى: ما حياة القلب إلاَّ فى إماتة النفس.
انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ص ٤٧١، أبو نعيم: حلية الأولياء: ١٠/ ٢٨٢، القشيرى: الرسالة ٣١، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٠٤، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٥٢٦، وذكره باسم (أبو بكر الفاسى) وهو خطأ.

(٤) فى (د): (وقد يكون الصمت الحيرة).

(٥) (داود الطائى): هو: داود بن نُصَيْر الطائى، من رجال الطبقة الأولى، ومن أكبر مشايخ التصوف، وما كان له نظير فى عصره، كان من تلامذة أبى حنيفة النعمان ﷺ، ومن أقران الفضيل بن عياض، وكان فى الطريقة مريداً لحبيب الراعى، وكان له حظ وافر فى جميع العلوم، أعرض عن الرياسة واختار العزلة، وكان زاهداً متورِّعا تقيًا، وله فضائل كثيرة، ومناقب لا تعد، كان يقول: «إن أردْتَ السلامة فسلِّم على الدّنيا، وإن أردت الكرامة فكبِّر على الآخرة».
توفى، رحمه الله، سنة ١٦٥هـ، انظر: نفحات الأنس للجامى ١٠٢.
انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، السلمى: طبقات الصوفية ٨٥، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ١٩٢، الهجويرى: كشف المحجوب ١٠٩، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٨٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٤/ ٣٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ١٤٤، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٣/ ٧٤.

(٦) (أبو حنيفة) هو: النُّعْمان بن ثابت، التَّيمىّ بالولاء، الكوفىّ، أبو حنيفة، إمام الحنفية ومؤسسها، أحد الأئمة الأربعة المشهورين عند أهل السنة، كان عالمًا عابدًا زاهدًا ورعًا تقيًا، أدرك أربعة من الصحابة هم: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبى أوفى، وسهل بن سعد الساعدى، وأبو =

فقال له داود: فأىُّ شى بقى؟.

فقال: العمل بها.

فقال «داود»: فنازعتنى نفسى إلى العزلة، فقلت؛ لا أعزل حتى أجالسهم سنة، ولم يتكلم فى مسألة، وقال: وكانت المسألة تمر بى، وأنا إلى الكلام فيها أشدُّ شوقًا من العطشان إلى الماء، ولا أتكلم.

وكان «عمر بن عبد العزيز»[1] إذا كتب كتابًا وأعجبه لفظه مزَّقه وكتب غيره][2].

وقيل: إن «أبا بكر الصديق»[3] رضي الله عنه أمسك فى فمه حجراً كذا وكذا سنة ليقل كلامه.

= الطفيل عامر بن واثلة، ولم يلق أحداً منهم، ولم يأخذ عنه، ويقال: التقى بأنس بن مالك، ولد ونشأ بالكوفة، كان خزازاً يبيع الخز، ويطلب العلم فى صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، امتنع عن قضاء الكوفة فى عهد الأمويين، ثم فى عهد المنصور العباسى امتنع أيضًا، فحبسه حتى مات، رحمه الله، وأقرَّ عينه بالرؤية، وكان ذلك سنه ١٥٠هـ، ترك مؤلفات عظيمة.

قال عنه الإمام الشافعى: «الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة».

انظر ترجمته: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٢٩، الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٢٧، الشيخ محمد أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٣١٢، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٣٢٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٢، المزى: تهذيب الكمال ١٩/ ترجمة رقم (٧٠٣٣).

(١) (عمر بن عبد العزيز) هو: أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموى القرشى، خليفة أموى، خامس الخلفاء الراشدين، اشتهر بعدله وورعه، جمع زهداً وعفافًا، وورعًا وكفافًا، شغله آجل العيش عن عاجله فكان للرعية أمنًا وأمانًا، استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولى الخلافة بعهد منه سنة ٩٩هـ، ولم تطل مدَّته، ومات رضي الله عنه سنه ١٠١هـ، اجتمع رضي الله عنه بالخضر، عليه السلام، فقال له: أوصنى، فقال: «احذر أن تكون وليًا لله فى العلانية، وعدواً له فى السِّر».

كان يقول: «كن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل أخًا، وعاقب بقدر الذنب والجسد».

انظر ترجمته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٠٣، أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٢٥٣، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٣١٥، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١١٩، ابن الجوزى: سيرة عمر بن عبد العزيز، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ٨٨، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٢٥٦ المزى: تهذيب الكمال، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٣) (أبو بكر الصدّيق) هو: عبد الله بن أبى قحافة، عثمان بن كعب، التيمى، القرشى، أبو بكر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، ولد بمكة سنة (٥١ ق هـ) كان عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها من سادات قريش ومرسريهم، خطيبًا، =

وقيل: إذا نطق العبد فيما يعنيه، وفيما لا بد له منه فهو صامت.

[وقيل: «إن أبا حمزة البغدادى»[١] كان حسن الكلام، فهتف به هاتف: تكلمت فأحسنت، بقى أن تسكت فتحسن، فما تكلم بعد هذا حتى مات][٢].

وربما يقع السكوت على الإنسان تأديبًا له، لأنه قد يكون أساء الأدب فى شىء من كلامه، أو يكون فى المجلس من هو أحق منه بالكلام، أو يكون فى المجلس من الإنس والجن من لا يكون بأهل لسماع ذلك الكلام، فيصونه الله عنه بإسكات ذلك الشخص.

[وقال بعض العلماء: إنما خُلِق للإنسان لسان واحد، وعينان، وأذنان، ليبصر ويسمع أكثر مما يقول.

وقيل: مثل اللسان كمثل السبع إن لم تحبه عدا عليك][٣].

وقيل: العارف إذا تكلم مَلَك، والمحب إذا تكلم هلك.

= لسنًا، وشجاعًا بطلا، تفرَّدَ بالحق عن الالتفات للخلق، حتى جمع بين الجمع والفرق، له فى الإسلام المواقف العالية، كفاه شرفًا وفضلا ما زكاه به رسول الله ﷺ فى كثير من أحواله منها: «إن الله يكره فوق سمائه أن يُخطَّأ أبو بكر الصديق» ولمّا مَرِضَ قيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: قد رآنى، قالوا: فما قال؟ قال: إنى فعّال لما أريد، كان يقول ﷺ: «لا خير فى قول لا يراد به وجه الله، ولا فى مال لا ينفق منه فى سبيل الله، ولا فيمن يغلب جهله حلمه، توفى، رحمه الله، سنة ١٣هـ ومدة خلافته: سنتان وثلاثة أشهر ونصف.

انظر ترجمته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٢٦، العقاد: عبقرية الصديق، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ابن حجر: الإصابة فى تمييز الصحابة، الترجمة رقم (٤٨٠٨) الطبرى: الرياض النضرة، الجزء الأول، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٥٠، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٥.

(١) (أبو حمزة البغدادى) البزّار، اسمه: محمد بن إبراهيم، صحب السَّرِىَّ بن المُغلِّس السقَطى وبشرًا الحافى، كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، كان عالمًا بالقراءات، وقراءة عمرو، تكلم يومًا فى مسجد المدينة فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه ومات سنه ٢٨٩هـ، كان صديقًا للإمام أحمد بن حنبل ويحضر مجلسه، فإذا جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة: «ما تقول فيها يا صوفى».

كان يقول: «ليس السخاء أن يُعطى الواجدُ المعدَمَ، إنما السخاء أن يعطى المعدمُ الواجدَ».

ويقول: «إذا سلمت منك نفسك فقد أدّيت حقّها، وإذا سَلِمَ منك الخلق فقد أدّيت حقهم».

انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ٢٩٥، القشيرى: الرسالة ٣٢، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١١٦، الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب العاشر[١]

فى التفكـــر

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وقال الله تعالى[٣]: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤].

وقال النبى ﷺ[٥]: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[٦].

والفكر على خمسة أوجه:

* فكر فى آيات الله يتولد منه المعرفة.
* وفكر[٧] فى نعم الله ومنه يتولد منه المحبة.
* وفكر فى وعد الله وثوابه يتولد منه الرغبة.
* وفكر فى وعيد الله وعقابه يتولد منه الرهبة.
* وفكر[٨] فى تفريط الإنسان فى جنب الله يتولد منه الحياء والندامة.

---

(١) فى (جـ) التاسع.

(٢) الآية رقم (٣) من سورة الرعد، وغيرها، وما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٣) فى (د): (وقال).

(٤) الآية رقم (١٩١) من سورة آل عمران.

(٥) فى (جـ): (وقال عليه السلام).

(٦) حديث: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

وفى لفظ: «ستين سنة» ذكره الفاكهانى وقال: من كلام السرى السقطى، وذكره فى الجامع الصغير: «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة».

وورد عن ابن عباس، وأبى الدرداء، بلفظ: «فكرة ساعة خير من عبادة ستين».

وانظر ما قيل حول هذا الحديث فى العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٣١٠ حديث رقم (١٠٠٤).

ورواه أبو الشيخ فى العظمة عن أبى هريرة، انظر السيوطى.

(٧) فى (جـ): (وتفكر).

(٨) سقطت من (جـ).

واعلم أن التفكر[٨] قائد للإنسان إلى الخير، ودليله إذا كان تفكراً صحيحا مقصوداً به الفرار من الخلق إلى الحق والتفتيش عن[٩] أقرب طرق الوصول إلى الله، عز وجل.

(١) في (جـ): (الفكر).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب الحادى عشر[١]

فى الفقـــــر

الفقير عند أئمة أهل[٢] اللغة: من له شيء يسير.

والمسكين: من لا شيء له.

وعند بعضهم بالعكس.

والفقيـر فى اصطلاح أهل الحقيقة: هو الذى لا يجـد شيئًا غيـر الله، ولا يستغنى إلا به، ولا يستريح إلا بالحضور معه.

وعلامته: هدم الأسباب كلها.

قال الله تعالى: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣].

وقال الله تعالى[٤]: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[٥].

وقال النبى ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»[٦].

وقال ﷺ: «ليس المسكين الطواف الذى ترده اللقمة واللقـمتان والتمرة والتمرتان،

---

(١) فى (جـ) العاشر.

(٢) فى (جـ): (أهل أئمة).

(٣) الآية رقم (١٥) من سورة فاطر.

(٤) فى (د): (وقال).

(٥) الآية رقم (٢٧٣) من سورة البقرة.

(٦) حديث: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء...».

فى أكثر الروايات: «فقراء المسلمين».

انظر السيوطى جامع الأحاديث رقم (٢٨٤٦٢).

وقال: رواه أحمد بن حنبل، والترمذى، وابن ماجه، كلهم عن أبى هريرة.

وزاد عليه: «بنصف يوم، وهو خمسمائة عام».

وانظر الحديث رقم (٢٨٤٨١) ٨/ ٧٨.

وانظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ٣٩٨، حديث رقم (٣٢٦٢) وذكر الرواة المذكورين أيضًا.

بل هو الذى لا يجد مـا يغنيه، ويسـتحى من الله أن يسأل الناس، ولا يـفطن له فيتـصدق عليه»(١).

قيل: معناه: يستحى من الله أن يسأل الناس لكونه طلبًا من غير مولاه.

وقال ﷺ : «مفتـاح الجنة: حبُّ المساكين»(٢) «والفقراء الصُّبَّر(٣) هم جُلَسَـاءُ الله يوم القيامة»(٥).

[وكان ﷺ يقول: «اللهم توفنى إليك فقيـرًا، ولا تتوفنى إليك غنيًا، واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة»(٦).

والفقـر شعار الأولياء، وحلـية الأصفيـاء، واختيار الله تعـالى لخواصه من الأنبـياء، والفقراء صفوة الله تعالى من عباده ومواضع سرّه»](٧).

---

(١) حديث: «ليس المسكين الذى تردّه اللقمة واللقمتان. . .».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه مالك، وأحمد بن حنبل، ومتفق عليه بين البخارى ومسلم، وأبو داود، والنسائى، كلهم عن أبى هريرة، الحديث رقم (١٧٩٨٧) ٥/ ٤٤٩.

وانظر الحديث رقم (١٧٩٨٦) ٥/ ٤٤٩.

وانظر الحديث رقم (١٨٢١٣) ٥/ ٤٨٥.

والحديث رقم (١٨٢١٤) ٥/ ٤٨٦.

والحديث رقم (١٨٢١٥) ٥/ ٤٨٦).

(٢) حديث: «مفتاح الجنة حُبُّ المساكين».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث حديث النبى ﷺ : «لكل شىء مـفتاح، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء» رواه ابن لال عن ابن عمر رضي الله عنه، الحديث رقم (١٧٢٩١) ٥/ ٣٢٢.

(٣) فى (د): (الصابرين).

(٤) حديث: «الفقراء الصبَّر هم جلساء الله يوم القيامة».

أورده السيوطى بلفظ: «الفقراء أصدقـاء الله تعالى، ورأس مالهم بالليل والنهار، فطوبى لمن اتجَر قبل أن يذهب رأس ماله».

رواه جعفر بن محمد العلوى فى كتاب الفردوس، والسلمى، والديلمى عن علىٍّ رضي الله عنه.

انظر جامع الأحاديث حديث رقم (١٤٩٨٣) وما بعده ٤/ ٦٧٤.

(٥) حديث: «اللهم توفنى. . .».

رواه بهذا اللفظ الطبرانى عن عطاء بسند ضعيف، وأخرجه الحاكم فى مستدركه بزيادة.

والمشهور: «اللهم أحينى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا، واحشرنى فى زمرة المساكين. . .».

وقال العجلونى: رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدري، رضي الله عنه.

انظر كشف الخفاء حديث رقم (٥٣٨) ١/ ١٨١.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) واستدرك على الهامش.

والفقر[١] على ثلاثة أقسام:

أولها: فقر[٢] الخلق إلى الحق كما جاء فى قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[٣] وهو فقر عام بالحقيقة شامل لكل مخلوق.

والثانى: وهو فقر العوام، وهو عدم المال وأعراض الدنيا.

وهذا الفقر يستغنى بوجود المال.

الثالث: فقر النفس.

وهذا الفقير[٤] لا يغنيه شيء وهذا الفقر هو[٥] الذى تعوذ منه النبى ﷺ وأشـار إليه بقوله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا»[٦].

والغنى[٧] على ثلاثة أقسام:

أولها: الغنى بالله عن كل ما فى الدنيا والآخرة، وهو نتيجة فقر الخواص.

والثانى: غنى النفس بالدين، لا بالدنيا، بل يتساوى عنده وجود الدنيا وعدمها، فيكون فى غناه مفتقراً إلى ربه، وفى فقره مستغنيًا بربه.

والثالث: الغنى[٧] بالمال، وهو غنًى مجازى، لأن فقر النفس يلازمه.

ولهذا قال ﷺ: «الغنى[٧] غنى النفس، فإذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه فى نفسه، وإذا أراد بعبد شراً جعل فقره بين عينيه»[٨].

---

(١) فى (جـ): (الفقراء).
(٢) فى (جـ): (فقراء).
(٣) الآية رقم (١٥) من سورة فاطر.
(٤) في (جـ): (الفقر).
(٥) سقط لفظ (هو) من (جـ).
(٦) حديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب...».
أورده العجلونى فى كشف الخفاء ضمن حديث، بلفظ: «لو كان لابن آدم واديًا من مال...».
وقال: رواه الشيخـان والترمذى وأبو عوانة وغيرهم بألفـاظ متقاربة عن أنس مرفوعًـا، واتفقا عليه عن ابن عباس، انظر رواياته المختلفة فى كشف الخفاء ٢/ ١٦١ حديث رقم (٢١١٣)
(٧) فى (جـ): (والغنا).
(٨) حديث: «الغنى غنى النفس، فإذا أراد الله بعبد خيراً...».
متفق عليه عن أبى هريرة مرفوعًـا، بلفظ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس» وللديلمى بلا سند عن أنس رفعه، ورواه العسكري عن أبى ذر.
انظر الأحاديث فى كشف الخفاء للعجلونى تحت رقم (١٨٠٩) ٢/ ٨٠.
انظر جامع الأحاديث للسيوطى رقم (١٧٩٨٠) ٥/ ٤٤٨.

وقال ﷺ : «إيَّاكم ومجالسة الموتى».

فقيل: يا رسول الله مَنِ الموتى؟

فقال: «الأغنياء»(١).

واعلم أن الإنسان متى كان صابراً على الفقر، شاكراً لله على اختياره له، صائنًا لدينه، كاتمًا لفقره، مستغنيًا بربه فى فقره، لا يغنيه شىء غيره، خائفًا على زوال نعـمة الفقر كما يخاف الغنىُّ على زوال نعمة الغنى(٢) فذلك هو الفقير الصادق، وهو المراد بقوله ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»(٣) وهو الفقر الذى افتخر به النبى ﷺ .

[وحُكِى(٤) أن رجلا أتى «إبراهيم بن أدهم»(٥) بعشرة آلاف درهم فردَّها، وقال: تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بهذا المقدار.

وقال بعضهم: كان بمكة فقير عليه ثياب رثة لا يخالط الفقراء، ولا يجالسهم وعليه سماء أهل المعرفة فوقعت بمحبته فى قلبى فحملت إليه مائة درهم وقلت له: هذه من وجه حلٌّ فاصرفها فى بعض أمورك.

فنظر إلىَّ شَزَرًا ثم قال: إنى اشتريت هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضِّياع والأملاك فكيف أبيعها بمائة درهم.

وقيل: ولو لم يكن للفقراء فضيلة إلا إرادته سعة حال المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه(٦)، ذلك لأنه يحتاج إلى الشراء، والغنى يحتاج إلى البيع، وهذا لعوام الفقراء فكيف لخواصِّهم.

ورأى بعضهم فقيراً عليه مسحُ خِرَقٍ فقال له على وجه المطايبة: بكم اشتريت هذا؟.

فقال: بالدنيا، وطلب منى بالآخرة فلم أبعه.

وكان «أبو بكر الورَّاق» يقول(٧):

طوبى للفقراء، لا خراج عليهم فى الدنيا، ولا حساب فى الآخرة.

وقيل لبعضهم: أيهما أفضل: الافتقار إلى الله أو الاستغناء به.

---

(١) حديث: «إياكم ومجالسة الموتى» رواه الترمذى وضعَّفه، والحاكم، وصحح إسناده من حديث عائشة.

(٢) فى (جـ): (الغنا).
(٣) تقدم تخريجه.

(٤) من هنا ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) واستدرك بالهامش بخط مغاير.

(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) فى (د): (لكفى).
(٧) تقدمت ترجمته.

فقال: لا يتم أحدها إلا بالآخر.

وقيل: وصفُ الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سرّه، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

وقال «ذو النون»[١]: علامة سخط الله تعالى على العبد خوفه من الفقر.

وقال الشِّبلى[٢]: [أدنى علامات الفقر][٣] لو كانت للفقير الدنيا بأسرها فأنفقها فى يوم ثم خطر له كونه لم يمسك منها قوت يومه كان كاذبًا فى فقره.

وقال «أبو علىٍّ الدقاق»[٤]: تكلم الناس فى الفقر والغنى أيها أفضل؟.

وعندى: الأفضل أن يُرزق الرجل كفايته ثم يُصان فيه.

[وقال بعضهم: سألت ابن الجلاء[٥] عن الفقر فذهب ولم يجبنى، ثم رجع بعد ساعة وأجابنى، فسألته: لم ذهبت، وجئت؟.

فقال: كان عندى أربعة دوانيق، فاستحييت من الله أن أتكلم فى الفقر ومعى شىء، فذهبت فأنفقت الدوانيق ثم عدت.

وقال بعضهم: إظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر.

وقيل: إن الفقير أن لا تسبق همته خطوته.

وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً.

ومن أراده لئلا يشغله الغنى عن الله مات غنيّا][٦].

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدت ترجمته.

(٣) فى (د): (علامة). (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (ابن الجلاء) هو: أبو عبد الله ابن الجلاء، واسمه: أحمد بن يحيى، أصله من بغداد، أقام بالرملة ودمشق، صحب يحيى الجلاّء، وأبا تراب النخشبى، وذا النون المصرى، وكان أستاذ محمد بن داود الدقى، وكان عالمًا ورعًا.

كان يقول: «من بلغ بنفسه رتبةً سقط عنها، ومن بُلغَ به ثَبتَ عليها» ويقول: «الحقُّ استصحب أقوامًا للكلام، وأقوامًا للخُلة، فمن استصحبه الحق لمعنًى ابتلاه بأنواع المحن، فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر».

توفى، رحمه الله، سنة ٣٠٦هـ.

انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، الرسالة القشيرية ٢٦، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٥٢، السلمى: طبقات الصوفية ١٧٦، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٥٢٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٥٠، الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، الهجويرى: كشف المحجوب ١٦٢.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط (جـ).

وقال بعضهم: كانت الطرق إلى الله أكثر من نجوم السماء فما بقى منها إلا طريق واحد وهو الفقر، وهو أصحها.

وقال الجنيد[١]، رحمة الله عليه: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق لا بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه.

فقيل له: يا أبا القاسم، وهل يكون فقيراً يوحشه العلم؟.

فقال: نعم، إذا كان الفقير صادقًا فى فقره فطرحت عليه العلم ذاب كما يذوب الرصاص فى النار.

وقال بعضهم: الفقير: هو الذى لا يكون له إلى الله حاجة.

قال الإمام القشيرى[٢]: وهذا اللفظ فيه غموض على من سمعه، وهو غافل عن مرمى القوم كما قيل: [الفقر لا يحتاج إلى نفسه، وإلى ربه][٣] لأن القائل أشار بذلك إلى سقوط المطالبات، وفناء الاختيار[٤] والرضى بمجارى الأقدار.

وقال بعضهم: وصف الفقير: السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

وقيل: مكث «أبو جعفر الحدّاد»[٥] عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء، ويصوم ويخرج بين العشائين فيطلب من الأبواب.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (الإمام القشيرى) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيرى، وكنيته: أبو القاسم، ولقبه: زين الإسلام، وشهرته: القشيرى، ولد فى قرية من قرى نيسابور، حضر مجلس الشيخ أبا على الدقاق، وكان يتحدث فى علم القلوب، ومذهب أصحاب الأحوال والمذاقات والمواجيد، والشريعة والحقيقة، فاستولى عليه الأمر استيلاء تامًا فاستمع إلى هاتف أعماقه، فجمع همته ودخل الباب الكبير للصوفية، كتب عدداً من المؤلفات الشهيرة التى نالت شهرة واسعة فى الشرق والغرب، مثل الرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات (التفسير الصوفى) ونحو القلوب وغيرها.

وتوفى، رحمه الله، سنه ٤٦٥هـ إلى جوار شيخه الدقاق فى نيسابور بعد رحلة طويلة مع خدمة علم الصوفية.

انظر ترجمته: مقدمة كتاب نحو القلوب الكبير: دكتور إبراهيم بسيونى المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٦٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٥/ ٩١، الهجويرى: كشف المحجوب ١٩٨.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٤) فى (د): (فناء الاختيارات والرضاء...).

(٥) (أبو جعفر الحداد) الكبير الصوفى، سافر ودخل دمشق، وهو من أقران الجنيد بن محمد ورويم =

واعلم أن الفقر أشرف من المحبة، لأنه يلازمه الانكسار والمحبة يلازمها النشاط.

وهذا هو الفرق بينهما، مع أن كل فقير مـحب، وهما شرف من التوحيد لأن الموحد له إحساس بتوحيده وهما لا إحساس لهما بتوحيدهما.

= وأبي تراب النخشبي، حكى عنه جعفر بن محمد بن نصـير الخلدي وغيره، وهو أستاذ أبي جعفر الحداد الصغير، كان شديد الاجتهاد معروفًا بالإيثار من رؤساء الصوفية.

انظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢، ابن عساكـر: تاريخ دمشق ٤٧/ ٢٩، السلمي: طبقات الصوفية ٢٣٤.

الباب الثانى عشر(١)

فى الخـــــوف

الخوف: توقع مكروه أو فوات محبوب.

وقيل: هو استشعار النفس ما يكدر حالها فى المستقبل.

وقيل: هو حركة القلب من جلال الرب.

وسُئِل الجنيد(٢)، رحمة الله عليه عن الخوف فقال: هو توقع العقوبة على مجارى الأنفاس.

والخوف من الله واجب لقوله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾(٤).

وقد مدح الله تعالى بالخوف أنبياءه، وأولياءه(٥) فقال: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾(٦)، وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾(٧)، وقال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾(٨)، وقال: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾(٩).

وقال النبى ﷺ(١٠): «لا يدخل النار من بكى من خشية الله [حتى يلج اللبن فى الضرع»(١١).

---

(١) فى (جـ) (الحادى عشر).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الآية رقم (١٧٥) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٤٠) من سورة البقرة.

(٥) فى (د) (أنبيائه وأوليائه).

(٦) الآية رقم (٩٠) من سورة الأنبياء.

(٧) الآية رقم (٥٠) من سورة النحل.

(٨) الآية رقم (١٦) من سورة السجدة.

(٩) الآية رقم (٢١) من سورة الرعد.

(١٠) فى (جـ): (عليه السلام).

(١١) حديث: «لا يدخل النار من بكى من خشية الله...».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله...» الحديث.

وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والترمذى فى سننه، والنسائى فى سننه، والحاكم فى المستدرك، كلهم عن أبى هرير، ورواه البيهقى فى الشعب بلفظ قريب، عن أبى هريرة أيضًا.

انظر جامع الأحاديث حديث رقم: (٢٦٥٦٦) (٢٧١١١) ٧/ ٤٣٤، ٥٢٣.

وقال ﷺ : «[إذا اقشعر جسد العبد](١) تحاتت عنه ذنوبه كما يتحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها»(٢)، وقال ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾(٣): أى: خائفة أن لا يقبل منهم أعمال البر، وقال ﷺ : «كان الناس يعودون داود ويظنون أنه مريض ولم يكن به إلاّ شدَّة الخوف من ربِّه»(٤)، وقال ﷺ : «رأس الحكمة مخافة الله تعالى»(٥)، وقال ﷺ : «من خاف الله خافه كل شىء، ومن لم يخف الله خاف من كل شىء»(٦).

قال الله تعالى: «لا(٧) أجمع على عبدى خوفين ولا(٧) أجمع له أمنين، إن خافنى فى الدنيا لم يخف فى الآخرة، وإن أمننى فى الدنيا لم يأمن فى الآخرة»(٨).

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

(٢) حديث: «إذا اقشعر جسد العبد تحاتت ذنوبه...».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ «جلد» وقال: رواه سمويه، والطبرانى عن العباس رضي الله عنه.
الحديث رقم (١٠٦٦) ٢١٩١.

(٣) حديثه ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ وهى الآية رقم (٦٠) من سورة المؤمنون.
أورده السيوطى فى الدُّرِّ المنثور فى التفسير بالمأثور وقال: أخرجه عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير، وفيه: أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير عن الحسن وقتادة.
وأخرجه ابن المبارك فى الزهد وعبد بن حميد وابن جرير عن الحسن. انظر الدر المنثور ٦/ ١٠٦.

(٤) حديث: «كان الناس يعودون داود...» لم أقف عليه.

(٥) حديث: «رأس الحكمة مخافة الله».
رواه الحكيم، وابن لال، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر: السيوطى جامع الأحاديث حديث رقم (١٢٣٢٧) ٤/ ١٨٥.

(٦) حديث: «من خاف الله خافه كل شىء...».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، بلفظ: «من خاف الله أخاف الله منه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء» انظر الحديث رقم (٢١٨٩١) ٦/ ٣٧٢).
وقال: رواه أبو الشيخ عن واثلة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجى فى أماليه، والرافعى عن ابن عمر.

(٧) فى (جـ): (لن أجمع).

(٨) حديث: «لا أجمع على عبدي خوفين...».
رواه أبو نعيم فى الحلية عن شداد بن أوس رضي الله عنه.
انظر السيوطى جامع الأحاديث رقم (١٥٠٥١) ٤/ ٦٨٨، والحديث رقم (٢٨٧٤٤) ٨/ ١٤٣.
وقال: رواه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه.

قال الأستاذ أبو على الدقاق(١) رحمة الله عليه:

الخوف على مراتب: الخوف، والخشية، والهيبة.

* فالخوف من قضية الإيمان لما يكون من النص.

* والخشية من قضية العلم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢).

* والهيبة من قضية المعرفة.

وقيل: أول الخوف الوجل، فإذا قوى صار خوفًا.

والخوف: فزع تجف لـه الأعضاء، فإذا جفَّت صـار هيبة، فإذا صحـبه العلم ودله(٣) على الصبر صار خشية.

وقيل: الخوف للمذنبـين، والرهبة للعابدين، والخشية للعالمـين، والوجل للمحبين، والهيبة للعارفين، لأنهم لا خوف لهم، قال الله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٤).

وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٥).

فالعـارف له هيبة ودهشة فى مـقام الجلال وحضـرة الكمال؛ لأنه إذا تجلى الحق فى مرآة سريرته لا يبـقى فيها(٦) خـوف ولا رجاء، لأن الخـوف والرجـاء من آثار الإحسـاس بالبشرية فعند تلاشى صفاتها يتلاشى الخوف والرجاء.

ولهذا قال «الواسطى»(٧) رحمة الله عليه: الخوف حجاب بين الله والعبد.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الآية رقم (٢٨) من سورة فاطر.

(٣) فى (جـ): (فإذا صحب العلم دل على الصبر).

(٤) الآية رقم (٦٢) من سورة يونس.

(٥) الآية رقم (٣٠) من سورة فُصِّلت.

(٦) فى (د): (فيه).

(٧) (الواسطى) هو: أبو بكر الواسطى، واسـمه: محـمد بن موسى، وأصلـه من فرغانة، من قـدماء أصحـاب الجنيد، وأبى حسـين النورى، لم يتكلم أحد فى أصـول التصـوف مثله، وكان عـالمًا بالأصول وعلوم الظاهر.

كان يقول: «الناس على طبقات ثلاث: الأولى: منَّ الله عليهم بأنوار الـهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق، والطبقة الثانية: مَنَّ الله عليهم بأنوار العناية، فهم معصومون من الصغائر والكبائر، والطبقة الثالثة: منَّ الله علبهم بالكفاية، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة، وحركات أهل الغفلة» توفى، رحمه الله، بعد سنة: (٣٢٠هـ).

انظر ترجمته فى: أبو نعـيم: حليـة الأوليـاء١٠/ ٣٤٩، القشيرى: الرسالة ص ٣٢، السلمى: =

وقال «الإمام القشيرى»[(١)]: معناه أن الخائف متطلع[(٢)] لوقت ثان، والصوفى ابن وقته فلا يتطلع[(٣)] له إلى مستقبل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

قال «أبو عثمان»[(٤)] رحمة الله عليه: علامة صدق الخوف التورع عن الآثام ظاهراً وباطنًا، فينبغى للمؤمن أن يكون أبدًا على حذر، ولا يغتر بحسن وكثرة أعماله.

[وكثيراً ما ينشد أهل الحقيقة فى هذا المعنى:

قال قائل:

أَحْسَنْتَ ظَنُّكَ بِالأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ
وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا[(٥)] يأتِى بِهِ القَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِى فَاغْتَرَرْتَ بِهَا
وَعِنْدَ صَفْوِ[(٦)] اللَّيَالِى يَحْدُثُ الكَدَرُ][(٧)]

[وقيل: لما طرد إبليس، وجرى عليه ما جرى، جعل جبريل وميكائيل يبكيان زمانا طويلا، فأوحى الله إليهما: ما لكما تبكيان، فقالا: يا رب لا نأمن مكرك، فقال: هكذا كونا، لا تأمنا مكرى][(٧)].

وقال حاتم الأصم[(٨)]، رحمة الله عليه:

* لا تغترّ بموضع صالح، فلا موضع أصلح من الجنة، وقد لقى فيها آدم، عليه السلام، ما لقى.

= طبقات الصوفية ٣٠٢، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٨٥، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٦٠٨، الهجويرى: كشف المحجوب ١٨٤ .

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) فى (د): (مطلع).
(٣) (أبو عثمان) هو المغربى، وتقدمت ترجمته.
(٤) فى (د): (ما يأتى).
(٥) فى (د): (صفوة).
(٦) الشعر كله سقط من النسخة (جـ).
(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) واستدرك على الهامش.
(٨) (حاتم الأصم) هو: حاتم بن علوان، ويقال: ابن يوسف، كنيته: أبو عبد الرحمن، من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ، صحب شقيق بن إبراهيم.
توفى، رحمه الله، سنة ٢٣٧هـ.
أسند الحديث عن النبى ﷺ منها: حديث قال ﷺ: «صلِّ صلاة الضحى، فإنها صلاة الأبرار، وسلِّم إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك».
كان يقول: «يُعرف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرجاء، والرجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة».
انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ٧٣، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ١٣٤، =

* ولا تغتر بكثرة العبادة، فإن أبليس بعد كثرة عبادته لقى ما لقى.

* ولا تغتر بكثـرة العلم، فإن «بلعام»[١] كـان يعرف اسم الله الأعظـم، وقد لقى مـا لقى.

* ولا تغتر بمخالطة الصالحين، فلا رجل أعظم قدراً من النبى ﷺ ولم ينتفع أقاربه بمخالطته.

[وقال «السرى»[٢] رحمــه الله: إنى لأنظر أنفى إلى كذا كذا مـرة مخافـة أن يكون قد اسود وجهى بما أستحق من العقوبة.

وقيل: مَرِض «سفيان الثورى»[٣]، رحمه الله، فعـرض دليله على الطبيب فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده][٤].

= القشيـرى: الرسالة ٢٠، الشعرانى: الطـبقات الكبرى ١/ ٩٣، ابن العـماد: شذرات الذهب ٢/ ٨٧، السلمى: طبقات الصوفية ٩١.

(١) (بلعام بن باعوراء): من أولاد الرهط الذين آمنوا لنبى الله إبراهيم، علـيه السلام، يوم قـذفوه فى النار، وكان بلعم، أو بلعـام، يسكن أريحا، والشام، وكـان يعلم اسم الله الأعظم، فلما دعى به على موسى، عليه السلام، وعلى بنى إسرائيل، أنساه الله تعالى الاسم.

انظر ابن قتيبة: المعارف ٤١، ٤٢.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) واستدرك على الهامش.

الباب الثالث عشر[١]

فى الرجـــاء

والرجاء فى اللغة: الأمل، وقد جاء بمعنى الخـوف أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[٢].

أى: ما لكم لا تخافون عظمة الله.

والرجاء عند أهل الحقيقة: تعلق القلب بحصول محبوب فى المستقبل.

وقيل: هو الثقة بجود الكرم.

وقيل: هو قرب القلب من لطف الرب.

وقيل: هو[٣] سرور الفؤاد بحسن الميعاد.

وقيل: هو حياة القلب بالأمل.

وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى.

واعلم أن الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف، كـما أن الخوف لا يتحقق إلا مع الرجاء، فهما متلازمان، لأن الرجاء بلا خوف أمن فى الحقيقة.

والخوف بلا رجاء قنوط فى الحقيقة ويأس من رحمة الله تعالى، ولهذا قال بعض أهل الحقيقة: الخوف والرجاء كزوجى المقراض لا يفيد أحدهما إلا مع وجود الآخر.

وقال أكثر أهـل الحقيقة: هما كـجناح الطير متى اعتدلا وتساويا طار طيـرًا تامًا، ومتى زاد أحدهمـا على الآخر اخـتل طيرانه ونقص، ومتـى ذهبا بالكلية سـقط وصار كـالميت والمذبوح.

[ولهـذا قال بعـضهم: كن لـما لا ترجـو أرجى منك لمـا ترجو، فـإن موسى، عليـه

---

(١) فى (جـ) (الثانى عشر).

(٢) الآية رقم (١٣) من سورة نوح.

(٣) فى (د): (هى).

السلام، خرج يقتبس ناراً فنودى بالنبوة، وكن لما لا تخاف أخوف مِمَّا تخاف، كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾(١) مدحهم بالخوف فى موضع الأمن، وهو عين ما قلنا](٢).

وقال لقمان لابنه: يا بنى ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكر، وخفِ الله خوفًا لا يأس فيه من رحمة الله، فإن المؤمن ذو قلبين: قلب يرجو به وقلب يخاف به.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٤).

وينشد فى هذا المعنى:

لا تيأسنّ فإن الإله رحيم رءوف
ولا ترحلن بلا عُدّة فإن الطريق مخوف مخوف

ومن أقوى الأدلة على تقوية الرجاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٥).

وبعده قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٦).

وبعده قوله تعالى: ﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٧).

وقال النبى ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبّة من شعير من الإيمان»(٨).

---

(١) الآية رقم (٦٠) من سورة المؤمنون.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) واستدرك بالهامش، وبه بعض أخطاء، ثم ضبطها من (د).

(٣) الآية رقم (٨٧) من سورة يوسف.

(٤) الآية رقم (٩٩) من سورة الأعراف.

(٥) الآية رقم (٥٣) من سورة الزمر.

(٦) الآية رقم (٤٨) من سورة النساء.

(٧) الآية رقم (٨٧) من سورة يوسف.

(٨) حديث: «يقول الله يوم القيامة: أخرجوا من النار...» انظر الحديث رقم (٣٨٦) من كتاب الأحاديث القدسية ص ٤٥٢ عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى: من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه...).
أنظر البخارى ٨/ ١١٥، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار.

ثم يقول: «مثقال حبة من خردل من الإيمان».

فكان حبة شعير.

ثم يقول: «وعزّتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي»(١).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم، ولو لم تُخطئوا لجاء الله بقوم يُخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم»(٢).

وقال ﷺ: «إنما يدخل الجنة من يرجوها، وإنما ينجو من النار من يخافها»(٣).

واعلم أن الإنسان ينبغي أن يكون حسن الظن بالله، عز وجل، لما اختص به من صفات الرحمة، والكرم، والجود، وإن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله، لقوله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فعليه»(٤).

وفي حديث آخر صحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه، وإن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(٥).

(١) تقديم تخريجه.

(٢) حديث: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم...».

أورده السيوطي في جامع الأحاديث، وقال: رواه أحمد بن حنبل، وأبو يعلى، والضياء المقدسي في المختارة، كلهم عن أنس ﷺ، انظر الحديث رقم (٢٤٦٢٥) ٧/ ١١١.

(٣) حديث: «إنما يدخل الجنة من يرجوها، وإنما يخشى النار...».

أورده السيوطي في الجامع الصغير برواية: «إنما يدخل الجنة من يرجوها، وإنما يجتنب النار من يخافها، وإنما يرحم الله من يرحم» وقال: رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وقال الألباني: ضعيف، انظر حديث رقم ٢٠٦٦ في ضعيف الجامع.

(٤) حديث «أنا عند ظن عبدي بي...».

هذا الحديث على هامش النسخة (د) بخط مختلف استدراكًا.

رواه الطبراني، وابن حبان، عن واثلة ﷺ.

انظر جامع الأحاديث للسيوطي حديث رقم (١٥١١٦) ٤/ ٧٠٤، ورواه أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (١٥٠٢٥) ٤/ ٦٨٢.

(٥) حديث: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني...».

انظر تفاصيل كثيرة في ما أورده العجلوني في كشف الخفاء حول هذا الحديث ١/ ٢٠٢ حديث رقم (٦١٣).

=

وقال ﷺ: «لا يموتن(١) أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله، فإن قومًا أهلكهم سوء الظن بالله»(٢)، قال الله تعالى فى حقهم: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣).

وقال ﷺ: «أكبر الكبائر سوء الظن بالله»(٤).

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود، عليه السلام: يا داود، قل لعبادى: إنى لم أخلقهم لأربح عليهم، بل خلقتهم ليربحوا علىّ.

وقرأ (ابن معاذ الرازى)(٥) قوله تعالى فى حق فرعون: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾(٦).

هذا رفقه، عز وجل بمن كان يدّعى الربوبية، فكيف يكون رفقه بمن يقر بالعبودية.

وقال «لمالك بن أنس»(٧) فى وقت قبض روحه: كيف أنت؟

= وانظر: السيوطى: جامع الأحاديث، وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، واتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم، ورواه الترمذى فى سننه، وابن ماجه فى سننه، كلهم عن أبى هريرة رضي الله عنه.

انظر الحديث رقم (٢٨٦٧٠) ٨/ ١٢٦، وانظر الحديث رقم (٢٨٦٧١) ٨/ ١٢٦.

(١) من أول هذا الحديث سقط فى النسخة (جـ) حتى نهاية الباب.

(٢) حديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله...».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث تحت رقم (٢٦٥٨١) ٧/ ٤٣٦، بدون الجزء الأخير: «فإنه أهلك...» وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام مسلم فى صحيحه، وأبو داود فى السنن، وابن ماجه فى السنن، كلهم عن جابر رضي الله عنه.

(٣) الآية رقم (٢٣) من سورة فُصّلت.

(٤) حديث: «أكبر الكبائر سوء الظن بالله».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، وقال: رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنه.

انظر الحديث رقم (٣٨٢٣) ٢/ ١.

(٥) هو (يحيى بن معاذ) وتقدمت ترجمته.

(٦) الآية رقم (٤٤) من سورة طه.

(٧) (مالك بن أنس) بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحى الحميرى، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد أئمة أهل السنة الأربعة، أجمعت الطوائف من العلماء على إمامته وجلالته وتوقيره والإذعان له فى الحفظ والتثبّت وتعظيم حديث رسول الله ﷺ ولد سنه ٩٣هـ، وتوفى سنة ١٧٩هـ، ودفن بالبقيع، سمع الزهرى، ونافعًا، مولى ابن عمر، وأبا الزبير وغيرهم، وسمع منه الكثير من سادات التابعين.

كان صلبًا فى دينه، بعيدًا عن الأمراء والملوك، وكانت السلاطين تهابه، سُعِىَ به إلى جعفر بن سليمان، وهو عم أبى جعفر المنصور، وقالوا له: إن مالكا لا يرى إيمان بيعتكم هذه بشىء، =

فقـال: ما أدرى ما أقـول لكم، ولكنكم ستعـاينون من عفو الله مـا لم يكن لكم فى حساب، ثم مات.

ورُئى «أبو سهل الزجاجى»(١) فى نومه فقيل له: فكيف حالك؟.

فقـال: وجدنا الأسهل مـما توهمنا، أحسنوا ظنـكم بالله وحسِّنوا أخلاقكم بالأعـمال الزاكيات.

ورُئى «أبو سهل الصعلوكى»(٢) فى النوم وهو على أحسن حـالاته، فقيل له: بم نلت هذه الحالة؟

فقال: بحسن ظنى بربى، مرتين.

وقيل: إن مجوسيًّا استضاف إبراهيم الخليل، عليه السلام، فقال إبراهيم: إن أسلمت أضفتك، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم لم هذا البخل، ما تطعـمه مرة إلا بتغيير دينه، ونحن نطعمه سبعين سنة مع كفره، فتبعه إبراهيم وردّه، وأضافه، وقصَّ عليه القصة.

فقال المجوسى: هكذا يعاملنى ربى! ثم أسلم.

= فغضب جعفر، ودعا به، وجـرده، وضربه بالسياط، قال ابن خِلِّكان: «فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علو ورفعة، وكأنما كانت تلك السياط حُلِيًّا ورفعة حُلِّى به».

«ووجه إليه هارون الرشيد ليأتيه؛ فقال: العلم يؤتى ولا يأتى إلى أحد».

مناقبه كثيرة، وترك مؤلفات: منها الموطأ، ورسالة فى الوعظ، وغير ذلك.

انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ٦/ ٣١٦، ابـن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٤١، ابن قتيبـة: المعارف ٢٥٠، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٢، ابن الجوزى: صـفة الصفوة ٢/ ٩٩، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٨٩.

(١) (أبو سهل الزجاجى) لم أقف على ترجمته.

(٢) (أبو سهل الصلعوكى) هـو: محمد بن سليمان، الـشافعى الصوفى، أبو سهل، المـشهور بالعلم والولاية، من أصحـاب أبى إسحاق المـروزى، كان كبيـر الشأن فى التسليم والانقـياد، ولد سنة ٢٩٦هـ، وتوفى سنه ٣٦٩هـ، وقيل غير ذلك، ودفن بالمجلس الذى كان يدرّس فيه.

كان يقول: «التصوف الإعراض عن الاعتراض» وقال: «من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبدًا».

ومن شعره:

أنام على سـهـر وتبـكى الحمـائم
وليس لـهـا جُـرمٌ ومنّى الـجـرائم

انظر: المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٥٨٩، كـحالة: مـعجم المـؤلفين ٤/ ٢٨٤، ابن العـماد: شذرات الذهب ٢/ ٦٩، الصفدى: الوافى بالوفيات ١٤/ ٤.

وجاء فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال، حكاية عن الله تعالى: «إن أنين المذنبين أحب إلىَّ من صوت المسبحين»(١).

واعلم أنه ينبغى للعبد مع رجاء رحمة الله تعالى أن يجتهد فى العمل، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾(٢).

إلى أن قدم العمل على التوحيد لفظا، وإن كان مؤخرا عنه رتبة، ثمَّ إذًا لأن عمل الراجى لا يقع نظره على عمله بل على فضل الله ورحمته.

ويكون رجاوه متعلقًا بها لا بعمله، فإن فعل الطاعات قرب من الله تعالى، وذلك فضل الله ورحمته بتوفيقه العبد للقرب والطاعة.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾(٣).

فمن اعتمد على عمله قد غلط غلطًا فاحشًا لا يتدارك ونعوذ بالله من ذلك.

---

(١) حديث: «قال الله تعالى: إن أنين المذنبين أحب إلىَّ من أصوات المسبِّحين» فى (جـ): «من زجل تسبيح المسبحين».

أورده العجلونى فى كتابه كشف الخفاء، الحديث رقم (٨٠٥) ١/ ٢٦١، وقال: لينظر، مما يدل على أنه لم يقف عليه.

(٢) الآية رقم (١١٠) من سورة الكهف.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة النور.

الباب الرابع عشر

فى الحـــزن

الحزن: انكسار القلب وخشوعه.

وعلامته: انكسار الجوارح الظاهرة عن الانبساط لانكسار الباطن.

والذى يجلب الحزن ثلاث خصال:

* الفكر فى الذنوب الماضية.
* والفكر فى الموت.
* والنظر إلى من هو أبقى من الإنسان.

وقال بعـضهم: الحزن من آثار الخـوف من الله تعالى، والفكر كـذلك، وبهما عـمارة القلوب، كما أن بالفرح والغفلة خرابهما.

قال تعالى: ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾(١).

وقال النبى ﷺ: «إن الله يحب كل قلب حزين»(٢).

وفى التوراة: «إذا أحب الله تعالى عبداً نصب فى القلب نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل فى قلبه مزماراً».

وروى: أن النبى ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر(٣).

وقال «الفضيل بن عياض»(٤)، رحمة الله عليه:

(١) الآية رقم (٧٦) من سورة القصص.

(٢) حديث «إن الله يحب كل قلب حزين» رواه الطبرانى فى معجمة الكبير، والحاكم فى المستدرك عن أبى الدرداء رضي الله عنه، انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٥٥٩٥) ٢/ ٣٤٨.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٤) (الفضـيل بن عياض) بن مسـعود بن بشر، التـميمى، خراسـانى من ناحية مـرو، قيل: إنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيود، والأصل من الكوفة، مات فى المحرم سنه ١٨٧هـ، أسند الحديث.

كان يقول: «من أظهر لأخيه الودّ والصفاء بلسانه، وأضـمر له العداوة والبغضاء، لعنه الله فأصمّه وأعمى بصيرة قلبه». =

[قال السلف][1]: «زكاة العقل طول الحزن».

وسئل أبو عثمان[2]، رحمه الله عليه، عن الحزن فقال: الحزين لا يتفرغ للسؤال عن الحزن ولا للجواب عنه.

وقال بعض السلف: أكثر ما يجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات: الهم والحزن.

ويعضد هذا القول ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من شىء يصيب المؤمن من نصب أو وصب أو حزن إلاّ كفر الله عنه من سيئاته»[3].

وقوله ﷺ: «إذا كثرت ذنوب العبد ألقى الله عليه الهم والحزن ليُكفر بها عنه»[4].

واتفق الناس على أن الحزن بسبب الآخرة محمود، وبسبب الدنيا مذموم (والدنيا سجن المؤمن)[5] ومن كانت الدنيا سجنه طال حزنه، فإن السجن دار الأحزان.

ولهذا قال النبى ﷺ: «الدنيا لا تصفو[6] للمؤمن، وهى سجنه وبلاؤه»[7].

= انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ٨٤، الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ٧٩، القشيرى: الرسالة ١١، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٣١٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١/ ١٩٨، السلمى: طبقات الصوفية ٦.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٢) هو: (أبو عثمان المغربى) وتقدمت ترجمته.

(٣) حديث: «ما من شىء يصيب المؤمن من نصب ولا وصب...».
راواه الترمذي بهذا اللفظ عن أبى سعيد ﷺ، وهذا الحديث له روايات كثيرة.
انظر جامع الأحاديث رقم (١٨٨١٠) ٥/ ٥٨٥، والأحاديث التى قبله مباشرة.

(٤) حديث: «إذا كثرت ذنوب العبد ألقى الله عليه الهم والحزن...».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بزيادة: «فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفّرها عنه» وقال: رواه الخطيب عن أنس ﷺ، الحديث رقم (١٧٧٥) ١/ ٣٤٤.

(٥) حديث: «الدنيا سجن المؤمن...».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقال: رواه أحمد ابن حنبل، ومسلم، والترمذى، وابن ماجه، كلهم عن أبى هريرة، ورواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم فى المستدرك عن سلمان، ورواه البزار فى كتابه عن ابن عمر ﷺ.
انظر الحديث رقم (١٢١٧٩) ٤/ ١٥٩.

(٦) فى (جـ): (تصفو) وهو خطأ يبينه بقية الحديث.

(٧) حديث: «الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهى سجنه وبلاؤه».
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه ابن لال عن عائشة ﷺ.
الحديث رقم (١٢١٨٧) ٤/ ١٦٠.

وعن رابعة العدوية[١]: أنها سمعت رجلا يبكى ويقول: واحزناه.
فقالت له: واقلة حزناه، فإنك لو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس[٢].

(١) (رابعة العدوية): كانت من أهل البصرة، كثيرة البـكاء، كان يسألها سفيان عن مسائل ويرغب فى موعظتها.
كانت تقول: «لكل شىء ثمرة، وثمرة المعرفة الإقبال على الله».
اشتهرت بشعرها الرقيق مثل:

إنى جـــعلتك فى الفـــؤاد مـحـــدثى
وأبحت جـــســـمى من أراد جـلوسى
فـــالجـــسم منّـى للجليـس مـــؤانسى
وحـــبـيب قـلبى فى الفـــؤاد أنيـــسى

انظر ترجمتها فى: أبو نعيم: حلية الأوليـاء ٦/ ١٩٢، السلمى: ذكر النسوة المتعبدات ص ٢٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهـرة ١/ ٣٣٠، ابن كثير: البداية والنهـاية ١٠/ ١٩٣، الشعرانى: الطبقات الكبـرى ١/ ٥٦، عبد الرحمن بدوى: رابعة شهـيدة العشق الإلهى، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٢٠٠، مختصر أعذب المسالك، الشيخ محمود خطاب السبكى، بتحقيقنا ص ٢٤٥.
(٢) فى (د): (التنفس).

الباب الخامس عشر

فى البكـــــاء

قال الله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[(٢)].

[وقال «أبو أمامة الباهلى»[(٣)] لرسول الله ﷺ: ما النجاة؟.

فقال: «أملك عليك للسانك، وليلعك بيتك، وابكِ على خطيئتك»[(٤)]][(٥)].

وقال ﷺ: «حُرِّمت النار على ثلاث أعين: عين سهرت فى سبيل الله، وعين بكت من خشية الله»[(٦)].

(وسكت الراوى عن الثالثة)[(٧)].

---

(١) الآية رقم (١٠٩) من سورة الإسراء. (٢) الآية رقم (٥٨) من سورة مريم.

(٣) (ابو أمامة الباهلى) هو: صـدىّ بن عجلان بن وهب، الصحابى المعـروف من صحابة رسول الله ﷺ باسم أبو أمامة رضي الله عنه، شهد صفين مع على بن أبى طالب، رضي الله عنه، روى عن النبى ﷺ، وعن عبـادة بن الصامت، وعن عثمـان بن عفان، وعـمر بن الكطاب رضي الله عنه، وروى عنه أزهر بن حريث، وأسد بن وداعة، وخالد بن معدان وغيرهم، مات رضي الله عنه سنه ٨١هـ، وقيل: سنه ٨٦هـ.

انظر ترجمته: المـزّى: تهذيب الكمال ٩/ ٩٣ ترجمة رقم (٢٨٥٥) ابن قنفد القـلنطينى: كتاب الوفيات ٨٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٩٦، ابن حجر: الإصابة: ترجمة رقم (٤٠٥٤).

(٤) تقدم تكريجه.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من النلكة (جـ).

(٦) حديث: «حرمت النار على ثلاث أعين...».

أورد الليوطى فى جامع الأحاديث حديث النبى ﷺ: «حُـرِّمت النار على عين بكت من خشية الله، وحُرِّمت النار على عـين سهرت فى سبـيل الله، وحرّمت النار على عين غضّت عـن محارم الله، أو عين فُقِئت فى سبيل الله» وقـال: رواه الطبرانى والحاكم، عن أبى ريحانة رضي الله عنه، الحديث رقم (١١٢٢٦) ٣/ ٧٥٨.

(٧) فى (د) كتب على الهـامش بكط مكـتلف: (وعين غضبت عن محارم الله) وفى المـتن كتب: (وسكت الراوي عن الثالثة) مما يدل على أن هذا مقابلة، وفى (جـ) (وسكت الراوى عن الثالثة).

وقال ﷺ: «أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»(١).

فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها أنهار، فإذا فرغت دموعهم تسيل الدماء، فلو أن سفُنُا أُرسلت فى مجارى دموعهم لجرت.

[وقيل: كان لداود، عليه السلام، سبع حشايا من شعره محشوة بالرماد، وكان يبكى حتى تنفذ الدموع منهن](٢).

وقيل: إنما سُمِّى نوح نوحًا لكثرة ما ناح فى الدنيا على نفسه..

واعلم أن البكاء من خشية الله من أدل الأدلة على الخوف من الله تعالى، والميل إلى الآخرة.

والجالب للبكاء شيئان:

* **الخوف من الله تعالى.**
* **والندم على ما سلف من التفريط والتقصير فى جنب الله تعالى.**

---

(١) حديث: «أيها الناس ابكو، فإن لم تبكوا فتباكوا».

رواه ابن ماجه عن سعد بن أبى وقاص.

وأورده العجلونى فى كشف الخفاء بدون لفظ: «أيها الناس» الحديث رقم (٤٢) ١/ ٣٠.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب السادس عشر

في الجـــوع

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(١).

أى: وبشر الصابرين على الخوف والجوع.

وقال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٢).

وكان النبى ﷺ : يبقى أيامًا لا يأكل شيئًا(٣).

واعلم أن الجوع أحد أركان المجاهدة، وبسببه تنفجر ينابيع الحكمة لأهل السلوك، وهو من صفات أهل الحقيقة.

وكان «سهل بن عبد الله»(٤) لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يومًا، فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال، وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده.

---

(١) الآية رقم (١٥٥) من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الحشر.

(٣) حديث: «كان النبى ﷺ يبقى أيامًا لا يأكل».

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث حيث قال: «كان ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير».

رواه أحمد بن حنبل، والترمذي، وابن ماجه، كلهم عن ابن عباس ﷺ.

الحديث رقم (١٦٦٠٧) ٥/ ٢٠٧.

(٤) (سهل بن عبد الله) التسترى، أبو محمد، أحد أعمدة التصوف فى عصره، له كرامات شهيرة، ومؤلفات هامة، تركها منها تفسيره للقرآن، لقى ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج، وتوفى، رحمه الله تعالى، سنه ٢٩٣هـ.

كان يقول: «الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة» يقصد الانتباهة بالموت، لحديث الرسول ﷺ : «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

انظر ترجمته فى كشف المحجوب ١٦٧، الجامى: نفحات الأنس ٢١٣، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٤٢٩، السلمى: طبقات الصوفية ٢٠٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، =

وكان يقول: جعل الله فى الشبع الجهل والمعصية، وفى الجوع العلم والحكمة.

وكان، رحمة الله عليه، إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوى.

وقال «عبد العزيز بن عمير»[(١)]: جاع صنف من الطير أربعين صباحًا ثم طاروا فى الهواء، ورجعوا بعد أيام ورائحة المسك تفوح منهم.

[قال «الإمام القشيرى»[(٢)]: لا يبعد أنهم وصلوا الجنة][(٣)].

وقال أبو سليمان الدارانى[(٤)]: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

وقال «يحيى بن معاذ الرازى»[(٥)]: الجوع نور، والشبع نار.

وقال الإمام «أبو بكر بن فورك»[(٦)] رحمة الله عليه:

= الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٦٦، القشيرى: الرسالة ص١٥، الشيخ محمود خطاب السبكى مختصر أعذب المسالك بتحقيقنا ص ٩٢.

(١) (عبد العزيز بن عمير) أصله من خراسان، لكنه سكن دمشق.

كان يقول: «إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا فيُرى أثره عليه، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل، كيف لا يُرى أثره عليه».

وقال: «النفس أمّارة بالسوء، فإذا جاء العزم من الله، عز وجل، كانت هى التى تنازعك الخير».

انظر ترجمته فى: ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٨٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٤) (أبو سليمان الدارانى) هو: عبد الرحمن بن عطية، من أهل داريا، قرية من قرى دمشق، توفى رحمه الله سنه ٢١٥هـ، أسند الحديث، منه ما يذكره أو ما أسنده إلى رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه».

وهو حديث حسن أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والسيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ٥١١.

كان يقول: «إذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت» وقال: «من صارع الدنيا صرعته».

انظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٩١، الرسالة القشيرية ١٩، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ١٩٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٤٥٦.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) (أبو بكر بن فورك) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى، الفقيه، المفسر، درس فى العراق ثم رحل إلى نيسابور، يقال: إنه ألّف أكثر من مائة كتاب، قتل، رحمه الله، بالسم سنة ٤٠٦هـ، من تلاميذه أبو القاسم القشيرى.

انظر ترجمته فى: سركين: تاريخ التراث العربى ٢/ ٢٨٨، كحالة: معجم المؤلفين ٩/ ٢٠٨، البغدادى: هدية العارفين ٢/ ٦٠.

همُّ العيال نتيجة متابعة شهوة الحلال، فكيف تكون نتيجة متابعة شهوة الحرام.

[وقيل «للربيع»[٧]: قد غلا السعر، فقال: نحن أهون على الله تعالى من أن يجيعنا، إنما يجيع أولياءه][٨].

[وقال أبو على الدقاق[١]، رحمه الله عليه:

قام فقير من مجلس يطلب شيئًا فقال: إنى جائع منذ ثلاث[٢]، فصاح عليه بعض المشايخ وقال: كذبت، إن الجوع سرّ الله، وهو لا يضع سرّه [إلاّ][٣] عند من يحمله إلى من يريد][٤].

وقال أبو على الروذبارى[٥]: إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام: أنا جائع فألزموه بالسوق، وأمروه بالكسب.

[وقال «أبو تراب النخشبى»[٦]: ما تمنّت علىّ نفسى إلاّ مرّة واحدة على خبز

---

(١) هو (الربيع بن خثيم) وفى نسخ الأصل (خيثم) والصحيح ما أثبتناه، وهو: الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن منقذ بن نصر من مُضر، أبو يزيد الكوفى، المخبت، الورع، الحافظ لسره، المعترف بذنبه، المفتقر لربه، روى عن النبى ﷺ مرسلاً، وعن عبد الله بن مسعود، وأبى أيوب الأنصارى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وغيرهم.

وروى عنه: إبراهيم النخعى، وبكر بن ماعز، وعامر الشعبى، قال عنه يحيى بن معين: لا يُسأل عن مثله.

كان لما حضره الموت بكت ابنته فقال: يا بنيّه، ما تبكين؟ قولى: يا بشراى، لقى أبى الخير.

قال العجلى: ثقة تابعى، مناقبه كثيرة، توفى سنة ٦٣هـ بعد مقتل الحسين رضي الله عنه.

انظر ترجمته فى: المزى: تهذيب الكمال ٦/ ١٣٠ ترجمة رقم (١٨٤٢) ابن حبان: الثقات، العجلى: الثقات، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢١٠، المناوى: الكوكب الدرى: ١/ ١٩٧، ابن قتيبة: المعارف: ٤٩٧.

(٢) هذه الفقرة بين المعقوفتين على هامش النسخة (جـ) ومتأخرة عن مكانها فى النسخة (د).

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) لفظ (ثلاث) سقط من (د).

(٥) الكلمة بين المعقوفتين يتطلبها السياق.

(٦) هذه الفقرة بين المعقوفتين مستدركة على هامش النسخة (جـ).

(٧) (أبو على الروذبارى) تقدمت ترجمته.

(٨) (أبو تراب النخشبى) واسمه: عسكر بن حُصين، ويقال: عسكر بن محمد بن حصين، صحب أبا حاتم العطار البصرى، والأصم، وهو من جلة مشايخ خراسان المذكورين بالعلم، والفتوة، والتوكل، والزهد، والورع توفى، رحمه الله، سنة ٢٤٥هـ.

كان يقول: «ليس من العبادات شىء أنفع من إصلاح خواطر القلوب». =

وبيض(١)، وأنا مسافر، فدخلت إلى قرية لطلب الخبز والبيض فوثب رجل وتعلق بى وقال لقومه: وهذا كان معهم(٢)، فبطحونى وضربونى سبعين سوطا، فمرّ بى رجل فعرفنى فخلّصنى منهم وعرّفهم بى، فاعتذروا إلىّ، وأدخلنى رجل منهم إلى منزله وقدّم لى خبزاً وبيضًا، فقلت لنفسى: كُل شهوتك بعد سبعين جَلدة.

وقيل: [إن](٣) أبا تراب أكل من البصرة إلى مكة واحدة](٤).

= انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ١٤٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٤٥، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ١٤٥، الشعرانى: الطبقات ١/ ٩٦، الرسالة القشيرية ٢٢، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٠٨.

(١) فى (د): (على خبزاً وبيضًا).

(٢) فى (د): (وهذا معهم).

(٣) كلمه يقتضيها السياق.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب السابع عشر[١]

فى القناعـــة

القناعة فى اللغة: الرضى[٢] بالقسم.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هى السكون عند عدم المألوفات.

وقيل: هى الاكتفاء بالقليل.

وقيل: هى الاستغناء بالموجود، وترك التطلع إلى المفقود.

وقال «عكرمة»[٣] رحمة الله عليه، وغيره من أئمة التفسير فى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٤].

إن المراد بالحياة الطيبة القناعة.

وفى قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾[٥]: إنه القناعة

وقيل فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٦]: أى: البخل والطمع.

(١) الأبواب مختلفة فى النسختين وأشرت إلى ذلك كثيراً.

(٢) فى، (جـ): (الرضاء) وكذا فى (د).

(٣) (عكرمة) هو: أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله المدنى، مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جميعًا، من كبار التابعين، ومن أعلم الناس بالتفسير، والمغازى، أصله من (بربر) المغرب، كان كثير الطواف، دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرها، روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، روى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له: «انطلق فأفت للناس».

توفى، رحمه الله، سنة ١٠٤هـ، وقيل: سنه ١٠٥هـ.

انظر ترجمته فى: ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٧، ابن قنفذ القسنطيتى: كتاب الوفيات ص ١٠٦، المزى: تهذيب الكمال: ١٣/ ١٦٣ ترجمة رقم (٤٥٩٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣.

(٤) الآية رقم (٩٧) من سورة النحل.

(٥) الآية رقم (٥٨) من سورة الحج.

(٦) الآية رقم (٣٣) من سورة الأحزاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾: أى بالسخاوة والقناعة، وقيل: بالسخاء والإيثار.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾(١): إنه أراد بالملك كمال الحال فى القناعة.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيداً ﴾(٢): أى: لأسألن الله أن يسلبه القناعة، ويبتليه بالطمع.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾(٣): إنه القناعة فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾(٤): إنه الحرص فى الدنيا.

وقال النبى ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى»(٥).

وقال النبى ﷺ: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»(٦).

وفى الزبور: القانع غنىٌّ وإن كان جائعًا.

وقال بعض الحكماء: من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة.

وقيل: وضع الله خمسة فى خمسة:

* العز فى الطّاعة(٧).
* والذل فى المعصية.
* والهيبة فى قيام الليل.
* والحكمة فى البطن الخالى
* والغنى فى القناعة(٨).

---

(١) الآية رقم (٣٥) من سورة ص.

(٢) الآية رقم (٢١) من سورة النمل.

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة الانفطار.

(٤) الآية رقم (١٤) من سورة الانفطار.

(٥) حديث «القناعة كنز لا يفنى».

رواه الطبرانى، والعسكرى عن جابر ﷺ، والقضاعىّ عن أنس بدون «وكنز لا يفنى» قال الذهبى: إسناده واه، والمشهور هذا الحديث هنا فى الترجمة، وفيه أحاديث كثيرة مشابهة.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ١٠٢ حديث رقم (١٩٠٠).

(٦) حديث: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس».

رواه أحمد بن حنبل، والترمذى فى سننه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ﷺ.

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وفى أوله: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم...» الحديث رقم (٢٨٤) ١/ ٧٣.

(٧) فى (جـ): (العز فى القناعة).

(٨) وكرر القناعة هنا أيضًا، مما يدل على أن الأول خطأ.

وقيل: من قنع استراح من الشغل، واستطال على الكل.

وقيل: من نظرت عيناه [إلى][1] ما في أيدى الناس طال حزنه.

وقيل: ما دام العـقاب في مطاره[2] فلا تسمـو إليه همة الصيـاد، فإذا حطه الطمع إلى الجيفة علق في الحبالة.

أيها السالك، عليك بقطع مـادة الطمع بسيف القناعة، فإن موسى، عليـه السلام، لما مال إلى الطمع بقـوله للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3] عوقب بقـول الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[4].

وقيل: إن الله تعالى بعث ظبيا قام [بين يدى][5] موسى والخضر، عليهما السلام، عند قول موسى هذا القول، وكان جانب الظبى مما يلى الخضر مشويًا، ومما يلى موسى نيئًا.

إشارة إلى أن الخضر صبر على الجوع فظفر[6]، وأن موسى، عليه السـلام، لم يصبر فلم يظفر بالأكل.

واعلم أن مثل الطـامع كمثل كلب المـزابل، يقطع طول عمـره بحذاء دكان القـصَّاب لرجاء عظم، أو قطعة لحم ولا يجدها.

ومثل القانع مثل كلب الصيد، لما ترك الجـهل والبطالة والخسة والشره، وقطع طمعه عن لحم القصَّـاب وعمل لمالكه فـحمل إليه أطايب لحم القـصَّاب والصيد، وزاده الخـبز والمرق وغيرهما.

فالحريص محروم، والعالى الهمة ينال ما طلب وما لم يطلب.

والله أعلم.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) أى: فى طيره، وفى (جـ): (مكانه).

(٣) الآية رقم (٧٧) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٧٨) من سورة الكهف.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٦) غير واضحة فى (د).

الباب الثامن عشر

فى التوكــــــل

التوكل: هو الثقة بما عند الله تعالى، واليأس عمَّا فى أيدى الناس.

وقيل: هو أن يستوى عند الإنسان الإكثار والإقلال.

وقيل: هو إسقاط همّ الوقت الغائب.

وقيل: هو بقاء العبد مع الله تعالى بلا علاقة.

وتفسير العلاقة، ما ذكره «يحيى بن معاذ»[(١)] رحمة الله عليه، فى قوله: لبس الصوفىّ حانوت، والكلام فى الزهد حرفة، وصحبة القوافل تعرُّض وبهذه كلها علاقات[(٢)].

وقيل: التوكل تمام اليقين بالله تعـالى، لأن اليقين بالله تعالى لا يكون إلاّ بحسن الظن به، والثقة بـما وعد من الرزق، والرضى بما جـرى به قضاؤه وقدره، فإذا تمّ الـيقين بالله تعالى سُمّى توكلا.

وقيل: التوكل بداية، وهو صفة المؤمنين.

والتسليم واسطة، وهو صفة الأولياء.

والتفويض نهاية، وهو صفة خواص الخواص.

فقد مدح الله تعالى التوكل، وحثّ عليه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[(٣)].

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٤)].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٥)].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (د): (علاقة).

والمقصود فى السير إلى الله أن يقطع المريد العوائق والعلائق التى تعطله عن السير إليه تعالى.

(٣) الآية رقم (٣) من سورة الطلاق.

(٤) الآية رقم (٢٣) من سورة المائدة، وما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٥) الآية رقم (١٥٩) من سورة آل عمران.

وقال النبى ﷺ : «التوكل نصف العبادة، والدعاء نصفها»(١).

وقال النبى ﷺ : «لو توكلتم على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»(٢).

وقال لقمان(٣) لابنه: يا بُنى، إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه كثير من(٤) الناس، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وشراعها التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أظنك ناجيًا.

واعلم أن التوكل على قسمين:

* **توكل العوام:** هو تفويض أمر الرزق إلى الله، وترك التعلق بالأسباب ثقة بوعد الله تعالى، واعتمادًا على كرمه.

* **وتوكل الخواص:** وهو تفويض الأمر إلى الله تعالى فى كل شىء حتى يبقى العبد تحت أحكام القضاء والقدر، عديم الحركة والاختيار، كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء، وهو عديم الحركة بالبدن، وعديم الاختيار بالقلب، فإن وقع فى قلبه الحركة كان متحركا بالله تعالى، وإن وقع فى قلبه السكون كان ساكنًا بالله تعالى.

وإلى هذا أشار من قال: التوكل هو اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.

قال أهل الحقيقة: المتوكل على التحقيق كان إبراهيم الخليل، عليه السلام، فإنه لما ألقاه «النمروذ» إلى النار فى كفة المنجنيق لقيه جبريل فى الهواء وهو نازل إلى النار فقال له: يا خليل الله، ألك حاجة؟ [فقال](٤) : أمَّا إليك فلا.

وكمال التوكل لا يظهر إلا عند نزول البلاء، فالخليل صلوات الله عليه كان كالذهب الإبريز عرض على النار لارتفاع شك(٥) الشاكين فيه فلم تؤثر فيه النار إلاَّ إظهار كمال الجوهرية والصفاء.

---

(١) حديث (التوكل نصف العبادة...).

لم أقف عليه بهذا اللفظ، انظر الذى بعده وتخريجه.

(٢) حديث (لو توكلتم على الله حق توكله...).

رواه الترمذى، والحاكم وصححاه من حديث عمر رضي الله عنه.

انظر المغنى عن حمل الأسفار، الحافظ العراقى، على هامش الإحياء ٤/ ٢٣٩، ٢٦٠.

(٣) لفظ (لقمان) سقط من (د).

(٤) فى (د) (ناس كثير).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د)

(٦) فى (جـ) (الشك).

وقيل: علامة[١] توكل العوام ثلاث:

* أن لا يسأل الفقير، ولا يرد، ولا يدخر.

وعلامة[١] توكل الخواص: أن يكون الفقـير بحيث لو أحاطت به السـباع والأفاعى لم يتحرك لها قلبه.

واعلم أن التوكل محله القلب، وحـركة الظاهر لا تنافيه بعد أن يتيـقن العبد أن الكل بتقدير الله تعالى، فإن تيسَّر شىء فبتقديره، وإن تعسَّر فبتقديره أيضًا.

[وجاء رجل إلى النبى ﷺ على ناقة، فقال:

يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال: «لا، اعقلها وتوكل»[٢].

وقيل: كان «إبراهيم الخواص»[٣].محققـًا فى التوكل مدقّقًا فيـه، وكان لا يفارقه إبرة ولا خيط، ومقراض، وركوة.

فقـيل له فى ذلك، فقال: إن الله تعـالى فرضه لا يتـأدى إلاَّ بذلك، لأنه ليس لى إلاَّ ثوب واحد خلق، فربما انفتق، أو انحرق فظهرت العورة، فمنعت جواز الصلاة.

وقال «الحسن»[٤] أخو «سنان»: حججت أربع عشرة حجة حافيا متوكلا، وكان يدخل فى رجلى الشوك فلا أخرجه لئلا ينقض توكلى][٥].

وقيل: من ادَّعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادًا.

وجاء جماعـة من الشام إلى «بشر الحافى»[٦] وطلبوا منه أن يـحج معهم فـقال لهم: نعم، ولكن بثلاثة شروط:

* أن لا نحمل معنا شيئًا.

* ولا نسأل أحدًا[٧] شيئًا * ولا نقبل من أحدٍ شيئًا.

---

(١) فى (جـ) علامات.

(٢) حديث (اعقلها وتوكل).

راواه الترمذى من حديث أنس ﷺ، قال يحيى القطان: منكر.

ورواه ابن خزيمة فى التوكل، والطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى بإسناد جيد قيدها.

انظر: العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٤٠/ ٢٧٢.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (الحسن) أخو سنان، لعله قصد: حسان بن أبى سنان.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (د) (من أحد).

فقالوا: أمَّا الأول والثانى فنقدر عليه، وأمّا الثالث فلا نقدر عليه.

فقال أنتم [إذًا][1] الذين تحجون متوكلين على زاد الحُجَّاج.

[وقال «أبو حمزة الخُراسانى»[2]: حججت سنة، فبينا أنا فى الطريق إذ وقعت فى بئر وطلبت مِنِّى نفسى أن أستغيث فلم أفعل، فما تم هذا الخاطر حتى مَرَّ برأس البئر رجلان.

فقال أحدهما لصاحبه: تعال نسد رأس هذا البئر، لئلا يقع فيها أحد فوافقه صاحبه فهممت أن أصيح، ثم قلت فى نفسى: لى من هو أقرب منهما، ثم سكَتُّ حتى سدّا رأس البئر ومضيا، فلمَّا مضت ساعة سمعت حس شىء فتح رأس البئر ودلى رجله وقال لى بلسان حاله: تعلق برجلى، فتعلقت بها، فأخرجنى، فإذا هو سبع فتركنى ومرَّ، فسمعت هاتفًا يقول: يا أبا حمزة، كيف ترى نجيناك من الهلاك بالهلاك.

وقال «أبو سعيد الخراز»[3]: دخلت البادية مرة بغير زاد، فأصابتنى فاقة، فرأيت المنزل من بعيد فسررت بالوصول، ثم فكرت أننى سكنت إلى غير الله فى توكلى، فأبيت ألاّ أدخل المنزل إلاّ أن أحمل إليه من الضعف.

وقال «إبراهيم الخواص»[4]: بينا أنا أسير فى البادية إذ قال لى أعرابىٌّ: يا إبراهيم، التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك، أما تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك، اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل.

وحاصل الأمر أن التوكل من المقامات العالية الشريفة، ولكنه عزيز الوجود جدًا][5].

---

(١) ما بين المعقوفتين يقتضيه السياق.

(٢) (أبو حمزة الخراسانى) أصله من نيسابور، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، سافر مع أبى تراب النخشبى وأبى سعيد الخراز.
كان يقول: (من فضح نفسه كرُمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه).
انظر ترجمته فى: الرسالة القشيرية ٣٣، السلمى: طبقات الصوفية ٣٢٦، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٢٠.

(٣) (أبو سعيد الخراز) واسمه: أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون، وأبا عبد الله النباجى، وأبا عُبيد البسرى، وهو من أئمة القوم، توفى، رحمه الله سنه ٢٧٩هـ.
كان يقول: (لولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السلام فى كنفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل).
انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٤٦، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٤٥، الشعرانى: الطبقات ١/ ١١٧ القشيرى: الرسالة ٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٥٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٩٢.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب التاسع عشر

فى البـــلاء

قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٣).

اعلم أن البلاء على ثلاثة أقسام:

أحدها: البلاء على المخلصين، وهو نعمة وعقوبة.

والثانية: البلاء على الأتقياء [وهو رفع لدرجتهم](٤) وتكفير للذنوب.

والثالث: البلاء على الصديقين والأنبياء وهو اختيار وامتحان.

وقال بعضهم: البلاء محنة للغافلين [ومنحة للعارفين](٥).

وقال النبى ﷺ: «أشد الناس بلاء النبيون ثم الصالحون»(٦).

وقال النبى ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»(٧).

---

(١) الآية رقم (١١) من سورة الأحزاب. (٢) الآية رقم (١٦٨) من سورة الأعراف.

(٣) الآية رقم (٣٥) من سورة الأنبياء. (٤) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٦) حديث (أشد الناس بلاءً النبيون ثم الصالحون).

رواه الطبرانى فى الكبير عن أخت حذيفة رضي الله عنها.

حديث رقم (٣٠٧٠) وفيه: «ثم الأمثل فالأمثل» و «الأنبياء» بدلا من «النبيون» ١/ ٥٩٤.

وورواه ابن النجار عن أبى هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «الأنبياء» الحديث رقم (٣١٢٠) ١/ ٦٠١.

انظر جامع الأحاديث للسيوطى.

(٧) حديث (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).

أولاً: انظر تخريج الحديث السابق.

ثم انظر الحديث رقم: (٣٠٦٨) رواه: أحمد بن حنبل، والبخارى، والنسائى، وابن ماجه، كلهم عن سعد رضي الله عنه.

وقيل: فى الأمراض والأوجاع فوائد أربعة:

* تطهير عن الذنوب(١).
* وتذكير بالآخرة.
* ومنع عن المعاصى.
* وإخلاص فى الدعاء.

وقال ﷺ: «إن أهل العافية يودون يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض فى الدنيا، لما يشاهدون من ثواب أهل البلاء»(٢).

وقال النبى ﷺ: «إن الله يتعهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهد الوالد ولده بالغذاء»(٣).

= والحديث رقم (٣٠٦٩) رواه ابن حبان، عن أبى سعيد رضي الله عنه.
والحديث رقم (٣٠٧٠) وتقدم تخريجه السابق مباشرة.
والحديث (٣٠٧١) رواه ابن ماجه، وأبو يعلى، والحاكم كلهم عن أبى سعيد، أيضًا، رضي الله عنه.
والحديث رقم (٣٠٧٢) رواه أحمد بن حنبل، والطبرانى عن فاطمة بنت اليمان رضي الله عنها
جامع الأحاديث للسيوطى ١/ ٥٩٣، ٥٩٤.

(١) فى (د) تطهر.

(٢) حديث: (إن أهل العافية يودُّون يوم القيامة...).

(٣) حديث: (إن الله يتعهد عبده المؤمن بالبلاء...).
رواه البيهقى فى الشعب، وابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه بلفظ (ليتعاهد) وبزيادة شطر آخر.
انظر: جامع الأحاديث للسيوطى ١/ ٣٢٥، حديث رقم (٥٤٤٨).

الباب العشرون

فى الصبر

قال الجنيد[١]: الصبر تجرع المرارة من غير تعبُّس[٢].

وقيل: هو ترك الشكوى.

وقيل: هو استقبال البلاء بالرضى[٣] والثبات.

وعلامته: أن يكون بين أصحابه لا يفرق بينه وبينهم وهو فى غمرات البلاء، وبهذا فُسر[٤] قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾[٥].

وقيل: علامته أن تستوى عنده النعمة والنقمة.

وقال «إبراهيم الخواص»[٦]: [الصبر هو][٧] الثبات على أحكام الكتاب والسنّة.

وقد أمر الله تعالى بالصبر ومدح الصابرين وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾[٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[١١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[١٢].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١٣].

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) فى (د) تعبيس).
(٣) فى (جـ) و (د) (الرضاء).
(٤) (ولهذا) فى (د).
(٥) الآية رقم (٥) من سورة المعارج.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) ما بين المعقوفتين سقطت من (د).
(٨) الآية رقم (٢٠٠) من سورة آل عمران.
(٩) الآية رقم (٨٠) من سورة القصص.
(١٠) الآية رقم (٤٣) من سورة الشورى.
(١١) الآية رقم (١٧٧) من سورة البقرة.
(١٢) الآية رقم (٤٦) من سورة الأنفال.
(١٣) الآية رقم (١٠) من سورة الزمر.

وقال النبى ﷺ : «ما أعطى أحد شيئًا بأفضل من الصبر»(١).

وقال ﷺ : «الصبر نصف الإيمان»(٢).

وقال النبى ﷺ : «الإيمان: الصبر والسماحة»(٣).

وقال النبى ﷺ : «انتظار الفرج بالصبر عبادة»(٤).

وقال «علىٌّ»(٥) كرَّم الله وجهه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد(٦).

---

(١) حديث: (ما أعطى أحد شيئا بأفضل من الصبر) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) حديث: (الصبر نصف الإيمان).

رواه أبو نعيم فى الحلية: والبيهقى فى شعب الإيمان، كلاهما عن ابن مسعود.

الجامع الصغير للسيوطى ٢/ ٤٩ وقال: حديث ضعيف.

ورواه البيهقى فى الشعب أيضًا عن المغيرة بن عامر، حديث رقم (٤٤٤٨) وكذا عن عبد الله حديث رقم (٤٨، (٩٧١٦) ، (٩٧١٧) انظر مختصر أعذب المسالك ١٢٦ .

وانظر: العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٦٠.

(٣) حديث (الإيمان: الصبر والسماحة).

قال العراقى: سئل عن الإيمان فقال: «الصبر والسماحة».

رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق، وابن حبان فى الضعفاء، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف.

ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده.

انظر: المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٦٠.

(٤) حديث: (انتظار الفرج بالصبر عبادة).

رواه الترمذى، وابن أبى الدنيا، فى الفرج عن سعد بن أبى وقاص.

وروياه أيضًا وأبو داود، والنسائى، والبيهقى فى الشعب، والعسكرى فى الأمثال، والديلمى، كلهم عن ابن مسعود مرفوعًا، بلفظ: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل من فضله، وأفضل العبادة انتظار الفرج».

وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر فى بعض حواشيه.

وما رواه العسكرى والقضاعى عن ابن عمر رفعه باللفظ: «انتظار الفرج بالصبر عبادة».

انظر العجلونى حديث رقم (٦٢٧) ١/ ٢٠٦.

(٥) تقدمت ترجمته للإمام علىّ. انظرها.

(٦) نزل منزل الحديث، فأورد العراقى فى المغنى أن الديلمى ذكر رواية فى مسند الفردوس ليزيد الرقاشى عن أنس مرفوعًا تقول: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد».

وقال: يزيد ضعيف.

انظر المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٦٠.

وقال: الصبر مطية لا تكبو[(١)].

وقيل الصبر أفضل من الشكر، لأن الشاكر مع المزيد [والصابر مع الله][(٢)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(٣)].

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٤)].

والصبر على خمسة أقسام:

* صبر لله تعالى.
* وصبر فى الله تعالى.
* وصبر مع الله تعالى.
* وصبر عن الله تعالى.
* وصبر بالله تعالى.

* فالصبر لله عناء.
* والصبر فيه [أى: فى حق الله][(٥)] بلاء.
* والصبر به بقاء.
* والصبر معه وفاء.
* والصبر عنه جفاء.

والفرق بين الصبر والمصابرة:

[أن المصابرة هى الصبر على مرارة الصبر حتى تستغرق الصبر فى الصبر، فيستمد الصبر من الصبر إلى أن يفنى الصابر والمصبر][(٦)].

وقيل [فى][(٧)] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[(٨)]: إن الصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة.

---

(١) فى (جـ) (فاركبوا) وفى (د) (لا تكبوا).
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د).
(٣) الآية رقم (٤٦) من سورة الأنفال.
(٤) الآية رقم (٧) من سورة إبراهيم.
(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).
(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).
(٧) ما بينهما سقط ويقتضيه السياق.
(٨) الآية رقم (٢٠٠) من سورة آل عمران.

فمعناه: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى فى الله، وصابروا بالله [أى: فى حق الله][(١)]، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله.

وقيل معناه: اصبروا فى الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله.

وقيل: إنما قال الله تعالى فى حق أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾[(٢)]، ولم يقل صبوراً، والصبور أبلغ فى معنى الصبر من الصابر، لأنه لم يمكن جميع أحواله الصبر، بل كان فى بعض أحواله يلتذ بالبلاء، ويستعذبه، فلم يكن فى تلك الحال صابراً، لأن الصبر لا يكون إلاَّ مع المشقة والكراهة.

[فإن قيل: كيف شكى أيوب عليه السلام فقال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[(٣)] وقلتم: إن الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى.

فجوابه: أنه ورد فى الخبر أن الله تعالى كان يعوده فى الأسحار[(٤)] أيام البلاء بغير واسطة، ولا قطع مسافة، فيقول له: حبيبى أيوب، كيف أنت فى بلائى وحلول الأوابى، فلما شمَّ أيوب، عليه السلام، رائحة العافية تأوَّه حسرة على مفارقة أنس تلك العيادة، فاستوحش لذلك وشكى.

وقيل: إنما قال فى شكواه: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[(٥)] ولم يقل: ارحمنى، حفظًا للأدب، فطلب الرحمة تعريضًا لا تصريحًا.

وقيل: الأحسن للعابد الصبر، وللمحب ترك الصبر.

ولهذا وعد يعقوب، عليه السلام، بالصبر بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[(٦)]، ثم لم يحس حتى قال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[(٧)].

وسُئل أبو سليمان[(٨)] عن الصبر فقال: والله لا نصبر على ما نحب، فكيف نصبر على ما نكره.

وسُئل «السّرى»[(٩)] عن الصبر، فأخذ يتكلم فيه فدبت على رجله عقرب فأخذت تضربه مرة بعد مرة وهو ساكن.

---

(١) ما بينهما سقط من (د).
(٢) الآية رقم (٤٤) من سورة ص.
(٣) الآية رقم (٨٣) من سورة الأنبياء.
(٤) فى (د) (أسحار).
(٥) بقية الآية السابقة.
(٦) الآية رقم (٨٢) من سورة يوسف.
(٧) الآية رقم (٨٤) من سورة يوسف.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) تقدمت ترجمته

فقيل: هلاّ ألقيتها؟.

فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى الصبر ولا أصبر.

ووقف رجلٌ على «الشبلى»[١] أىُّ الصبر أشد على الصابرين؟

فقال: الصبر فى الله.

قال: لا.

قال: الصبر لله.

قال: لا.

قال: الصبر مع الله.

قال: لا.

قال له الشبلى: أىُّ الصبر هو؟.

فقال: الصبر عن الله.

فصرخ الشبلى[٢] صرخة كادت تخرج روحه معها.

وقال بعضهم: تجرَّع الصبر، فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزاً.

وقال بعضهم: دخلت بلاد الهند فرأيت شيخًا بفرد عين، يُسَمَّى الصبور، فسألت عن حاله، فقيل: إنه فى شبابه سافر صديق له فخرج لوداعه فدمعت إحدى عينيه، ولم تدمع الأخرى، فقال للتى لم تدمع: لِمَ لم تدمعى على فراق صاحبى، لأحرمنك نظر الدنيا، وغمضها مذ ستين سنة فلم يفتحها حتى الآن][٣].

(١)، (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

وهو من بداية [فإن قيل: كيف شكى أيوب].

1

الباب الحادى والعشرون

فى الرضــــى[١]

الرضى[٢]: سرور القلب بمر القضاء.

وقيل: هو أن يتحقق العبد أن الله تعالى عدل فى قضائه غير متهم فى حكمه.

وقال أبو سفيان[٣]، رحمة الله عـليه: الرضا أن لا تسأل الله الجنّة، ولا تتـعوذ به من النار.

وقال الشبلى[٤]، رحمة الله عليه، بين يدى الجنيد[٥]، رحمة الله علـيه: لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

فقال له الجنيد: هذا ضيق صدر، وضيق الصدر إنما يكون من عدم الرضى بالقضاء.

وقيل: الراضى بالله تعالى هو الذى لا يعترض على تقديره.

قال الإمام القشيرى[٦]، رحمـة الله عليـه: الواجب على العبدِ أن يرضى ببعـض ما يقضى عليه به لا بكله، فإن القضاء بالمـعاصى وأنواع محن المسلمين لا يجب الرضى به، بل لا يجوز.

وقال بعضـهم: علامة الرضى أن يكون العبـد مريضًا فلا يتـمنى الصحة، وفقـيرًا فلا يتمنى الغنى.

وقيل لرابعة[٧]: متى يكون العبد راضيًا بمر القضاء؟.

فقالت: إذا سرَّته المصيبة كما تسرُّه النعمة؟

وقال الله تعالى فى وصف الذين آمنوال وعـملوا الصالحات: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٨].

---

(١) فى (جـ)، (د) (الرضاء).

(٢) كتبت فى النسختين كالسابقة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أى: رابعة العدوية، وتقدمت ترجمتها.

(٨) الآية رقم (٨) من سورة البينة.

وقال النبى ﷺ : «قال الله تعالى لموسى عليه السلام: إنك لن تتقرب إلىَّ بشىء أحب إلىَّ من الرضى بقضائى»(١).

وقال ﷺ : «من رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل»(٢).

[وقال ﷺ : «من رضى عن الله رضى الله عنه»(٣)](٤).

وقال الإمام القشيرى(٥)، رحمة الله عليه: رضى العبد عن الله تعالى لا يحصل إلاَّ بعد رضى الله عن العبد، لقوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٦).

واختلف العراقيون والخرسانيون فى الرضى، هل هو من الأحوال أو من المقامات؟

فقال الخرسانيون: هو من المقامات، وهو نهاية التوكل، وهو مكتسب كسائر المقامات.

وقال العراقيون: هو من الأحوال، وليس مكتسبًا، بل هو حال كسائر الأحوال.

ووجه التوفيق بين القولين: أن أوله مقام فهو كسب، وآخره حال فليس بمكتسب.

[وقيل «للحسين بن على بن أبى طالب»(٧) رضي الله عنه:

---

(١) حديث: (قال الله تعالى لموسى عليه السلام: إنك لن تتقرب إلىّ بشىء أحبً إلىّ من الرضا بقضائى).
لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) حديث: (من رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه البيهقى فى الشعب عن علىٍّ رضي الله عنه.
انظر الحديث رقم (٢٠٦٦٧) ٦/ ١٦٢).
ورد بلفظ (باليسير من الرزق).

(٣) حديث (من رضى عن الله رضى الله عنه).
رواه ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، هكذا فى جامع الأحاديث للسيوطى، حديث رقم (٢٠٦٦٦) ٦/ ١٦٢.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الآية رقم (٨) من سورة البينة.

(٧) (الحسين بن علىٍّ بن أبى طالب) رضي الله عنه هو: أبو عبد الله، الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى، العدنانى، سبط رسول الله ﷺ وأحد السبطين الكريمين: الحسن والحسين، وريحانتا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة.
استشهد رضي الله عنه، بكربلاء عن ست وخمسين سنة، وقصة استشهاده مشهورة فى التاريخ تدمى القلوب على فلذة الأكباد وشيخ المشايخ، ولولا كرم الله للاقت هذه الأمة أسوأ ما يمكن.
له ترجمة فى كثير من كتب التاريخ. =

إن أبا ذر(١)، رضي الله عنه، يقول: الفقر أحب إلىَّ من الغنى، والسُّقم أحب إلىَّ من الصحة.

فقال رحـمة الله عليه: يا أبا ذر، أمَّا أنا فـأقول: من وثق بحسن اختـيار الله تعالى لم يختر غير ما اختاره الله له](٢).

وسُئِل أبو عثمان(٣)، عن قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنى أسألك الرضى بعد القضاء».

فقـال: إنما قـال ذلك لأن الرضى قبل القـضاء عـزم على الرضى، وأما الرضـى بعد القضاء فهو الرضى به حقيقة.

وكتب عمر(٤) إلى أبى موسى الأشعرى(٥):

أمَّا بعد، فإن الخير كله فى الرضى، فإن استطعت أن ترضى وإلاّ فاصبر.

= انظر مثلا: الديار بكرى: تاريخ الخميـس ٢/ ٢٩٧، مقاتل الطالبين ٥٤، ٦٧، تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٥، تهذيب ابن عسـاكر ٤/ ٣١١، ابن الجوزى: صفة الصـفوة ١/ ٣٢١، ابن الأثير: الكامل فى التـاريخ ٤/ ١٩، ابن قنفذ القـسنطينى: كتـاب الوفيـات ٧٤، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ١٠٠، ابن قتيبة: المعارف ٢١٣.

(١) (أبو ذر الغفارى) هو: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبـيد، من بنى غفار، ومن كبالر الصحابة، وأول من حيَّا الرسول صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام، لم تكن تأخذه فى الحق لومة لائم، هاجر إلى الشام بعد وفـاة النبى صلى الله عليه وسلم وسكن دمشق، ثم انتـقل إلى الربوة، من قرى المديـنة، وظل بها إلى أن مات رضي الله عنه سنه ٣١هـ.

انظر: ابن حجر: الإصابة ٧/ ٦٠، ابن الجوزى: صفـة الصفوة ١/ ٢٣٨، ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٥١، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٣٩.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ). (٣) (المغربى) وتقدمت ترجمته.

(٤) (عمـر بن الخطاب) بن نفيل، القرشى العـدوى، أبو حفص، ثانى الخلفـاء الراشدين، وأول من لقِّب بأمير المؤمنين.

قال عكرمة: (لم يزل الإسلام فى اختفاء حتى أسلم عمر رضي الله عنه).

وقال ابن مسعود: (ما كنا نقدر نصلِّى عند الكعبة حتى أسلم عمر).

أسلم رضي الله عنه قبل الهجرة بخمس سنين، وبويع بالخـلافة يوم وفاة أبى بكر رضي الله عنه سنه ١٣هـ، بعهد منه وقتل سنه ٢٣هـ، فى أيامه تم فتح الشام، والعراق، ومصر، والقدس، والمدائن، والجزيرة. ومناقبه أكثر وأشهر من أن تحصى، رضى الله عنه وأرضاه.

أنظر: ابن قنفذ القـسنطينى: كتاب الوفيـات ٢٦، العقاد: عبـقرية عمر، ابن الجـوزى: عمر بن الخطاب، محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ابن حجر: الإصابة، الترجمة رقم (٥٧٣٨) وأماكن ترجمته كثيرة جداً.

(٥) (أبو موسى الأشـعرى) هو: عبـد الله بن قـيس بن سـليم، أبو موسـى، من بـنى الأشعر، من =

وقيل: غضب رجل على عبده فاستشفع إليه برجل فعفى عنه[١]، فأخذ العبد يبكى.

فقال الشفيع للعبد: أليس قد عفى عنك سيِّدك، فما[٢] يبكيك؟!.

فقال العبد: حصل لى العفو وبقى الرضا، ولا سبيل إليه [بشافع][٣].

= قحطان، صحابى كريم، من الولاة الفاتحين، ومن أهل السبق فى الإسلام، وأحد الحكمين اللذين رضى بهما علىٌّ ومعاوية فى موقعة صفين، هاجر من بلده زبيد وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، واستعمله الرسول ﷺ على زبيد، وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنه ١٧هـ ومات رضي الله عنه سنة ٤٤هـ، له فى الصحيحين ٣٥٥ حديثا.

انظر ترجمته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٦١، ابن حجر: الإصابة الترجمة (٤٨٨٩) ابن الجوزى: صفة الصفوة ١/ ٣٢٥، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٧٩، أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٥٦.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٢) فى (جـ) (وما يبكيك؟) وصياغة الجملة فى (د) مختلفة قليلا.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

الباب الثانى والعشرون

فى التسليم والتفويض

التسليم والاستسلام: الانقياد، وهو إظهار العبودية والتفويض.

والتفويض: أن لا يختار العبد شيئًا من أمور الدنيا ويكل اختيار ذلك إلى مولاه، ثم لا يختار خلاف ما يختار له.

وقيل: التفويض يكون قبل نزول القضاء، والتسليم يكون بعده.

[وقيل][(١)]: التسليم والتفويض من صفات أهل المعرفة.

وقد مدح الله تعالى بهما الأنبياء، فقال فى حق إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٢)].

وقال فى حق موسى عليه السلام: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ﴾[(٣)].

وقال النبى[(٤)] ﷺ: «إذا أخذ [أحدكم][(٥)] مضجعه فليقل:

اللهم إنى أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، والجأت ظهرى إليك، وفوضت أمرى إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبرسولك الذى أرسلت، فإن مات مات على الفطرة»[(٦)].

---

(١) ما بينهما سقط من (د).
(٢) الآية رقم (١٣١) من سورة البقرة.
(٣) الآية رقم (٤٤) من سورة غافر.
(٤) سقطت من (د).
(٥) سقطت من (جـ).
(٦) حديث (إذا أخذ أحدكم مضجعه فليقل: اللهم إنى...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل:...) بقية الحديث.

وقال: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن جرير، وابن حبان عن البراء.

قال الترمذى: ولا نعلم فى شيء من الروايات ذكر الوضوء إلاَّ فى هذا الحديث، ورواه ابن جرير بدون ذكر الوضوء وزاد فى آخره: (وإن أصبحت أصبحت وقد أصبت خيراً).

الحديث رقم (١٩٨٠) ١/ ٣٧٨ من جامع الأحاديث.

وقال علقمة[١]، رضي الله عنه: قدمْتُ علـى النبى ﷺ وأنا سابع سبعة بين قومى فكلمته فأعجبه كلامنا فقال:

«ما أنتم؟.

قلنا: مؤمنون.

فقال: لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟.

[قلنا][٢]: خمس عشرة خصلة:

خمس أمرتَنا بها.

وخمس أمرنا بها رُسُلك.

وخمس تخلَّقنا بها فى الجاهلية، ونحن عليها إلى الآن.

أمَّا التى أمرتنا بها:

أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيرِه وشرِّه.

وأمَّا التى أمرنا بها رسلك:

* أن نشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأنك محمد عبده ورسوله.

* ونقيم الصلاة.

* ونؤتى الزكاة.

* ونصوم رمضان.

* ونحج البيت إن استطعنا.

وأمَّا التى تخلَّقنا [بها][٣] فى الجاهلية:

* الشكر عن الرضى.

* والصبر عند البلاء.

* والصدق فى مواطن اللقاء.

* والرضى بمرّ القضاء.

---

(١) (علقمة) بن رِمْثَة البلوى.

قال أبو حاتم: له صحبة، وقال ابن يونس: بايع تحت الشجرة وشهد فتح مصر، وروى له البخارى وابن يونس وأحمد، والبغوى، وابن منده من طرق عن يزيد بن أبى حبيب.

انظر ترجمته فى ابن حجر: الإصابة، الترجمة رقم (٥٦٦٢) المجلد الثانى ٢٦٣.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د) وعلى الهامش (قالوا) بخط مغاير، مقابلةً.

(٣) فى (جـ) (عليها).

* وترك الشماتة بالأعداء.

فقال ﷺ: فقهاء، علماء(١) كادوا يكونون أنبياء، ما أشرفها من خصال، ثم ابتسم وقال: وأنا أوصيكم بخمس خصال لتكمل لكم خصال الخير:

* لا تجمعوا ما لا تأكلون.
* ولا تبنوا ما لا تسكنون.
* ولا تنافسوا فيما غدًا عنه راحلون(٢).
* واتقوا الله الذى عليه تقدمون وإليه ترجعون.
* وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون.

وعن «ابن عباس»(٣) رضي الله عنهما فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾(٤) أنه كان لبنة ذهب فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم. عجبًا لمن يعرف الموت كيف يضحك، وعجبًا لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبًا لمن يؤمن بالقضاء والقدر كيف يتعب فى طلب الرزق، وعجبًا لمن يؤمن بالنار كيف يعمل الخطايا، لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.

---

(١) فى (د) (أدباء) وكذا فى (جـ).

(٢) فى (جـ) (ولا تنافسوا فيها غدا عنه ترحلون).

(٣) (ابن عباس) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (٨٢) من سورة الكهف.

الباب الثالث والعشرون

فى التقـــــوى

والتقوى والتقى واحد، وهما فى اللغة بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، وهو ما يقى الإنسان، أى يحفظه، ويحول بينه وبين ما يخافه، مثاله الترس ونحوه من الأجسام.

والصدق والصدقة من الأفعال.

والتقوى عند أهل الحقيقة: اجتناب كل ما يبعد عن الله تعالى.

وقيل: هى الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته.

وقيل: هى أن يجتنب العبد عما سوى الله تعالى.

وقال الواسطى[1] رحمة الله عليه: المتقى من اتقى تقواه.

[وقيل][2]: أى: من اتقى رؤية تقواه.

وقيل: حقيقة التقوى من غير الأنبياء الاحتراز عن الشرك الجلى والشرك الخفى.

والشرك الجلى والخفى أمران مختلفان باختلاف الأشخاص.

فالشرك الجلى من العوام: الكفر.

والشرك الخفى منهم: التوحيد باللسان مع اشتغال القلب بغير الله تعالى.

وهذا هو الشرك الجلى من الخواص.

والشرك الخفى منهم: التفاتهم إلى الدنيا وأسبابها.

وهذا هو الشرك الجلى من خواص الخواص، وهم السابقون والمقربون.

والشرك الخفى منهم: النظر[3] إلى الآخرة ونعيمـها، وتوسلهم بالطاعات لطلب ثواب أو دفع عقاب.

وأمَّا تقوى الأنبياء فمنهم إليه.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (د) (وقيل حقيقة التقوى).

(٣) فى (د) (التفاتهم).

وجزاء العوام على تقواهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[(١)].

وجزاء الخواص على تقواهم، قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٢)].

وجزاء السابقين على تقواهم[(٣)] قوله تعالى: [﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[(٤)].

وأمَّا جزاء الأنبياء على تقواهم فمنه إليهم أيضًا][(٥)].

واعلم أن التقوى من أعظم أركان الدين، وأجل مقامات السالكين وقد كرر الله تعالى [فى كتابه الكريم الوصية بالتقوى، وكرر مدح المتقين أيضًا، فمن ذلك قوله تعالى[(٦)]]: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[(١٠)].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[(١١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[(١٢)].

---

(١) الآية رقم (٤٥) من سورة الحجر.

(٢) الآية رقم (١٣٣) من سورة آل عمران.

(٣) يرسم لفظ تقوا هم فى (جـ، د) (تقونـهم).

(٤) الآية رقم (٥٤) من سورة القمر.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (جـ).

(٧) الآية رقم (١٠٢) من سورة آل عمران.

(٨) الآية رقم (١٦) من سورة التغابن.

(٩) الآية رقم (١٩٧) من سورة البقرة.

(١٠) الآية رقم (٢٩) من سورة الأنفال.

(١١) الآية رقم (٢) من سورة الطلاق.

(١٢) الآية رقم (٣١) من سورة ق.

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وقال النبى ﷺ: «اتق الله حيثما كنت[٢] وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وعاشر الناس بخلق حسن»[٣].

وكان النبى ﷺ يدعـو بهذا الدعـاء: «اللهم إنى أسألك الهـدى والتُّقى[٤] والعفاف والغنى»[٥].

وقال رجل للنبى ﷺ: أوصنى

فقال: عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير»[٦].

وقال «على»[٧] رضي الله عنه: سادات الناس فى الدنيا الأسخياء، وفى الآخرة الأتقياء.

وقال «عبد الله بن عباس»[٨] رضي الله عنهما فى تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٩]: أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُشكَر فلا يُكفَر.

---

(١) الآية رقم (١٣٣) من سورة آل عمران.

(٢) فى (د): (كنتم).

(٣) حديث (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة...).

رواه أحمد بن حنبل، والترمذى، والحاكم، والبيهقى فى الشعب، كلهم عن أبى ذر رضي الله عنه.

ورواه أيضًا أحمد بن حنبل، والترمذى، والبيهقى فى الشعب عن معاذ رضي الله عنه.

ورواه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه.

الحديث رقم (٢٧٨) من جامع الأحاديث للسيوطى ١/ ٧٢.

(٤) فى النسخة (جـ): (والتقوى).

(٥) حديث: (اللهم إنى أسألك الهدى والتُّقَى والعفاف والغنى).

رواه مسلم، والترمذى، وابن ماجه كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

العجلونى: كشف الخفاء ١/ ١٩١ حديث رقم (٥٧٩).

(٦) حديث: (عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه ابن الضريس، وأبو يعلى عن أبى سعيد رضي الله عنه.

وهذا أول جزء من الحديث.

انظر رقم (١٤٢١٨) ٤/ ٥٣٥.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) الآية رقم (١٠٢) من سورة آل عمران.

وقال ابن عطاء[١]، رحمة الله عليه: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهرها: حفظ حدود الشرع، وباطنها: النية والإخلاص فيه.

وقال أبو الحسن الزنجانى[٢]:

من كان رأس ماله التقوى كلّت الألسن عن وصف ربحه[٣].

---

(١) (ابن عطاء) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى، بغدادى، من علماء المشايخ الصوفية، له كلام حسن، ولسان فصيح، فسر القرآن بلسان الإشارة، وهو من تلامذة إبراهيم المارستانى، ومن أصحاب الجنيد والخراز، قُتل ابن عطاء بسبب الحلاج سنه ٣٠٩هـ، فى شهر ذي القعدة.

وسئل عن أفضل الطاعات فقال: (ملاحظة الحق فى جميع الأوقات).

انظر ترجمته فى: الجامى: نفحات الأنس ٤٩٢، السلمى: طبقات الصوفية ٢٦٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، القشيرى الرسالة ٣١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٢.

(٢) أبو الحسن الزنجانى.

لعله: أخو فرج الزنجانى الذى أورده الجامى فى نفحات الأنس، والهجويرى فى كشف المحجوب.

وابن الجوزى أورد أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى.

وزَنجان: مدينة على حد أذربيجان من بلاد الجبل.

توفى سنه ٤٥٧هـ.

انظر: الجامى: نفحات الأنس ٥١٥، الهجويرى: كشف المحجوب ١٧٣، ابن الجوزى: صفة الصفوة ١/ ٣٧٦.

(٣) فى (جـ) (ربحها).

الباب الرابع والعشرون

فى الزهـــد

الزهد فى اللغة: ترك الميل إلى الشيء، وهو ضد الرغبة فيه.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة.

وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك.

وقال الجنيد(١)، رحمة الله عليه: هو خلوُّ اليد من الدنيا، وخلوُّ القلب من طلبها.

وقيل: هو ترك كل ما يشغل عن الله تعالى.

وقيل: هو ترك ما سوى الله تعالى.

وقال «سفيان الثورى»(٢) رحمة الله عليـه، وأحمد بن حنبل(٣) وغيرهما: الزهد قصر الأمل فى الدنيا، وليس هو أكل خبز الشعير ولبس العباء.

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (أحمد بن حنبل) هو: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، الشيبانى، إمام المذهب الحنبلى، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.

أصله من «مرو» ولد ببغداد سنه ١٦٤هـ، وتنقل لطلب العلـم فدخل الكوفة، والبـصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة، وفارس، والمغرب، والجزائر، وغير ذلك.

كانت عنايته فى هذه الأسفار دراسة الحديث، ثم عاد إلى بغداد، وحضر دروس الإمام الشافعى فى الفقه والأصول، ولما ارتحل الشافعى إلى مصـر قال فى حقه: (خرجت من بغداد وما خلّفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل).

ومحنته فى امتناعة فى القول بخلق القرآن مشهورة، وسجن ٢٨ شهراً بسبب هذا الامتناع.

توفى ﷺ سنه ٢٤١هـ.

ترك عدداً من المؤلفات الهامة منها: «المسند».

انظر ترجمته: ابن قنفذ القسنطينى: كتـاب الوفيات ١٧٦، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد، أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/ ١٦١، ابن العـماد: شذرات الذهب ٢/ ٩٦، كحالة: ٢/ ٩٦، الذهبى: تذكرة الحفاظ ٢/ ١٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥، الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢.

وقيل: حقيقة الزهد قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(١).

فالزاهد لا يفرح بموجود فى الدنيا، ولا يحزن على مفقود منها.

[وقال «أبو على»(٢): الزاهد من يترك الدنيا، ولا يقول: أبنى رباطًا ولا أعمر مسجدًا](٣).

وقال «يحيى بن معاذ»(٤): الزهد يورث السخاء بالمل، والحب يورث السخاء بالروح.

واعلم أن الزهد من المقامات الشريفة.

قال النبى ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهدًا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه، فإنه يُلقى الحكمة»(٥).

وقال النبى ﷺ: «من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب»(٦).

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل يحبنى الله ويحبنى الناس، فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد عما فى أيدى الناس يحبك الناس»(٧).

---

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة الحديد. (٢) هو: (أبو على الدقاق) وتقدمت ترجمته.

(٣) ما بين المعقوفتين مستدرك على هامش (جـ).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) حديث: (إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهدًا...) وفى نسخه المخطوط (ومنطقا).

والحديث رواه ابن ماجه فى سننه، وأبو نعيم فى حلية الأولياء، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى خلاد رضي الله عنه، وورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء، أيضًا، والبيهقى فى الشعب، أيضًا، ولكن عن أبى هريرة رضي الله عنه.

انظر: السيوطى جامع الأحاديث، حديث رقم (١٣٨٤) ١/ ٢٧٣.

(٦) حديث (من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب).

لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أورد السيوطى حديثا رقم (١٢٧٥٩) قال النبى ﷺ: «الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا ألا تكون بما فى يديك أوثق منك بما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك» وقال: رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى ذر رضي الله عنه ٤/ ٢٦٦.

من جامع الأحاديث.

(٧) حديث (ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد...).

رواه النووى فى الأربعين، وقال: حديث حسن، وورواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، وورواه الطبرانى، وأبو نعيم، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى، وآخرون، من حديث خالد بن عمرو القرشى، عن سهل بن سعد الساعدى، وانظر طرق رواية الأحاديث وتفاصيله فى العجلونى: كشف الخفاء ١/ ١١٧ رقم (٣٢٣).

ثم قيل: الزهد ترك الحرام لا ترك الحلال.

وقيل: الزهد فى الحرام واجب، وفى الحلال مندوب.

وقيـل: الزهد فى الحلال إنمـا يكون مندوبًا فى حق من يُعلَم من حـاله الصبـر على العسر والشدة.

وقيل: الأفضل أن لا يختار العبد ترك الحـلال تكلُّفًا واختياراً إذا رزقه الله تعالى، ولا يطلب فضلا لا يحتـاج إليه، بل يتبع ما قسم الله تعالى له، فإن رزقـه الله تعالى مالاً حلالاً شكر، وإن لم يوسع عليه صبر، فعلى هذا الشكر أليق بالغنى، والصبر أليق بالفقر.

ويقول «أبو حفص»(١) رحمة الله عليه: الزهد لا يكون إلا فى الحلال، ولا حلال فى الدنيا ولا زهد.

وقال أحمد بن حنبل(٢)، رحمة الله عليه: الزهد على ثلاثة أقسام:

* زهد العوام: وهو ترك الحرام.

* وزهد الخواص: وهو ترك ما زاد على قدر الضرورة من الحلال، أيضًا.

* وزهد العارفين: وهو ترك كل شىء سوى الله تعالى.

وقال «النصراباذى»(٣): الزاهد(٤) غريب فى الدنيا، والعارف غريب فى الآخرة.

وقيل: من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة.

ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة من السماء لما سقطت إلاّ على رأس من لا يريدها.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (النصراباذى) هو: إبراهيم بـن محمد بن مـحمويه، أبو القـاسم النصراباذى، شيخ خـراسان فى وقتـه، يرجع إلى أنواع من العلوم من حـفظ السيـر وجمعـها، وعلوم التـواريخ، وعلم الحـقائق وغيرها.

صحب أبا بكر الشبلى، وأبا على الروذبارى، وأبا محمد المرتعش، وغيرهم من المشايخ.

خرج إلى آخر عمره إلى مكة وحج سنه ٣٣٦هـ، وأقام بالحرم مجاوراً.

ومات، رحمه الله سنة ٣٦٧هـ، كتب الحديث ورواه، وكان ثقة.

كان يقـول: (العبادات إلى طلب الصـفح، والعفو عن تقصـيرها أقرب منهـا إلى طلب الأعواض والجزاء بها).

انظر ترجمته فى: السلمى: طبـقات الصوفية ٤٨٤، القشيرى: الرسالـة ٣٩، الشعرانى: الطبقات ١/ ١٤٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٥٨، ابن تغرى بردى ٤/ ١٢٩.

(٤) فى (د): (قريب) وفى (جـ): (الزهد) وفى هامش (جـ): (العارف عزيز).

وقيل: من تكلم فى الزهد، ووعظ الناس ثم رغب فى دنياهم نزع الله تعالى حب الآخرة من قلبه.

وقيل: إذا زهد العبد فى الدنيا وكّلَ الله تعالى ملكًا يغرس فى قلبه الحكمة.

[وقيل: لِمَ زهدت فى الدنيا؟

فقال: لزهدها فىَّ.

وقال السرّى: مارست كل نوع من الزهد فنلت منه ما أريد، إلاّ الزهد فى الناس، فإنى لم أبلغه ولم أطقه][(١)].

فالحاصل أن الزهد علامة كمال العقل والهداية، لأن العاقل يترك منفعة العاجلة خوفًا من مضرّة الآجل، وينظر فى عواقب الأمور بخلاف الجاهل.

[ولهذا قال بعضهم: ما خرج الزاهدون من الدنيا إلى الله تعالى، بل إلى أنفسهم، لأنهم تركوا النعيم الفانى[(٢)] للنعيم الباقى.

قلت: وهذا [والله][(٣)] فى زهد العوام والخواص، لا فى زهد خواص الخواص، لأنهم زهدوا فى الآخرة، أيضًا، حيث كان زهدهم ترك كل شىء سوى الله تعالى»][(٤)].

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٢) فى (جـ): (النعيم النعيم) وسقطت (الفانى).

(٣) بما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٤) هذه الفقرة ما بين المقعوفتين سقطت من (جـ).

الباب الخامس والعشرون

فى الـــــورع

الورع والتُّقى فى اللغة بمعنى واحد.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع فى المحرمات.

وقيل: هو الوقوف مع ظاهر الشرع من غير تأويل.

وقيل: هو ترك كل شبهة، ومحاسبة النفس فى كل طرفة.

وقال الشبلى، رحمة الله عليه: [الورع: ترك ما سوى الله تعالى][(١)].

وقـد ندب النبى ﷺ إلى الورع فـقـال: «الحلالُ بـيِّـن والحرام بيِّـن وبينهـما أمـور مشتبهات [فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك][(٢)].

وفى روايه أخرى: [قال النبى ﷺ]: «لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقـد استبـرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع فـى الشبهـات وقع فى الحرام] ألاَ وإن لكل مـلك حِمًى، وحمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[(٤)].

وقال ﷺ: «الورع سيد العمل»[(٥)].

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٢) حديث: (الحلال بيّن والحرام بيّن...).

هذا الحديث رواه الطبرانى فى الأوسط بلفظه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

انظر: السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١١٤٣٠) ٤/ ٢٣.

(٣) ما بين المعقوفتين كتب منتصف الحديث، ربما على أنه رواية جديدة، فوضعناه مكانه.

(٤) حديث (الحلال بين...) رواية أخرى.

اتفق عليـه الأربعة عن النعـمان بن بشيـر رضي الله عنه، أبو داود، والترمـذى، والنسائى، وابن مـاجه، الحديث أورده السيوطى فى جامع الأحاديث رقم (١١٤٢٩) ٤/ ٢٢.

(٥) حديث: (الورع سيد العمل).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه الحكيم عن أنس رضي الله عنه.

وهو حديث طويل هذه أول فقرة فيه، انظره رقم (٢٤٨٦١) ٧/ ١٥٦.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: لم يتقرب المتقربون إلىَّ بمثل الورع][1].

وقال بعض أولاد على[2] (كرَّم الله وجهه) ملاك الدين الورع، وآفته الطمع.

وقال «أبو بكر الصِّديق»[3] ﷺ: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام.

وقال «الحسن البصرى»[4] رحمة الله عليه: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة.

وقال «أبو سليمان»[5] رحمة الله عليه: الورع أول الزهد، كما أن الرضى أول القناعة.

وقال «إسحاق بن خلف»[6]: التورع عن الكلام أشق من التورع عن الذهب والفضة، والزهد فى الرياسة أشق من الزهد فى الذهب والفضة أيضًا، لأنهما يُبذلان فى طلب الرياسة.

وقال «بشر الحافى»[7]، رحمة الله عليه: أشق الأعمال ثلاثة:

* الجود فى القلة.
* والورع فى الخلوة.
* وكلمة الحق عند من يُخاف أو يُرجى.

[وقيل: وقع من «عبد الله بن مروان»[8] فلس من حش فاكترى عليه بثلاثين دينارًا حتى أخرجه.

فقيل له فى ذلك، فقال: كان عليه اسم الله.

وحُمِلَ إلى «عمر بن عبد العزيز»[9] مسك من الغنائم، فقبض على أنفه وقال: إنما ينتفع من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومدون بالهامش.

(٢) هو الإمام الحسين ﷺ وتقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو (الدارانى) وتقدمت ترجمته.

(٦) (إسحاق بن خلف).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) (عبد الله بن مروان).

(٩) تقدمت ترجمته.

وقيل: إن «مالك بن دينار»[(١)] أقام بالبصـرة أربعين سنة، ولم يأكل من ثمرها ولا من رطبها شيـئًا، حتى مات، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهـل البصرة هذا بطنى ما نقص منه، ولا زاد فى بطونكم.

وقيل: إن «ابن المبارك»[(٢)] رجع من «مَرْو» إلى «الشام» ليرد قلمًا استعاره.

وقيل: استأجر «النخعى»[(٣)] دابة فسقط السوط من يده فـترك الدابة ورجع إلى السوط فأخذه ثم جاء وركب.

فقيل له: لم لا ترجع بالدابة إلى السوط[(٤)].

فقال: إنى استأجرت الدابة لأمضى لا لأرجع.

وعن «أبى حنيفة»[(٥)] رحمه الله، أنه كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه.

ويقول: «كل قرض جرّ منفعة فهو ربًا»[(٦)].

وحُكى: أن «أبا يزيد البسطامى»[(٧)] اشترى بهمدان قرطًا، وسافر إلى بسطام فوجد فيه نملتين فرجع إلى همدان ووضع النملتين.

---

(١) (مـالك بن دينار) أبو يحـيى، مـالك بن دينار، السـامى الناجى، تابعى، من البـصـرة، الزاهد المعروف، روى عن الصحابى أنس بن مالك، وقدامى التـابعين، كان يكسب قوته من كتابة نسخ القرآن الكريم، ويعتبر من مبكرى علماء المسلمين الذين عرفوا بقراءة الكتب القديمة.
توفى، رحمه الله، سنة ١٢٧هـ على خلاف أنها سنة ١٣١هـ.
انظر ترجمــته فى: سزكـين: تاريخ التراث العـربى ١/ ٤/ ٩٩، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٢٧٧، ابن قتيبة: المعارف ٤٧٠، هامش مختـصر أعذب المسالك ٢٢٩، أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٣٥٧، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

(٢) هو (عبد الله بن المبارك) وتقدمت ترجمته.

(٣) (النخعى) هو: إبراهيم بن يزيد النخعى، العامل العابد الزاهد، كان جامعًا للعلوم، واضعًا لنخوة النفس، كان يخفى عمله الصالح خوفًا من الشهرة.
كان يقـول: (ادركنا الناس وهم يهابون أن يفسـروا شيئًـا من القرآن، والآن كل من أراد تفسـيره جلس إليه!).
انظر ترجمتـه فى: المناوى: الكواكب الدرية ١/ ١٥٠، ابن حجر: تهـذيب التهذيب ١/ ١٧٧، أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٢١٩.

(٤) فى (د) (لم لا رجعت إلى السوط). (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) حديث (كل قرض جرّ منفعة فهو ربا).
رواه الحارث عن علىّ ﷺ، انظره السيوطى: جامع الأحاديث رقم (١٥٨٢٠) ٥/ ٨٥.

(٧) تقدمت ترجمته.

ومَرَّ «عيسى ابن مريم» بمقبرة فأحيا ميتًا وقال له: من أنت؟.

قال: أنا حمال كنت أحمل للناس، فحملت لإنسان حطبًا فتخللت بعود منه، فأنا مطالب به مُذْ مِتُّ.

ورُوى أن رجلاً كتب رُقْعَةً وهو فى بيت كراء، وخطر بباله أن يتربها من جدار البيت، فوقع فى قلبه أن ذلك لا خطر له، ولا قيمة، فأتربها، فسمع هاتفًا يقول: سيعلم المستخف التراب ما يلقاه غدًا من العذاب.

واعلم أن المتورع تورّعا كاملا هو الذى يتورع بلسانه وقلبه وسمعه وبصره، وسائر أعضائه وجوارحه عن المباح المحض بكل عضو فى قدر الضرورة فحسب.

الباب السادس والعشرون

فى اليقيـــــن

اليقين فى اللغة: العلم الذى لا شكّ معه.

واليقين عند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان.

وقيل: اليـقين: هو مـشاهدة الغـيوب بصفـاء القلوب، وملاحظة الأسـرار بمخـاطبة الأفكار.

وقال الجنيد، رحمة الله عليه: اليقين علم لا يتغير ولا يحوَّل.

وقيل: هو زوال الشبهة والمعارضات.

وقيل: هو المكاشفة.

قال الإمام القشيرى[١]: المكاشفة عندهم ظهور الشىء للقلب باسـتيلاء ذكره عليه من غير بقاء شك، وربما أرادوا بها ما يقرب مما يراه الرائى بين النوم واليقظة.

وقد ذكر الله تعالى اليقين فى كتابه العزيز على ثلاثة أوجه:

* علم اليقين.
* عين اليقين.
* وحق اليقين.

فقال أهل الحقيقة:

* علم اليقين: ما يحصل عن الفكر والنظر.
* وعين اليقين: ما يحصل عن العيان[٢].
* وحق اليقين: اجتماعهما.

وقيل: اليقين [ينقسم[٣] إلى] ستة أقسام:

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (جـ) (الأعيان).

(٣) فى (د) (اليقين ستة أقسام).

اسمٌ، ورسمٌ، وعلمٌ، وعينٌ، وحقٌّ، وحقيقةٌ.

فالاسم والرسم للعوام من المؤمنين.

وعلم اليقين لعوام العلماء والأولياء.

وحق اليقين للأنبياء.

وحقيقة اليقين لمحمد ﷺ.

ثم اعلم أن بعض المشايخ جعل اليقين من الأحوال لا من المقامات فجعله غير مكتسب.

وقال بعضهم: هو من المقامات، وأولها: المعرفة، ثم اليقين، ثم التصديق، ثم الإخلاص، ثم الشهادة، ثم الطاعة، فجعل أول الواجبات المعرفة.

وقد ذكر الله تعالى الموقنين فى كتابه الكريم، فقال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾(١)، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(٢).

وقال النبى ﷺ: «كفى بالموت واعظًا، وكفى باليقين غنًى، وكفى بالعبادة شغلاً»(٣).

[وقال النبى ﷺ: «إن من اليقين أن لا ترضين أحدًا بسخط الله تعالى، ولا تحمدن أحدًا على ما آتاك الله تعالى، ولا تذمَّن أحدًا على ما لم يؤتك الله تعالى، فإن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يردُّه عنك كراهة كاره، وإن الله تعالى جعل الروح راحة، والفرح فى الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن فى الشكّ والسخط»(٤)](٥).

وقال «ذو النون»(٦): ثلاث من علامات اليقين:

* قلة مخالطة الناس فى الأعسار.

---

(١) الآية رقم (٢٠) من سورة الذاريات. (٢) الآية رقم (٤) من سورة البقرة.

(٣) حديث: (كفى بالموت واعظا...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث رقم (١٥٦٨٦) ٥/ ٦٤، بدون عبارة (وكفى بالعادة شغلا) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير، عن عمَّار رضي الله عنه.

(٤) حديث (إن من اليقين أن لا ترضين أحدًا بسخط الله تعالى...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: «إن من ضعف اليقين أن تُرضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم... وأن تذمهم...) الحديث رقم (٦٢٢١) ٢/ ٤٧٠ وبه تغييرات طفيفة فى الألفاظ، ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب عن أبى سعيد رضي الله عنه.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٦) تقدمت ترجمته.

* وترك المدح لهم عند العطاء.

* وترك ذمهم عند المنع.

وقال «عامر بن عبد قيس»[(١)]: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينًا.

وقال إبراهيم الخواص[(٢)]؛ رحمة الله عليه: طلبت أكل الحلال فكنت أصطاد السمك، فهتف بى يومًا هاتف:

يا إبراهيم لم تجد معاشًا إلا فى قتل من يسبحنا.

فكسرت القُصّة[(٣)] وتبت[(٤)] عن الصيد[(٥)].

وقال إبراهيم[(٦)] الخواص أيضًا: لقيت فى أرض التيه غلامًا كأنه سبيكة فضة.

فقلت له: إلى أين يا غلام؟.

فقال: إلى مكة.

فقلت: بلا زاد ولا نفقة؟.

فقال: يا ضعيف اليقين، من يقدر على حفظ السموات والأرض لا يقدر على إيصالى مكة بغير زاد ونفقة.

فتركته ومضيت.

فلما وصلت إلى مكة لقيته فقال: يا شيخ، أنت إلى الآن على ذلك الضعف من اليقين.

قلت: لا.

والله أعلم.

---

(١) (عامر بن عبد قيس) العنبرى، البصرى المراقب، المستحى، المسالم، المستضىء، أحد الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد فى التابعين.
كان يقول: (أحببت الله حبًا سهّل علىّ كل مصيبة ورضانى بكل قضية، فما أبالى مع حبى إياه ما أصبحت عليه).
مات فى خلافة معاوية، ودفن ببيت المقدس.
انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء: ٢/ ٨٧، النبهانى: جامع كرامات الأولياء ٢/ ٥١، ابن قتيبة: المعارف ٢٣٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٧٧، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٢٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) القُصَّة: شبكة الصيد فى (د) القصبة).

(٤) أى: امتنعت وقد سقطت من (د).

(٥) وفى (جـ): (وتاب).

(٦) فى (د): (قال الخواص).

الباب السابع والعشرون

فى الإخلاص

الإخلاص فى اللغة: ترك الرياء فى الطاعات[١].

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو كذلك أيضًا.

ولهذا قال بعضهم: الإخلاص تصفية الطاعات[٢] عن ملاحظة المخلوقين.

وقال بعضهم: هو أن يكون المقصود بالطاعة وجه الله فحسب[٣].

قال «رويم»[٤]: الإخلاص كل عمل لا يريد عليه صاحبه عوضًا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

وقال بعضهم: هو أن تستوى عبادة العابد فى الظاهر والباطن.

وقال «أبو يعقوب السوسى»[٥] رحمه الله: من رأى فى إخلاصه إخلاصًا احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

---

(١) فى (د): الطاعة. (٢) فى (د): الطاعة. (٣) سقطا من (د).

(٤) (رويم) بن أحمد بن يزيد البغدادى، كنيته: أبو محمد من أهل بغداد، ومن جلة مشايخهم جده رويم بن يزيد حدّث عن الليث بن سعد، كان رويم مشهوراً بفطنته ومعرفته لمعانى القرآن؛ كان يقول: (لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا).

توفى رحمه الله سنه ٣٠٣هـ.

انظر ترجمته: السلمى: طبقات الصوفية ١٨٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، القشيرى: الرسالة ٢٧، الشعرانى: الطبقات ١/ ١٩٠٣، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٥٦١.

(٥) (أبو يعقرب السوسى) اسمه: يوسف بن حمدان، وكان استاذ أبى يعقوب النهرجورى، وهو من قدماء المشايخ، كان عالمًا صاحب تصانيف، أقام فى البصرة بمدينة قربها ومات بها فى القرن الثالث الهجرى.

كان يقول: (إن كنت فى حال الجمع فلا تتكلم فى الفرق، وإن كنت فى حال الفرق فلا تتكلم فى الجمع، ولا التوحيد).

انظر ترجمته فى: الجامى: نفحات الأنس ٤٤٦، السلمى: طبقات الصوفية ٣٧٨، القشيرى: الرسالة ٣٥)

وقيل: المخلص من يخفى حسناته كما يخفى سيئاته.

وقال: النبى ﷺ، حكاية عن الله تعالى: «الإخلاص سرٌّ من أسرارى، استودعته قلب من أحببت من عبادى»(١).

وقال ﷺ، حكاية عن الله تعالى أيضًا: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً وأشرك فيه غيرى فأنا منه برىء»(٢).

وقال النبى ﷺ: «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى، تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء»(٣).

وأول الإخلاص والتوحيد وكيفيته ما ذكره الله تعالى فى سورة الإخلاص ثم الإخلاص فى الطاعات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٤).

وقال «مكحول»(٥): ما أخلص عبدٌ أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

---

(١) حديث: (الإخلاص سرٌّ من أسرارى استودعته...).
قال الحافظ العراقى: رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى مسلسلا، يقول لكل واحد من رواته: سألت فلانًا عن الإخلاص فقال ... وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمى، عن عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ، عن جبريل، عليه السلام، عن الله تعالى، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد.
انظر: المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٣٦٥ من هامش الإحياء.

(٢) حديث: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه مسلم، وابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه، الحديث رقم (١٥٠٢٢) ٤/ ٦٨٢.

(٣) حديث (طوبى للمخلصين...).
رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء، عن ثوبان رضي الله عنه.
انظر: السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٣٩٢٩) ٤/ ٤٨١.

(٤) الآية رقم (٥) من سورة البينة.

(٥) (مكحول) الدمشقى، إمام أهل الشام، والفقيه الصوّام، العابد القوّام، الرفيع المقام، أخذ عن أبىّ ابن كعب، وعبادة بن الصامت وغيرهما، وطاف الأرض فى طلب العلم.
توفى رحمه الله سنه ١١٣هـ.
من أقواله: (إن كان الفضل فى الجامعة فالسلامة فى العزلة).
انظر ترجمته فى: الذهبى: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠١، أبو نعيم: حلية الأولياء ٥/ ١٧٧، ابن قتيبة: المعارف ٤٥٢، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٣٠٣، ابن كثير: البداية وبالنهاية ٩/ ٣٠٥.

وقال «الفضيل»(١) : ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك.

وقال «سهل بن عبد الله»(٢): الإخلاص أشق(٣) العبادات على النفس لأنها لا نصيب لها فيه.

[قال أبو سعيد الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين](٤).

وقال «السرى»(٥) : رحمة الله عليه: من تزيّن للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) في (جـ): (أشد).

(٤) تقدمت ترجمة أبي سعد الخراز.

(٥) تقدمت ترجمته.

الباب الثامن والعشرون

فى العبوديـــــة

العبودية فى اصطلاح أهل الحقيقة: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضى بالموجود، والصبر عن المفقود.

وقيل: هو ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار.

[وقيل: هى البرء من الحول والقوة](١).

وقيل: هى موافقة(٢) المأمورات، ومفارقة المنهيات.

وقال ذو النون(٣)؛ رحمة الله عليه: العبودية: أن تكون عبده فى كل حال [كما هو ربك فى كل حال](٤).

وقال «الجريرى»(٥) رحمة الله عليه: عبيد النعم كثيرون، وعبيد المنعم قليلون.

[وقال أبو على الدقاق(٦) رحمه الله: أنت عبد من أنت فى أسره، ديناراً كان أو درهمًا أو امرأة أو غير ذلك.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ). (٢) فى النسخة (جـ): (معالقة).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٥) (الجريرى) واسمه: أحمد بن محمد بن الحسين، أبو محمد الجريرى، ويقال: إن اسم الجريرى الحسن بن محمد.

كان من كبار أصحاب الجنيد، وسهل بن عبد الله التسترى.

مات، رحمه الله، سنة ٣١١هـ.

كان يقول: (أدل الأشياء على الله تعالى ثلاثة: مُلْكُه الظاهر، ثم تدبيره فى ملكه، ثم كلامه الذى يستوفى كل شيء).

انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢، القشيرى: الرسالة ص ٣٠، الشعرانى: اللطبقات ١/ ١١٠، السلمى: طبقات الصوفية ٢٥٩.

(٦) تقدمت ترجمته.

ولهذا قال النبى ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»(١).

ورأى «بايزيد»(٢) رجلاً فقال له: ما حرفتك؟

فقال: خربند(٣).

فقال: أمات الله حمارك لتكون عبداً لله لا للحمار.

وقال بعضهم: متى تفيت سكونك إلى اللذة، واعتمادك على الحركة فقد أعطيت العبودية حقها](٤).

واعلم أن العبودية لله إذا صحّت حصّلت الحرية عن كل ما سواه.

وقال أبو على الدقاق(٥): ليس شىء أشرف للعبد من العبودية، ولذلك وصف الله بها نبيه فى أشرف أوقاته فى الدنيا، وهو ليلة المعراج، فقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ ... ﴾(٦).

فقال: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(٧).

قال: والعبودية أتم من العبادة، والعبودة أتم منهما.

- فالعبادة لعوام المؤمنين.

- والعبدوية لخواص المؤمنين.

- والعبودة لخواص الخواص.

قال أيضًا:

* العبادة: لمن له علم اليقين.

---

(١) حديث: (تعس عبد الدينار، تعس...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، وقال: رواه البخارى، وابن ماجه عن أبى هريرة ؓ، الحديث رقم (١٠٤٠٩) ٣/ ٥٩٩.

وانظر أيضًا: العجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٣٠٧ حديث رقم (٩٩٤).

(٢) هو أبو يزيد البسطامى وتقدمت ترجمته.

(٣) يبدو أنها كلمة باللغة الفارسية معناها (حمّار).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومستدرك بالهامش.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٧) الآية (١٠) من سورة النجم.

* والعبودية: لمن له عين اليقين.

* والعبودة: لمن له حق اليقين.

ومعانى القرآن راجعة إلى شيئين:

* حفظ أدب العبودية.

* وتعظيم حق الربوبية.

وقد جمعتها سورة الفاتحة، ولذلك سميت أم القرآن.

وقال النبى ﷺ: «عرض علىَّ ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك فذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»(١).

وقال ﷺ: «إن أحسن أوليائى عندى منزلة: رجل ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه فى السرِّ وأطاعه، وكان غامضًا فى الناس لا يشار إليه بالأصابع»(٢).

وقال «معاذ بن جبل»(٣): لا يبلغ عبدٌ الذُّرَى حتى تكون الضعة أحب إليه من الشرف.

---

(١) حديث (عرض علىّ ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبًا).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل، والترمذى، عن أبى أمامة رضي الله عنه.

الحديث رقم (١٤١١٢) ٤/ ٥١٣.

(٢) حديث: (إن أحسن أوليائى عندى منزلة: رجلٌ ذو حظ...).

قال عنه الحافظ العراقى: رواه الترمذى وابن ماجه بإسنادين ضعيفين، وذكره بلفظ: (إن أغبط أوليائى عندى...).

انظر الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ٢٧١ من هامش الإحياء.

(٣) (معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصارى الخزرجى، أبو عبد الرحمن، صحابى جليل، آخى النبى ﷺ بينه وبين جعفر بن أبى طالب، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، بعثه رسول الله ﷺ قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن.

توفى رضي الله عنه سنة ١٨هـ وعمره (٣٣) عامًا مات فى طاعون عمواس.

انظر ترجمته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٤٦، ابن حجر: الإصابة ترجمة (٨٠٣٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٢٨

الباب التاسع والعشرون

فى الحريـــة

الحرية فى اصطلاح أهل الحقيقة: الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق.

ولهذا قال «إبراهيم بن آدهم»(١) ﷺ: الحُرُّ من خرج من الدنيا قبل أن يُخرَج منها.

وعلامة الحُرّية: سقوط التـميز عن قلبه بين أمـور الدنيا والآخرة، فلا يستـرقه عاجل دنياه ولا آجل عقباه.

قال النبى ﷺ: «عزفَت(٢) نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها»(٣).

فالحُـرّ يؤثر الخلق بجـميع الكائنات من الدارين، ولا يـكون له سؤال ولا قـصد ولا أرب، ولا حظ.

ومقام الحرية عزيز، ومعظم الحرية فى خدمة الفقراء.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «إذا رأيت بى طالبًا فكن له خادمًا».

وقال ﷺ: «سيد القوم خادمهم»(٤).

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (جـ): (عوفيت).

(٣) حديث: (عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها).

(٤) حديث (سيد القوم خادمهم).

رواه أبو عبد الـرحمن السلمى فى «آداب الصحبـة» له، عن يحيى بن أكثم عن المأمـون عن أبيه، عن جده، عن عقبـة بن عامر، رفعه، وفيـه قصة ليحيى بن أكثم مع المـأمون، وفى سنده ضعف وانقطاع.

ورواه الخطيب عن يحيى بن أكثم أيضًا عن أبيـه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ، ورواه أبو نعيم بسند ضعيف جدًا عن أنس مرفوعًا، وأخرجه الديلمى فى مسنده عن سهل بن سعد.

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير ما معناه بسند ضعيف عن أبى هريرة.

انظر ما دار حول هذا الحديث فى العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٤٦٢ حديث (١٥١٥).

والأحرار هم الذين قال الله تعالى فى حقهم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[(١)].

وإنما آثروا الخلق على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به.

وقال النبى ﷺ: «إنما يكفى أحدكم[(٢)] ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة[(٣)] أذرع وشبر، وإنما يرجع الأمر إلى آخره»[(٤)].

واعلم أن كمال الحرية نتيجة كمال العبودية.

فمن صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الكائنات حريته.

---

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحشر.

(٢) فى (جـ): (أحدهم).

(٣) فى (جـ): (اربع).

(٤) حديث: (إنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه...).

الباب الثلاثون

فى الفتـــوة

الفتوة فى اللغة: السخاء والكرم.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هى إيثار الخلق بنفسك بعـد أن تؤثرهم بالدنيا والآخرة، وذلك بأن تبذل نفسك لكل خسيس ونفيس فيما تريد، وتمكنها من التصرف فيك.

وقيل: هى الصفا، والسخاء، والوفاء.

وقيل: أن لا ترى لشىء خطراً، ولا قدراً.

وقيل: هى أن تصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله.

فإن لم يكن أهله فكن أنت أهله.

وقيل: هى أن يكون العبد [أبداً][1] فى أمر غيره.

وإلى ذلك أشار النبى ﷺ بقوله: «لا يزال الله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»[2].

وقيل: هى الصفح عن عثرات الإخوان وستر عيوبهم.

وقيل: هذا أقل درجات الفتوة.

وقيل: الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك.

وقيل: هى أن تنصف ولا تنتصف.

وقيل: هى حُسْن الخُلُق.

وقيل: هى الإعراض عن الكونين والأنفة منهما.

---

(١) سقطت من (د).

(٢) حديث: (لا يزال الله تعالى فى عون العبد. . .).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، بلفظ: (فى حاجة العبد) وقال: رواه الطبرانى فى معجم الكبير عن أبى هريرة وسمويه والطبرانى عن أبى هريرة عن زيد بن ثابت ﷺ.

انظر الحديث رقم (٢٦٨٧٣) ٧/ ٤٨٤

وقال الجنيد[١] : هى كف الأذى وبذل الغذا.

وقيل: هى اتباع السنة.

وقيل: إظهار النعمة[٢] وكتمان المحنة.

وقال أحمد بن حنبل[٣]: هى ترك ما تهوى لما تخشى.

وقيل: الفتى من لا خصم له.

وقيل: الفتى من كسر الصنم الأكبر وهو النفس.

آخذًا من قوله تعالى، فى حق إبراهيم عليه السلام لما كسر الأصنام: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[٤].

فهذه ستة عشر قولا فى تفسير الفتوة.

والفتوّة على قسمين:

* **فتوة الخواص:** وهى ما بيّناه فى أول الباب.

* **وفتوة العوام:** وهى أن لا تربح على صديقك.

وقال «أبو على الدقاق»[٥]: كمال وصف الفتوة[٦] والإيثار لم يكن لأحد من البشر إلاّ لمحمد ﷺ ، فإن كل نبى يقول يوم القيامة: نفسى نفسى، ونبينا يقول: أمّتى أمتى.

وقيل: أصل الفتوة الإيمان.

ولهذا سمى الله تعالى أصحاب الكهف فتية لمّا آمنوا بربهم فقال: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾[٧].

وقيل: إنما سمّاهم فتية لأنهم آمنوا بالله تعالى بغير واسطة.

وقال الجنيد[٨]: الفتوة بالشام، واللسان بالعراق، والصدق بخراسان.

ثم اعلم أن الحرية أشرف من الصدق، والفتوة أشرف منهما، والمروءة شعبة من الفتوة.

والفرق بين الزاهد والفتى.

* **أن الزهد من آثر عند الغنى.**

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (د): (إظهار السنة).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (٦٠) من سورة الأنبياء.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (د): (القوة).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) وهى الآية رقم (١٣) من سورة الكهف.

(٨) تقدمت ترجمته.

* والفتى من آثر عند الحاجة.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٥).

وقيل: اشـترى رجل من صـديق له حزمـة حطب، فأخـذ منه رأس ماله، ولـم يأخذ ربحًا، وقال له: أمَّا الثمن فآخذه لأنه ليس له من الخطر ما أتخلق إيثاركم به معك.

وأمّا الربح فلا آخذه، لأنه ليس من الفتوة الربح على الصديق.

وسأل «شقيق البلخى»(١) «جعفر بن محمد»(٢) عن الفتوة.

فقال له: قل أنت.

فقال شقيق: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا.

فقال له جعفر ﷺ: الكلاب عندنا بالمدينة تفعل هكذا.

فقال له شقيق: فقل أنت يا ابن بنت(٣) رسول الله.

فقال: إن أُعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا.

وكان يُقال للنصراباذى كـثيرًا: إن عليًا القوال يشرب بالليل ويحـضر مجلسك بالنهار، وكان لا يسمع فيه ما يقال.

فاتفق أنه كان يمشى يومًا ومعه من كـان يذكر ذلك عن علىٍّ فوجدوا عليًا مطروحًا فى موضع وهو سكران، فقال ذلك الرجل: كم أقول للـشيخ عنه، وهو لا يصدق فيه، فنتظر إليه الشيخ نظر غـضب وقال: احمله على رقبتك إلى منزله، فـفعل الواشى ذلك ولم يجد منه بُدًّا.

---

(٥) الآية رقم (٩) من سورة الحشر.

(١) (شقيق البلخى) شقيق بن إبراهيم، أبو على الأزدى، من أهل بلخ، حسن الكلام، وأول من تكلم فى علوم الأحوال، كان أستاذ حاتم الأصم، وأخذ الطريقة عن إبراهيم بن أدهم، أسند الحديث، كان يقول: (التوكل أن يطمئن قلبك بموعود الله) توفى، رحمه الله، سنة ١٧٤هـ.
انظر ترجمـته فى: السلمى: طبقـات الصوفيـة ٦١، أبو نعيم: حلية الأوليـاء ٨/ ٥٨، الجامى: نفحات الأنس ١٣٨، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٢٢١.

(٢) (جعفر بن مـحمد) الصادق، هو: أبو عبد الله جـعفر بن محمد البـاقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ، سادس الأئمة الأثنى عشر على مذهب الإمامية.
كان من سـادات أهل البيت، ومن أجـلاء التابعيـن، لقب بالصادق لصدقـه، توفى سنه ١٤٨هـ بالمدينة ودفن بالبقيع، ترك عددًا كبيرًا من الرسائل تصل إلى حوالى (٥٠٠ رسالة).
انظر ترجمته: ابن خلكان: وفيـات الأعيان ١/ ٢٩١، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٢٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ١٩٢ ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٢٧.

(٣) فى (جـ)، (د) (يا ابن رسول الله).

الباب الحادى والثلاثون

فى الجود والسخاء

الجود والسخاء(١) بمعنًى واحد، ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء لعدم التوفيق.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة:

السخىُّ: من أعطى بعض ماله وأمسك البعض.

والجواد: من بذل الأكثر وأبقى لنفسه الأقل.

والمؤثر: من تحمل المشقة والضرر وجاد بالقوة.

فالإيثار أعلى المراتب، ثم دونه السخاء:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ(٢) وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

وقال النبى ﷺ: «السخىُّ قريب من الله تعالى، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار»(٣).

وقيل: إن الجود هو إجابة الخاطر الأول.

[(٤) وكان أحد(٥) المشايخ جالسًا فى الخلاء فدعا بعض تلاميذه، وقال له: انزع عنى هذا القميص وادفعه إلى فلان.

---

(١) فى (جـ) (فى اللغة بمعنى واحد). (٢) الآية رقم (٩) من سورة الحشر.

(٣) حديث: (السخىُّ قريب من الله، قريب من الناس...).

رواه الترمذى فى سننه عن أبى هريرة رضي الله عنه، ورواه البيهقى فى الشعب عن جابر رضي الله عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة رضي الله عنها.

انظر السيوطى: جامع الأحاديث رقم (٣١٩٢) ٤/ ٣٥٦.

(٤) ابتداء من هنا وبمقدار صفحتين مخطوطتين سقط كل هذا من المخطوط (جـ) بالرغم من سلامة الترقيم، مما يجعلنا نظن أن هذا وقع قبل النسخ وتم النسخ على ذلك المقدار.

(٥) فى النسخة (د): (بعض) وهو لا يستقيم مع السياق.

فقيل له: هلا صبرت حتى تخرج.

فقال: خفت أن يتغير خاطرى.

وقيل: لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم، فلما أُحضِروا بادر «النورى»[١] وجلس بين يدى السيَّاف.

فقال له السيَّاف: تدرى إلى ماذا تبادر؟

فقال: نعم.

فقال: فما سبب ذلك.

قال: لأوثر أصحابى الحياة ساعة.

فتعجب السيَّاف، فأنهى الخبر إلى الخليفة فاطلقهم.

فكان فيهم الجنيد[٢].

وقيل: خرج «عبد الله بن جعفر»[٣] إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فرأى عبدًا أسود يعمل فيها، فأتى العبد بثلاثة أقراص هى قوتُه، فجاء كلب ودنى من العبد فرمى إليه قرصًا فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله.

فقال له عبد الله: كم قوتك كل يوم يا غلام؟.

قال: ثلاثة أقراص.

قال: فلم آثرت الكلب بها.

قال: لأن أرضنا ليست أرض كلاب، فعلمت أنه جاء من مسافة بعيدة فجاع فكرهت ردَّه.

فقال له عبد الله: فما تصنع اليوم؟

قال: أطوى إلى الغد.

فقال عبد الله:

الأمر على السخاء، وهذا العبد أسخى منى.

واشترى البستان وما فيه من الآلات والعبيد وأعتقه ووهبه جميع ذلك.

وقيل: أتى رجل صديقًا له فدق عليه الباب فخرج إليه.

فقال له: ركبنى أربعمائة درهم دينًا.

---

(١) (النورى) تقدمت ترجمته وهو أبو الحسين النورى.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (عبد الله بن جعفر) بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعًا.

فدخل الرجل الدار باكيًا، ووزن المبلغ وأخرجه، فتوهمت امرأته أن بكاءه[1] حزنًا على الدراهم.

فقالت له: هلا اعتذرت بعذر.

فقال: إنما أبكى لتقصيرى فى اختبار أحوال صديقى حتى احتاج إلىَّ وكاشفنى بحاله ابتداء منه.

وقال «مطرف»[2] لأصحابه وخدمه: إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها إلىَّ فى رقعة فإنى أكره أن أرى فى وجهه ذل الحاجة.

وقيل: كان «أبو مرثد»[3] أحدكم الكرام فمدحه شاعر.

فقال له: ليس عندى ما أدفع إليك، ولكن قدمنى إلى القاضى وادَّع علىَّ عشرة آلاف درهم حتى أقرَّ لك بها، ثم أحبس، فإن أهلى لا يتركونى محبوسًا، بل يعطونك المال، ففعل ذلك، فما أمسى حتى أعطوه المال كله.

وقيل: لما قدم الشافعى[4] من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف درهم.

---

(١) فى (د) أنبكائه).

(٢) (مطرف) بن عبد الله بن الشخِّير المتعبد، المتنسك، كانت له كرامات منها: أنه إذا دخل بيتًا سبحت معه آنية البيت، وكان يضىء له سوطه كالسراج ليلا إذا سار.
مات رحمه الله سنه ١٩٥هـ.
انظر: المناوى: الكوالكب الدرية ١/ ٢٩٩، أبو نعيم: حليه الأولياء ٢/ ١٩٨.

(٣) (أبو مرثد): لعله الغنوى.

(٤) (الشافعى) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبت الشافعية كافة، ولد فى غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، وهى السنة التى مات فيها أبو حنيفة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وكان فى ابتداء أمره يطلب الشعر والأدب، ثم مال إلى الفقه، فأخذ عن مسلم بن خالد الزنجى، والإمام مالك بن أنس، ثم قدم بغداد سنه ١٩٥هـ، فاجتمع عليه علماؤها واخذوا عنه وذاع صيته، ثم خرج إلى مكة، وفى سنه ١٩٨هـ عاد إلى بغداد فأقام شهراً، ثم قصد مصر سنه ١٩٩هـ، ولم يزل ناشراً العلم بها إلى توفى سنه ٢٠٤هـ، وقبره معروف بها ويزار إلى الآن.
اتفق أهل العلم والحديث والفقه واللغة والأدب على ثقته وأمانته وعدالته وزهده، وورعه، وحسن سيرته.
قال أحمد بن حنبل: (ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى).
ترك مؤلفات هامه وعديدة أشهرها كتاب الأم، والرسالة، والمسند، والسنن، وغير ذلك.
انظر ترجمته فى: الذهبى: تذكره الحفاظ ١/٣٢٩، السبكى: طبقات الشافعية ١/ ١٨٥، طبقات =

قال: اشتر بها ضيعة.

فضرب خيمة خارج مكة وصب الكل تحتها، وكان يعطى كل من دخل إليه قبضة حتى فرغ الكل قبل الظهر][1].

وقيل: سخاء النفس عما فى أيدى الناس أفضل من سخائها بالبذل.

وقيل: ليس السخاء أن يعطى الواجد المُعْدم، بل السخاء أن يعطى المُعْدم الواجد.

والله أعلم.

= الفقهاء الشافعية ٦/ ١١٤ ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٥٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٩ الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٥٦.

(١) إلى هنا انتهى السقط من النسخة (جـ) والذى تمت الإشارة إليه فى ص ١٤٩.

الباب الثانى والثلاثون

فى الصــــدق

الصدق فى اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق فى مواطن الهلاك.

وقيل: هو استواء السرّ والعلانية.

وقيل: هو إسقاط ما سوى الحق.

وقيل: هو الوفاء والصفاء.

وقال الجنيد(١): حقيقة الصدق أن تصدق فى موضوع لا ينجيك منه إلا الكذب.

وقال أبو على الدقاق(٢): الصدق أن تكون كما ترى عن نفسك، أو ترى من نفسك كما تكون.

وقيل: الصادق: من لا يحب الاطلاع على عمله ولا يكره ذلك.

وقيل: الصادق: الذى يتهيأ له أن يموت ولا يستحى من سره لو كُشف.

وقد مدح الله تعالى الصدق وأمر به فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٣).

وقال النبى ﷺ: «ولا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقا، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذّابا»(٤).

وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»(٥).

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الآية رقم (١١٩) من سورة التوبة.

(٤) حديث (ولا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق...).

انظر الحديث برقم (٥١٤٢) من جامع الأحاديث للسيوطى، وفيه: متفق عليه بين البخارى ومسلم عن ابن مسعود ﷺ ٢/ ٢٦١.

(٥) حديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد ابن حنبل، والترمذى، وابن حبان عن الحسن مرسلاً، الحديث رقم (١٢٠٤٨) ٤/ ١٣٨.

وقال ﷺ: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة»[١].

وروى أن «لقمان» كان عبدًا حبشيًا[٢]، فقال له رجل: ما الذى بلّغك هذه المنزلة؟

فقال: صدق الحديث وترك ما لا يعنى.

والصدق عماد أمر السالك ونظامه وتمامه، وهو ثانى بعد درجة النبوة[٣].

قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[٤].

والصِّدِّيق: صيغة مبالغة من الصادق، كالسِّكِّيت من الساكت.

والصادق: من صدق فى أقواله، والصِّدِّيق من صدق فى أفعاله وأقواله وأحواله.

والصدق: زلال منبعه استقامة القلب وبراءته من الأغراض الدنيوية.

والصدق: قرين الحرية والفتوة، وإن كان دونهما مرتبة.

والصدق على ثلاثة أقسام:

- صدق النيّة.
- وصدق اللسان.
- وصدق العمل.

* فصدق النيّة: أن لا يريد بجميع أقواله وأفعاله وأحواله إلا الله تعالى.
* وصدق اللسان: معروف.
* وصدق العمل: أن يكون حريصًا عليه لا يقطعه إلا قهرًا واضطرارًا.

وقال «ذو النون»[٥]: الصدق: سيف الله تعالى، ما وضع على شىء إلا قطعه.

وقال بعضهم: إذا طلبت الله بصدق أعطاك مرآة تبصر فيها عجائب الدنيا والآخرة.

وقال آخر: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرُّك، فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك، فإنه يضرُّك.

وكان «أبو العباس الدينورى»[٦] يتكلم فصاحت عجوز فى مجلسه، فقال لها: إن كنت صادقة فموتى، فوقعت ميتة.

---

(١) تقدم تخريجه قبل السابق.
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د).
(٣) فى (د): (والثانى).
(٤) الآية رقم (٦٩) من سورة النساء.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) (أبو العباس الدينورى) واسمه: أحمد بن محمد، صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز، وأبا محمد الجريرى، وأبا العباس بن عطاء، وغيرهم، ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس ويتكلم بلسان المعرفة، ثم رحل إلى سمرقند ومات بها بعد سنة ٣٤٠هـ.

وسُئل «أبو الفتح الموصلى»(١) عن الصدق فأدخل يده فى كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال: هذا هو الصدق.

= كان يقول: (ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخبار إلاَّ الصدق، وكل وقت وحال خلا عن الصدق فباطل).

انظر ترجمته: السلمى: طبـقات الصوفية ٤٧٥، أبو نعيم: حلية الأوليـاء ١٠/ ٣٨٣، القشيرى: الرسالة ٣٨، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٤٣ الجامى: نفحات الأنس ص ٥٠٠.

(١) (أبو الفتح المـوصلى) هو: (فتح) وليس (أبو الفـتح) فتح بن على الموصلـى، يكنى: أبا نصر، على رواية الجامى، من قدماء المشايخ بالموصل وأجلهم، مات سنه ٢٢٠هـ.

كان يقـول: (إذا صح التجريد لا يكون ملك سليـمان معلومًـا، وإذا لم يصح فطول الكُمّ يكو ن معلومًا).

انظر ترجمتـه فى: الجامى: نفحات الأنس ١٢٩، الخطيب: تـاريخ بغداد ١٢/ ٣٨١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢.

الباب الثالث والثلاثون

فى الحيــــاء

قال النبى ﷺ : «الحياء من الإيمان»(١).

وقال «ذو النون»(٢) : «المحب ينطق والحيىُّ يسكت».

وسُئِل «الجنيد»(٣) عن الحياء فقال: حالة تتولد من رؤية النعم، والتقصير فى شكرها.

قال «ابن عطاء»(٤): العلم الأكبر الهيبة والحياء.

وقال فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾(٥): إن البرهان الذى رآه أنها ألقت ثوبا على وجه صنم كان فى البيت.

[فقال لها يوسف عليه السلام: ماذ قصدت بهذا؟ فقالت: إنى أستحى](٦).

فقال يوسف عليه السلام: أنا أولى أن أستحى من الله.

وقيل فى قـوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾(٧): إنها إنما استحيت لأنها جاءته تدعوه إلى الضيافة فاستحيت أن لا يجيبها، وحياء الكرم من صفة المضيف.

[ورؤى رجل يصلى خارج المسجد، فـقيل له(٨) فى ذلك فقـال: أستحى(٨) منه أن أدخل بيته وقد عصيته](٩).

---

(١) حديث (الحياء من الإيمان).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه الإمام مسلم، والترمذى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الحديث رقم (١١٤٣٥) ٤/ ٢٣، وأورده الإمام (صـلاح الدين التجانى) فى جوامع الـكلم، متفق عليه بين البخارى ومسلم، ورواه الترمذى، كلهم عن ابن عمر، صحيح متواتر.

انظر (جوامع الكلم) حديث رقم (١١٧١) ص ١٥٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الآية رقم (٢٤) من سورة يوسف.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٧) الآية رقم (٢٥) من سورة القصص.

(٨) فى (د): (فقال له) ، (لأستحى).

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومستدرك على الهامش بخط مختلف.

ورؤى رجل[١] نائمًا فى مسبعة[٢]، فقيل له: ألا اتخاف النوم هنا؟.

فقال: ألا أستحى منه أن أخاف غيره.

وأوحى الله تعالى إلى عيسى، عليه السلام: عظ نفسك فإن اتعظت، وإلا فاستحى من أن تعظ الناس.

وقيل: إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملك: عظ نفسك بما تعظ به أخاك، وإلا فاستحى من سيِّدك ومولاك فإنه يراك.

وقال «الفضيل»[٣]:

من علامات الشقاء:

القسوة فى القلب.

وجمود العين.

وقلة الحياء.

والرغبة فى الدنيا.

وطول الأمل.

---

(١) فى (د): (ورأى رجل نائمًا) وفى (جـ) (وروى رجل نائم).

(٢) المسبعة: مكان السباع.

(٣) تقدمت ترجمته.

الباب الرابع والثلاثون

فى الخشوع والتواضع

الخشوع، والخضوع، والتواضع(١) بمعنًى واحد.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: الخشوع: الانقياد للحق.

وقيل: هو الخوف الدائم فى القلب.

وقيل: هو قيام القلب بين يدى الحق بهمٍّ مجموع.

وقيل: هو ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب.

وقيل: هو(٢) إطراق السريرة أدبًا لمشاهدة الحق.

وقيل: هو ذوبان القلب وانحباسه(٣) عن سلطان الحقيقة.

وقيل: هو مقدمات غلبة الهيبة.

[وقيل: هو قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة](٤).

[وقيل: الخاشع من خمدت نيران شهوته، وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم فى قلبه فماتت شهوته وحيا قلبه فخشعت جوارحه](٥).

وقيل: من علامات الخشوع: أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه تلقى ذلك بالقبول.

واتفق القوم على أن الخشوع محله القلب.

وروى عن بعض العارفين أنه رأى رجلاً منقبض الظاهر، منكسرًا قد زوى منكبيه، فقال: يا فلان الخشوع هنا وأشار إلى صدره، فقال: لا، وأشار إلى منكبيه.

---

(١) فى (جـ): (فى اللغة).

(٢) سقطت من (د).

(٣) فى (جـ): (وانحتاسه).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٥) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش (جـ).

ورأى النبى ﷺ رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»(١).

وقيل: شرط الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف [مَنْ] عن يمينه ولا [مَنْ](٢) عن شماله.

والتواضع فى اصطلاحهم: استسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم.

وقيل: هو الخضوع للحق والانقياد له.

وقبوله من الغنى والفقير، والكبير والصغير، والشريف والوضيع.

واعلم أن الخشوع والتواضع من أجلّ الأوصاف وأشرفها، وقد مدح الله تعالى ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٤).

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾(٥).

يعنى أهل [التواضع](٦).

وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾(٧).

معناه: خاشعين متواضعين.

وقال النبى ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من الكبر» فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا.

فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: من بطر الحق وغمض الناس»(٨).

---

(١) حديث (لو خشع قلب هذا الخشعت جوارحه).

رواه الحكيم عن أبى هريرة، وقال السيوطى (فى جامعه الصغير) ٢/ ١٣٠: حديث ضعيف، وقال المناوى: رواه الحكيم الترمذى أيضًا فى النوادر، انظر: كنوز الحقائق ٢/ ٧٣، وانظر هامش مختصر أعذب المسالك بتحقيقنا.

(٢) ما بين المعقوفتين من المحقق لسلامة السياق.

(٣) الآيتان رقم (١، ٢) من سورة المؤمنون.

(٤) الآية رقم (٩٠) من سورة الأنبياء.

(٥) الآية رقم (٣٤) من سورة الحج.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٧) الآية رقم (٦٣) من سورة الفرقان.

(٨) حديث: (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال...).

رواه الإمام مسلم عن ابن مسعود ﷺ جامع الأحاديث رقم (٢٦٤٣٧) ٧/ ٤١٤.

وقال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله تعالى»(١).

وقال ﷺ: «طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل من غير مسكنة»(٢).

وكان النبى ﷺ يعود المريض، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة العبد، ويركب الحمار مخطومًا بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف، ويعلف البعير والشاة، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا. ويحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغنى والفقير، ويبدأهما بالسلام، ولا يحتقر ما دُعى إليه ولو كان خشف التمر، [وكان(٣) خفيف المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا من غير ضحك، محزونًا من غير عبوس، رقيق القلب، رحيمًا لكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده لطمع(٤).

وكان «عمر بن الخطاب»(٥) ﷺ، وعانقه قربة ماء، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما ينبغى لك هذا، فقال: لما أتانى وفود المسلمين سامعين مطيعين داخل نفسى عجبٌ فأحببت أن أكسرها.

ومضى بالقربة إلى بيت امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها.

ورُئى(٦) «أبو هريرة»(٧)، وهو أمير المدينة، وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول: طرقوا للأمير.

---

(١) حديث: (من تواضع لله رفعه).
رواه أبو نعيم فى الحلية، ومسلم فى جامعه، والترمذى فى السنن، كلهم عن أبى هريرة ﷺ، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والبزار فى كتابه، عن عمر ﷺ وقال: حديث حسن.
انظر الإمام صلاح الدين التجانى: جوامع الكلم حديث رقم (٢٢٥١) ص ٣١٨.

(٢) حديث: (طوبى لمن تواضع فى غير منقصة...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه البخارى فى التاريخ، والبغوى، والبارودي، وابن قانع، والطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الشعب، كلهم عن ركب المصرى.
انظر الحديث رقم (١٣٩٣٦) ٤/ ٤٨٢.

(٣) ابتداء من هنا سقط من النسخة (جـ) مقدار صفحة مخطوطة.

(٤) هذه الأفعال كلها أحاديث فعلها رسول الله ﷺ ورد بها نصوص.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (د): (وروى).

(٧) (أبو هريرة) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسى، الملقب بأبى هريرة، الصحابى الجليل، أكثر الصحابة حفظًا لحديث رسول الله ﷺ، فكانت مروياته (٥٣٧٤) حديثًا، ﷺ.
قال عنه الإمام الشافعى: (أبو هريرة أحفظ من روى فى دهره). =

وقال «ابن عباس»[١]: من التواضع شرب الرجل من سؤر[٢] أخيه.

وكان «عمر بن عبد العزيز»[٣] لا يسجد إلاّ على التراب.

ورُوى أن ملبوسه يوم وهو يخطب على المنبر فبلغ اثنين وعشرين درهمًا، وكان قباء، وقميصًا، وسراويل، وعمامة، وقلنسوة، ورداء، وخفين.

وروى أن «بلالاً»[٤] و «أبا ذرٍّ»[٥] تشاجرا فعيَّر أبا ذرٍّ بلالاً بلون السواد، فشكاه بلال إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «يا أبا ذر أما علمت أنه بقى فى قلبك شىء من كبر الجاهلية».

فألقى أبو ذرٍّ نفسه على الأرض، وحلف أنه لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خدَّه، ولم يرفع رأسه حتى فعل بلال ذلك.

وقال «مجاهد»[٦]: لما أغرق الله قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودىُّ، فجعله الله تعالى مقرا لسفينة نوح، عليه السلام.

= اسلم فى السنة السابعة للهجرة، ومات سنه ٥٩هـ.

انظر: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٧١، أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٣٨٦، ابن حجر: الإصابة، الترجمة رقم (١١٧٩) للكنى.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (السؤر) أى: مكان شربه، وموضع فمه على الكوب.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (بلال بن رباح) يكنى: أبا عبد الله، الصحابى الجليل، مؤذن الرسول ﷺ وأحد السابقين للإسلام، وعنه ﷺ قال: (بلال سابق الحبشة).

لما توفى الرسول ﷺ لم يؤذن بعد ذلك وانتقل إلى دمشق وظل بها حتى مات ﷺ سنة ٢٠هـ.

روى له الشيخان ٤٤ حديثًا.

انظر ترجمته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٤٨، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٢٤٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ١٤٧، وغيرها.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) (مجاهد) بن جبر، أبو الحجاج المكى، مولى بنى مخزوم، أحد الأعلام التابعين والأئمة المفسرين.

قال: (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها).

توفى، رحمه الله، وهو ساجد، سنة ١٠٤هـ عن ثلاثة وثمانين عامًا.

انظر: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ١٠٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٢٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى الجبال: إنى مكلم على واحد منكم نبيًا، فتفاءلت الجبال، وتواضع طور سيناء، وكلم الله موسى عليه السلام لتواضعه.

وقال «أبو سليمان الدارنى»[١] : لو اجتمع الناس على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى لما قدروا[٢].

وقيل: علامة التواضع: أن يعتقد الإنسان أن كل مسلم خير منه.

وقال «الفُضيل»[٣] : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب.

وقال «أبو يزيد»[٤]: المتواضع من لا يرى فى الخلق من هو شر منه.

وقيل: التواضع نعمة لا يُحسد عليها، والتكبر بليّة لا يرحم عليها.

وقيل: جعل الله الشرف فى التواضع، فمن طلبه فى الكبر لم يجده.

وقيل: جعل الله الشرف فى التواضع، والعز فى التقوى، والحرية فى القناعة.

وقيل: التواضع من كل أحد حسن، ومن الأغنياء أحسن [والتكبر من كل أحد قبيح ومن الفقراء أقبح][٥] ثقة بالله[٦].

[وقال «ابن المبارك»[٧] رحمة الله عليه: التكبر على الأغنياء من التواضع.

وقال «على» كرم الله وجهه: ما رأيت أحسن من تواضع الأغنياء للفقراء إلاّ منّةّ للفقراء على الأغنياء ثقةً بالله تعالى][٩].

[وقال «الشبلى»: ذُلّى عطَّل ذل اليهود][١٠].

وقال [الشبلى][١١] لرجل: ما أنت؟

قال: النقطة التى تحت الباء.

فقال له الشبلى: أنت شاهدى ما لم تجعل لنفسك مقامًا.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هنا انتهى السقط فى النسخة (جـ).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٦) سقطت من (جـ).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومستدرك على الهامش.

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(١١) تقدمت ترجمته.

وقيل: أصل التواضع من أمرين:

أحدهما: معـرفة النفس وكـثرة أقـذارها وأدناسها ونقـائصهـا من الضعف، والفـقر، والذل، والمعاصى، واتباع الشهوات.

والثانى: معرفة عظمـة قدر الله تعالى فى قلب الإنسان فيخـضع ويخشع، ويتواضع لله ولعبيده.

الباب الخامس والثلاثون

فـــى الأدب

الأدب في اصطلاح أهل الحقيقة: اجتماع خصال الخير.

وقيل: هو أن تعامل الله تعالى بالمستحسن سراً وجهراً.

وقيل: هو[(١)] معرفة النفس.

وقيل في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[(٢)]: معناه: حفظ أدب الحضرة.

وقال «ابن عباس»[(٣)] رضي الله عنهما في قوله تـعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[(٤)] [(٥)]: معناه: أدِّبوهم وفقِّهوهم.

وقال النبي ﷺ: «حق الولد على والده أن يُحسن اسمه وأدبه»[(٦)].

وقال النبي ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[(٧)].

---

(١) في (د): (هي).

(٢) الآية رقم (١٧) من سورة النجم.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (٦) من سورة التحريم.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٦) حديث: (حق الولد على والده أن يحسن...).

رواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر السيوطي جامع الأحاديث، حديث رقم (١١٢٨٣) ٣/ ٧٦٨، وانظر الحديث رقم (١١٢٨٥) ٣/ ٧٦٩.

(٧) حدديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

قال في الأصل: رواه العسكري عن عليٍّ (كرم الله وجهه) قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غوري تهامة... الحديث، وجزم ابن الأثير في خطبة النهاية، وأخرج ابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق) فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

انظر مناقشة طويلة للحديث في كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٧٠ حديث رقم (١٦٤).

ولم يذكر السيوطي سوى رواية ابن السمعاني في الإملاء، وقال: عن ابن مسعود، وقال عنه: حديث صحيح، انظر الجامع الصغير ١/ ١٤، وانظر هامش أعذب المسالك بتحقيقنا ١٤٨.

وقيل: أدب أهل الدنيا: الفصاحة، والبلاغة، وحفظ العلوم.

وأدب أهل الدين: رياضة النفوس.

وأدب الجوارح: حفظ الحدود، وترك الشهوات.

وأدب الخواص: طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواطن الطلب وأوقات الحضور في مقامات القرب.

وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء(١) والصديقين.

وقيل: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى.

[وكان «أبو على الدقاق»(٢) لا يستند إلى شيء قط](٣).

وقال «الجريري»(٤): منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة، فإن حسن الأدب مع الله أولى.

وقيل «لابن سيرين»(٥): أيُّ الأدب مع الله أفضل؟.

قال: المعرفة بربوبيته، والعمل لطاعته، والشكر لله(٦) على السرَّاء، والصبر على الضرَّاء.

وقال «الحسن البصري»(٧): أنفع الأدب عاجلا، وأوصلها آجلا التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله(٨) عليك.

وقيل: ثلاث خصال ليس معها غربة:

- مجانبة أهل الريب.

---

(١) (عليهم السلام).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سقط ما بينهما من النسخة (جـ).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (ابن سيرين) هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، تابعي، من أشرف الكتاب، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.

توفي رحمه الله سنه ١١٠هـ.

انظر ترجمته في: ابن قتيبة: المعارف ٢٢٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٣٨، ابن قنفد القسنطيني: كتاب الوفيات ص ١٠٨.

(٦) سقط من (د)

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨)

- وحسن الأدب.
- وكفُّ الأذى.

وقيل: مد «عطاء»(١) رجله بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب.

وقال «الجنيد»(٢): إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.

وقال «أبو عثمان»(٣): إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب.

وقال «أبو علىٍّ الدقاق»(٤): إنما قـال أيوب عليـه السلام: ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٥)، ولم يقل: ارحمنى حفظا لأدب الخطاب.

وكذلك قول «عيسى» عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٦).

فقوله: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾(٧)، ولم يقل: لا لم أقل [أراد جنسًا من العذاب لا يعذب به غيرهم من ظالمى زمانهم](٨) [رعاية لأدب الحضرة](٩).

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الآية رقم (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٦) الآية رقم (١١٨) من سورة المائدة.

(٧) الآية رقم (١١٦) من سورة المائدة.

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب السادس والثلاثون

فى التصـــوف

التصوف فى اصطلاح أهل الحقيقة: التخلق بأخلاق الصوفية والتوصل بأوصافهم إلى الانتظام فى سلكهم.

والصوفية: جمع صوفى.

قال الإمام القشيرى[١]: وليس لهذا[٢] فى العربية قياس، ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب[٣].

وقيل للشبلى[٤]: لم سُمِّيَت هذه الطائفة بهذا الاسم؟.

فقال: لبقية بقيت عليهم من نفوسهم، ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية.

وقال بعضهم: التصوف: مشتق من الصوف.

يقال: تصوف الرجل إذا لبس الصوف.

كما يقال: تقمص إذا لبس القميص.

والصوفى منسوب إلى الصوف، ولهذا القـول وجه من حيث العربية، إلاّ أن القوم لم يخصوا بهذا الاسم لابس الصوف.

وقيل: سُمُّوا به لنسبتهم إلى صُفَّة مسجد رسول الله ﷺ وأخذهم طريقهم عند أهل الصفة.

وقيل: اشتقاقه من الصفاء.

وقيل: من الصف لأنهم فى الصف الأول بقلوبهم مع الله فى المحاضرة.

وهذه الأقوال الثلاثة قريبـة من حيث المعنى، بعيدة من حيث اللـفظ، فإن النسبة إلى الصفّة: صُفّى.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (جـ): (وليس لهذا الاسم).

(٣) فى (د): (ولا ظهر فيه).

(٤) تقدمت ترجمته.

وإلى الصفاء: صفائى.

وإلى الصف: صفّى.

وقد اختلف أهل الحقيقة فى تفسير التصوف اصطلاحًا.

فقيل: التصوف: هو الخروج عن كل خلق دنىٍّ والدخول فى[١] كل خلق سنىٍّ.

وقيل: هو مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

وقيل: هو شغل كل وقت بما هو الأهم فيه[٢].

وقال الجنيد[٣]: هو الكون[٤] مع الله بلا علاقة.

وقال أيضًا: هو أن يمتلك الحق عنك ويحييك به.

وقال أيضًا: هو عنوة لا صلح فيها.

وقال أيضًا: هو ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع.

قال الشبلى[٥]: هو الجلوس مع الله بلا همٍّ.

وقيل: هو الخُلُق، فمن زاد عليك فى الخُلُق زاد عليك فى التصوف.

وقيل: هو الإناخة عند باب الحبيب وإن طردك.

وقيل: هو كف فارغ وقلب طيب.

وقيل: هو إسقاط الجاه، وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة[٦].

وقيل: هو حال تضمحل معها معالم الإنسانية.

وقال الأستاذ «أبو على»[٧]: أحسن ما قيل فى ذلك قول بعضهم:

التصوف: طريق لا يصلح إلا لقوم كنس الله بأنفسهم المزابل.

وقيل: الصوفى من[٨] لا يملك شيئًا ولا يملكه شىء.

وقيل: هو من يرى دمه هدراً، وملكه مباحًا.

وقال الحصرى[٩]: الصوفى: من لا تقله الأرض ولا تظله السماء.

---

(١) فى (د): (عن).

(٢) فى (د): (بما هو إلى إسم).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) بمعنى (أن يكون الإنسان مع الله دون أن يشغله شىء آخر).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) (سواد الوجه فى الدنيا والآخرة).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) سقطت من (جـ).

(٩) (الحصرى) أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى، بصرى الأصل، سكن بغداد، وكان شيخ العراق ولسانها، كان له لسان فى التوحيد، ومقام فى التفريد والتجريد، أستاذ العراقيين، وبه تأدب من تأدب.

مات، رحمه الله، ببغداد، يوم الجمعة فى شهر ذى الحجة سنه ٣٧١هـ. =

وقال الإمام القشيرى[١]: أشار إلى حال المحو.

وقيل: عـلامة الصوفى الـصادق أن يفتـقر بعد الغنى، ويذل بعـد العز، ويخـفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفى الكاذب[٢] ضد ذلك.

[وقال «الجنيد»[٣]: الصوفى كالأرض يطـرح عليها كل قبيح، ولا يخـرج منها إلاَّ كل مليح][٤].

وقيل أيضا: الصـوفى: كالأرض يطأها[٥] البر والـفاجر، وكـالسحـاب يظل كل شىء ويسقى كل شىء.

وقال أيضًا: إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وقال «الشبلى»[٦]: الصوفى منقطع عن الخلق غير متصل بالحق.

كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٧].

قطعه عن كل غير، ثم قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾[٨].

وقيل: الصوفى لا يكدره شىء، ويصفو[٩] به كل شىء.

وقيل: الصوفى يكون مع العادات لا مع الأوراد.

وقيل: وصف الصوفى السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

وقيل: الصوفى وحدانى الذات لا يقبل أحدًا، ولا يقبله أحد.

وقال «حمـدون القصار»[١٠]: اصـحب الصوفـيـة فإن لـلقبـيح عندهم وجـوهًا من المعاذير، وليس للحسن عندهم موقع.

= انظر ترجمته فى: السلمى: طبـقات الصوفية ٤٨٩، القشيرى: الرسالـة ٣٨، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٤٥.

(١) تقدمت ترجمته. (٢) سقطت من (د).

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) ما بين المعقوفتيين سقط (جـ) واستدرك على الهامش.

(٥) فى (د): (يطائها) وفى (جـ): (يطا أها).

(٦) تقدمت ترجمته. (٧) الآية رقم (٤١) من سورة طه.

(٨) الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف.

(٩) فى (جـ): (ولا يصفو).

(١٠) (حمدون القصار) هو: حـمدون بن أحمد بن عمارة، أبو صالح القصـار النيسابورى، شيخ أهل الملامة كلها، ومنه انتشر مذهب الملامة.

صحب أبا تراب النخـشبى، والنصراباذى، كان عـالمًا فقيـهًا، يذهب مذهب الثورى فى الـفقه، طريقته طريقة اختص بها وحده. ←

ومعناه أنهم اعتادوا فعل الحسن فلم يبق عندهم غريبًا ذا موقع، لأنهم صار لهم كالفعل الطبيعى الذى لا يحمد عليه الإنسان كالسمع والبصر، ونحو ذلك.

= توفى، رحمه الله، سنة ٢٧١هـ، ودفن بمقبرة الحيرة.
كان يقول: (أصل رفع الألفة بين الأخوان حب الدنيا).
انظر ترجمته فى: السلمى: طبقات الصوفية ١٢٣، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٢٣١، القشيرى: الرسالة ٢٤، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ١٠٠.

الباب السابع والثلاثون

فى الخُلُـــق

الخُلُق فى اللغة، بضم اللام وسكونها: الطبيعة.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو ما اختاره الله تعالى لنبيّه ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[١].

وقيل: هو مجموع خصال حميدة، وصفات شريفة يتضمن اقتراب كل خير، واجتناب كل شر.

وقيل: هو قضاء الحق، وقبول ما يرد عليك من جفاء الخلق بلا قلق ولا ضجر.

وقيل: هو استقلال ما منك، واستكثار ما إليك[٢].

وقيل: هو احتمال المؤن: المكروه بحسن المداراة[٣].

وقيل: هو كفٌّ الأذى واحتماله من الجنس وغير الجنس.

والخُلق أفضل مناقب العبودية به يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخلقه مشهور بخلقه، وقد خصّ الله تعالى نبيّه ﷺ بما خصه من الصفات الشريفة ثم لم يثن عليه بشىء من صفاته كما أثنى عليه بالخُلق: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٤] وإنما وصفه بالخُلق العظيم لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله.

وقيل: لأنه لم يكن له همٌّ إلاَّ الله.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٥]: إن الظاهرة: تسوية

---

(١) الآية رقم (١٩٩) من سورة الأعراف مكية.

(٢) فى (د): (استقلال ما معك، واستكثاره إليك).

(٣) ثم زاد فى (جـ): (كف الأذى فاحتمال المؤن).

(٤) الآية رقم (٤) من سورة القلم مكية.

(٥) الآية رقم (٢٠) من سورة لقمان مكية.

الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾[١]، والباطنة: تسوية الخُـلُق، وهو قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٢].

وقال الحسن[٣] في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤]: أى: خُلُقك فحسن.

وقال النبى ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٥].

وقال النبى ﷺ: «إنكم لن تسعـوا الناس بأموالكم فسعـوهم ببسط الوجه، والخُلُق الحسن»[٦].

وقال النبى ﷺ: «أفضل المؤمنين[٧] إيمانًا أحسنهم خُلُقًا»[٨].

وقال ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن: البخل وسوء الخُلُق»[٩].

وقيل: كان «ابن عمر»[١٠] إذا رأى واحدًا من عبيده يُحسن الصلاة يعتقه، فعرفوا من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراعاة له، وكان يعتقهم.

---

(١) جزء من الآية (٧٢) من سورة ص مكية.

(٢) بقية الآية السابقة.

(٣) هو: الحسن البصرى، وتقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (٤) من سورة المدثر مكية.

(٥) حديث: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم).
رواه الحكيم عن أبى الدرداء، والحاكم عن أبى هريرة رضي الله عنه.
انظر الحديث رقم (٧١٣٣) ٢/ ٦٦٩.

(٦) حديث (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن).
الحديث رواه البزار، وأبو يعلى، والطبرانى فى مكارم الأخلاق، من حديث أبى هريرة.
وبعض طرق البزار رجاله ثقات، انظر المغنى عن حمل الأسفار للحافظ العراقى ٣/ ٤٩.

(٧) فى (جـ): (المؤمن).

(٨) حديث: (أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا).
رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، والحاكم من حديث أبى هريرة.
وروى بلفظ: (قـيل يا رسول الله أي المـؤمنين أفضلهم إيمـانًا) وبلفظ: (أكمل المـؤمنين) ورواه الطبرانى بلفظ: أفضلكم إيمانا.
انظر ما أورده الحافظ العراقى ٣/ ٤٩.

(٩) حديث: (خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن: البخل وسوء الخلق).
انظر الحديث رقم (١١٥٩٩) ٤/ ٥٦). ورواه الترمذى والبخارى فى الأدب.
جامع الأحاديث للسيوطى.

(١٠) (ابن عمر) هو: عبد الله بن عـمر بن الخـطاب، العدوى القرشى، أبو عبد الرحمن، صاحب =

فقيل له فى ذلك [فقال][(١)] : من خدعنا فى الله انخدعنا له[(٢)].

وقال «ذو النون»[(٣)]: أكثر الناس هما أسوأهم خُلُقًا.

وقيل: الخُلُق السيئ يضيق صـدر صاحبه[(٤)] لأنه لا يدعـه[(٥)] [أن][(٦)] يسع غير مراده [كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه][(٧)].

وقيل: من علامة حُسْن الخُلُق: أن لا يتـأثر الإنسان ممن يقف فى الصف بجنبه، ولا ممن يجلس أعلى منه فى المجلس.

ومن علامة سوء الخلق: وقوع البصر على سوء خُلُق الغير.

وقال «المحاسبى»[(٨)]: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة:

* حسن الوجه مع الصيانة.

* وحسن الخُلق مع الديانة.

* وحسن الإخاء مع الأمانة.

[وقال بعضهم: التصوف خُلُق، فمن زاد عليك فى الخُلُق زاد عليك فى التصوف][(٩)].

= رسول الله ﷺ، وابن وزيره، ولد سنة (١٠هـ) ونشأ فى الإسلام، وهاجر به أبوه قبل احتلامه، يقال: إنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج، عُرِض عليه أن يبايعوه بعد مقتل عثمان بن عفان فأبى. روي له البخارى والترمذى وأبو داود ومسلم وغيرهم.

توفى سنه ٧٣هـ.

انظر الإصابة فى معرفة الصحابة الترجمة رقم (٤٩٢٥) كتاب الوفيات ص ٧٩، وغير ذلك.

(١) ما بينهما سقط من (د).

(٢) فى (د): (اتحدنا) وفى (جـ): (إن خدعنا له).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (د): (صاحبها).

(٥) فى (د): (يدعه).

(٦) زيادة من (جـ) وسقطت فى (د).

(٧) ما بينهما سقط من (جـ).

(٨) (المحاسبى) هو: الحارث بن أسد المحاسبى، وكنيتـه أبو عبد الله، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والإشارات، له مؤلفات كثيرة مشهورة منها كتاب: الرعاية لحقوق الله، وغير ذلك كثير، كان استاذ أكثر البغداديين.

توفى سنه ٢٤٣هـ.

انظر: طبقات الصوفية للسلمى ص ٥٦، الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٦٤، الرسالة القشيرية ص ١٢، نفحات الأنس للجـامى ص ١٤٤، تاريخ التراث العربى فؤاد سزكـين ١/ ٤/ ١١٣، كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ١٧٨، الكواكب الدرية للمناوى ١/ ٣٨٩.

(٩) سقطت الفقرة ما بينهما وصححت بالهامش.

وقال «وهب»[(١)]: ما تخلَّق عبد بخُلُق أربعين صباحًا إلا جعل الله ذلك طبيعة له.

[وقيل «للأحنف»[(٢)]: ممّن تعلمت الحلم؟

فقال: من قيس بن عاصم، كنت جالسًا عنده فجاءت جارية له بسفود عليه شواء حار فسقط من يدها على ابن له فمات، فدهشت الجارية من ذلك، فقال لها: لا روعة عليك، أنت حرةٌ لوجه الله.

وقيل: «لإبراهيم بن أدهم»[(٣)]: هل فرحت فى الدنيا قط؟.

قال: نعم، مرتين:

مرة كنت قاعدًا فجاء إنسان وبال علىَّ.

ومرة كنت قاعدًا فجاء إنسان وصفعنى.

وحُكى عنه أيضًا أنه كان فى بعض البرارى فمرَّ به جندى وقال له: أين العمارة؟.

فأشار إبراهيم إلى المقابر، فضرب الجندى رأسه فكسره لظنه أنه يهزأ به، ثم تركه ومضى.

فقيل له بعد ذلك: إنه إبراهيم بن أدهم، زاهد خراسان.

فعاد إليه يعتذر.

فقال «إبراهيم»: إنك لما ضربتنى سألت الله لك الجنة.

فقال له الجندى: ولِمَ ذلك؟

فقال: لأنك سُقْتَ إلىَّ ثوابًا بضربك لى، فما رضيت أن يكون نصيبى منك الخير، ونصيبك منى الشر.

---

(١) (وهب) هو: أبو عبد الله، وهب بن منبه، الأبناوى الصنعانى الذمارى، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، كان عالمًا جليلا وعابدًا ورعًا، به أنفاس طاهرة صادقة، ولد سنه ٣٤هـ، فى صنعاء، وولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز عليها فى قضائها.

امتُحِن فى كبره وحبس، وتوفى سنة ١١٤هـ وعمره تسعون سنة، وقيل توفى بعد ذلك.

انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ١١١، والكواكب الدرية للمناوى ١/ ٣١٧.

(٢) (الأحنف) هو: الأحنف بن قيس، واسمه صخر بن قيس بن معاوية بن حصن، من تميم، ورهطه بنو مرة الذين بعثوا بصدقات أموالهم إلى النبى ﷺ، وقيل: اسمه: الضحاك بن قيس، اشتهر بالحلم، حتى كان علمًا عليه، كما اشتهر حاتم الطائى بالكرم، بقى الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، وخرج معه إلى الكوفة حتى توفى بها، وقد كبر جداً.

انظر: المعارف لابن قتيبة ص٤٢٣.

(٣) تقدمت ترجمته.

وقيل لـ «حاتم الأصم»[١]: حسن الخُلُق أن يتحمل الرجل من أكل أحد.

فقال: نعم إلاَّ من نفسه.

وقالت امرأة لـ «مالك بن دينار»[٢]: يا مرائى.

فقال: وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة][٣].

وقال «لقمان» لابنه: ثلاث لا يُعرفن إلا عند ثلاث[٤]:

* الحلم عند الغضب.

* والشجاعة عند الحرب.

* والصداقة عند الحاجة.

وكان[٥] لبعضهم غلام سوء فقيل له: لم تمسكه ولا تبعه؟.

فقال: لأتعلم عليه الحلم.

وحُكى أن رجلاً دعـا «أبا عثمان الحـيرى»[٦] إلى ضيـافته، فلما وصل مـعه إلى باب الدار قال له: يا شـيخ، ارجع فإنى قد ندمت على طلبك، فرجع الشـيخ، فلما وصل إلى باب داره جـاءه ذلك الرجل وقال: يا سـيدى، ارجع مـعى فإنى ندمت على ردِّك، فـرجع معه، فلما وصلا إلى باب دار الرجل، قال للشيخ: ارجع عنى فإنى ندمت على طلبك.

فرجع الشـيخ، فلما وصل إلى باب داره جـاءه الرجل وقال له كمـا قاله أولا، وهكذا جعل يرده أربع مرات أو خمـسًا حتى قال له فى الأخيرة: والله يا سيـدى ما قصدت بذلك إلاَّ اختبارك، فللّه درُّ خُلُقِك ما أحسنه!.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ما بين المعقوفتين حتى هنا سقط من النسخة (جـ).

(٤) فى (د): (ثلاثة لا يعرف إلا عند ثلاث).

(٥) من هنا سقط من (جـ) حتى نهاية هذا الباب.

(٦) (أبو عثـمان الحـيرى) هو: أبو عـثمـان: سعيـد بن إسمـاعيل بن سـعيـد بن منصور الحـيرى النيسابورى، وأصله من الرَّى، صحب يحيى بن مـعاذ الرازى وشاه بن شجاع الكرمانى، ثم رحل إلى نيسابور ليصحب أبا حفص ويأخذ عنه طريقته.

توفى أبو عثـمان بنيسـابور سنة ٢٩٨هـ، له أقوال فى التـصوف والزهد منهـا: العاقل: من تأهب للمخاوف قبل وقوعها.

انظر: طبقات الصوفية للسلمى ص١٧٠، وطبـقات الشعرانى حـ ١/ ٧٤، ونفحات الأنس للجامى (٢٧٧) والكواكب الدرية ١/ ٤٢١.

فقال له الشيخ: لا تمدحنى بخلق يوجد مثله فى الكلب، فإنه إذا دُعى أقبل، وإذا طُرِد انصرف.

وقيل: إنه مرَّ يومًا فى بعض المحال فألقى عليه رماد من بعض البيوت، فغضب أصحابه وبسطوا ألسنتهم بالقول.

فقال لهم: لا تغضبوا، فإن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب.

ورُوى أنه نزل بعض الفقراء على «جعفر بن حنظلة»[١] ولم يكن يعرفه، وكان جعفر يبالغ فى خدمته، والفقير يقول له فى كل ساعة: نعم الرجل أنت لو لم تكن يهوديًا.

وجعفر يقول له: عقيدتى لا تضرك فيما تحتاج إليه من خدمتى، فاسأل الله لنفسك الشفاء ولى الهداية، ولم يُعرِّف نفسه.

عليك أيها المريد بترك حظوظ نفسك من كل شيء يتنازع فيه أبناء الدنيا التى هى أخس من الجيفة، لأن الجيفة قد تسلم لبعض الكلاب فمن ينازعه فيها، بخلاف الدنيا فإنها لا تسلم لأحد عن المنازع، فكم من نفوس فنيت فى حبها وأديان ذهبت فى طلبها، فمن أبغضها وترك حظوظه منها سلم من غائلة الحسد والمنازعة التى هى أصل كل بلاء وفتنة][٢].

(١) (جعفر بن حنظلة) لم أقف على ترجمته.

(٢) حتى هنا سقط من النسخة (جـ).

الباب الثامن والثلاثون

في السفر

لما كان رأى كثير من أهل الحقيقة اختيار السفر جُعل له باب على حِدَة، وهم مختلفون فيه.

* فمنهم: من اختار الإقامة ولم يسافر إلاّ لحجّة الإسلام «كالجنيد»(١) و «سهل بن عبد الله»(٢) و «بايزيد البسطامى»(٣) و «أبى جعفر»(٤) وغيرهم.

* ومنهم: من اختار السفر ولم يزل عليه حتى خرج من الدنيا «كأبى عبد الله المغربى»(٥) و «إبراهيم بن أدهم»(٦) وغيرهما.

* ومنهم: من سافر فى حال الشباب، وابتداء الحال، وأقام فى حال الشيخوخة كـ «الشبلى»(٧) و «أبو عثمان الحيرى»(٨) وغيرهما.

ولكل منهم أصول بنى عليها طريقه.

---

(١) مضت ترجمته. (٢) مضت ترجمته. (٣) مضت ترجمته.

(٤) (أبو جعفر) لعله (أبو جعفر محمد الباقر) بن على بن زين العابدين بن على بن أبى طالب، سمى بالباقر لأنه بقر العلم، أى: شقه، فعرف أصله.
كان يقول: إن الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر لله عز وجل.
وكان يقول: ما دخل قلب امرئ شىء من الكبر إلا نقص من عقله.
توفى، رحمه الله، سنة ١١٧هـ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.
انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٢٨.

(٥) (أبو عبد الله المغربى) واسمه: محمد بن إسماعيل، كان استاذ إبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان، صحب على بن رزين، وعاش، كما قيل: مائة وعشرين سنة.
توفى سنة ٢٩٨هـ، وقيل: ٢٩٩هـ.
وله أقوال هامة منها: الفقير المتجرد من الدنيا، وإن لم يعمل شيئًا من أعمال الفضائل ـ ذرة منه أفضل من هؤلاء المتعبدين المجتهدين ومعهم الدنيا.
انظر طبقات الصوفية (٢٤٢).

(٦) مضت ترجمته. (٧) مضت ترجمته. (٨) مضت ترجمته.

واعلم أن الذين اختاروا السفر على الإقامة إنما اختاروه لما فيه من زيادة الرياضة، وليكونوا مع الله بلا علاقة ولم يتركوا من أورادهم شيئًا فى السفر.

قالوا: الرخص لمن يسافر ضرورة ونحن نسافر اختياراً.

وقيل: إنما سُمِّى السفر سفراً لأنه يُسْفِر عن أخلاق الرجل، أى: يكشف عنها.

وعن «مالك بن دينار»(١) : إن الله تعالى أوحى إلى موسى، عليه السلام، أن اتخذ نعلين من حديد، وعصى من حديد، وسح فى الأرض فاطلب الآثار والعبر حتى ينخرق النعلان، وتنكسر العصى.

وقال فقير «لمحمد الكتانى»(٢): أوصنى.

فقال: اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد، وأن تموت إلا بين منزل](٣).

وقال «الحصرى»(٤): جلسة خير من ألف حجة.

أراد جلسة تجمع الهم بوصف بالشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة.

[وقال «أبو عبد الله الضبِّى»(٥) : سافرت ثلاثين سنة ما خطت لى خرقة على مرقعتى، ولا عدلت إلى موضع علمت أن لى فيه رفقاء، ولا نزلت أحدا يحل لى شيئًا](٦).

والسفر نوعان:

* سفرٌ بالبدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وهو كثير الوجود.
* سفر بالقلب: وهو الانتقال من صفة إلى صفة، وذلك قليل الوجود.

ويُسَمّى الأول سفر الأرض، والثانى: سفر السماء.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (محمد الكتانى) هو: أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى، أصله من بغداد، صحب أبا سعيد الخراز، والنوري، وغيرهما، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات سنة ٣٢٢هـ.
كان يقول: إن لله ريحا تسمى الصبيحة، مخزونة تحت العرش، تهب عند الأسحار، تحمل الأنين والاستغفار إلى الملك الجبار.
انظر طبقات الصوفية ٣٧٣، الرسالة القشيرية ص ٢٩، الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٩٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (أبو عبد الله الضبّى) هو: أبو عبد الله، محمد بن خفيف الضبى، أقام بشيراز، وهو شيخ المشايخ: وأوحدهم فى وقته، كان عالمًا بعلوم الظاهر والحقائق، حسن الأحوال فى المقامات والأحوال.
توفى، رحمه الله، سنة ٣٧١هـ.
انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ١٠٣.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

وكان النبي ﷺ إذا استوى على البعير خارجًا إلى السفر كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾.

ثم يقول: اللهم أنَّا نسألك في سفرنا هذا الستر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، هوِّن علينا سفرنا.

اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

فإذا رجع من سفره قالهن، وزاد فيهن: «آيبون تائبون لربنا حامدون»[1].

---

(١) حديث السفر: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا...).
الجزء الأول الآية رقم (١٣) من سورة الزخرف.
وذكر الحديث بتمامه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة الزخرف، عن ابن عمر ﷺ، وقال: هكذا رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي من حديث ابن جريج.
والترمذي من حديث حماد بن سلمة، كلاهما عن أبي الزبير به.
انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٤.

الباب التاسع والثلاثون

فى الذكـــــر

اعلم أن الذكر هو العـمدة فى هذا الطريق[١]، فلا يصل [أحد][٢] إلى الله تعـالى إلاَّ بدوام ذكره، وهو مأمور به أيضًا.

قـال الله تعـالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٣].

وقال النبـى ﷺ : قال الله تعالى: «يا ابن آدم، إذا ذكـرتنى شكرتنى، وإذا نسـيتنى كفرتنى»[٤].

وقال ﷺ : «خير الأعمال ذكر الله»[٥].

وقال ﷺ : «لكل شىء صقال، وصقال القلوب ذكر الله»[٦].

وقال ﷺ : «إذا رأيتم رياض الجنة فـارتعوا فيـها، قيل: يا رسـول الله، وما رياض الجنة؟ فقال: مجالس الذكر»[٧].

---

(١) فى (جـ): (فى هذه للطريقة). (٢) سقطت من (د).

(٣) الآية رقم (٤٢) من سورة الأحزاب مدنية.

(٤) حديث: (يا ابن آدم إذا ذكرتنى شكرتنى، وإذا نسيتنى كفرتنى).
أورد السيوطى هذا الحديث بلفظ: (يا ابن آدم إنك ما ذكرتنى...) إلخ، الحديث.
وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة، الحديث رقم (١٥٠٥٩) ٤/ ٦٨٩.

(٥) حديث: (خير الأعمال ذكر الله) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنمـا أورد الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء حديث: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم...).
وقال: رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم، وصحيح إسناده من حديث أبى الدرداء.
المغنى ١/ ٢٩٦.

(٦) حديث: لكل شىء صقال وصقال القلوب ذكر الله) لم أقف عليه.

(٧) حديث: (إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا).
الحديث رواه الترمذى من حديث أنس وحسّنه.
انظر المغنى عن حمل الأسفار للحافظ العراقى ١/ ٣٤ و ١/ ٢٩٦.

وقال ﷺ : «من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد من حيث أنزله العبد من نفسه»[١].

وقال «أبو عليٍّ الدقاق»[٢]: الذكر منشور الولاية، فمن وُفّق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سُلب الذكر فقد عُزل.

وقال «ذو النون»[٣]: عقوبة العارف[٤] انقطاعه عن الذكر.

وقيل: الذكر أفضل من الفكر لأن الله تعالى يوصف به ولا يوصف بالفكر.

ومن خصائص الذكر أن الله تعالى جعل فى مقابلته الذكر فقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٥].

وهذا من خصائص هذه الأمة، لم يعط الله تعالى لأمة قبلها، كذا قال رسول الله ﷺ حكاية عن جبريل عليه السلام، عن الله تعالى.

وقال ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٦]: معناه: «ذكره الذى وعدكم به فى قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ أكبر من ذكركم له».

ومن خصائص الذكر أنه غير موقت، بل العبد مأمور به فى كل وقت، باللسان أو بالقلب، إمَّا فرضا أو ندبًا[٧].

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[٨].

قال الإمام «أبو بكر بن فورك»[٩]: معناه: قيامًا بحق الذكر، قعودًا عن الدعوى فيه.

وقال الإمام القشيرى[١٠]: قال السرى[١١]: مكتوب فى بعض الكتب المنزلة: «إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته».

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «بى فافرح، وبذكرى تنعم».

وفى الإنجيل: «اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب».

---

(١) فى (جـ): (منه).

والحديث: (من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده) لم أقف عليه فيما بين يدى من مراجع.

(٢) تقدمت ترجمته، وفى (جـ): (رحمة الله عليه).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (جـ): (العارفين).

(٥) الآية رقم (١٥٢) من سورة البقرة مدنية.

(٦) الآية رقم (٤٥) من سورة العنكبوت مكية.

(٧) فى (جـ): (ندمًا).

(٨) الآية رقم (١٩١) من سورة آل عمران مدنية.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

والذكر ثلاثة أنواع:

ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالروح.

بالأول يتوصل إلى الثانى، وبالثانى يتوصل إلى الثالث، الذى هو الغاية القصوى(٥).

وقيل: هو ثلاثة أنواع:

* ذكر باللسان فى غفلة القلب، ويسمى ذكر العادة، وهو ذكر العوام، وثمرته العقاب لأنه ذنب.

* وذكر باللسان مع حضور القلب، ويسمى ذكر العبادة، وهو ذكر الخواص، وثمرته الثواب.

* وذكر بجميع الجوارح والأعضاء، ويسمى ذكر المعرفة والمحبة، وهو ذكر خواص الخواص، وثمرته لا يمكن التعبير عنها، ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلاَّ الله تعالى.

وقيل: حقيقة الذكر: أن تذكر الله تعالى وأنت ناسٍ لكل شىء سواه.

ولهذا قال «ذو النون»(٢): من ذكر الله عـلى الحقيـقة نسى فى جنب ذكـره كل شىء وحفظ الله تعالى عليه كل شىء.

وأفضل الذكر: لا إله إلاَّ الله، لقوله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلاَّ الله»(٣).

والذكر الخفى أفضل لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٥)(٦).

---

(١) فى هامش النسخة (جـ) زاد بالمقابلة تفسير للذكر بقوله:

(الذكر مـع رفع الصوت جـائز، بل مسـتحب، إذا لم يكن الرياء؛ ليـتعلم الناس لإظهـار الدين ووصول بركة صـوت الذكر إلى السامعـين فى الدور والبيوت والحـيوانات، وليوافقهـا القائل من سمع صوته، ويشهـد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته، وبعض المشايـخ يختار إخفاء الذكر، لأنه أبعد عن الرياء، وهذا يتعلق بالنية، فمن كانت نيـته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر وما ذكرنا، ومن خاف من نفسه الرياء فأولى به إخفاء الذكر لئلا يقع فى الرياء).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حديث (أفضل الذكر: لا إله إلاَّ الله).

رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان والحاكم وصححاه عن جابر.

انظر الحديث رقم (٤٥٢) ١/ ١٥٢ من كشف الخفاء للعجلونى.

(٤) الآية رقم (٢٠٥) من سورة الأعراف مكية.

(٥) الآية رقم (٥٥) من سورة الأعراف مكية.

(٦) فى هامش النسخة (جـ) ورقة (٣٤ أ) كتب هذا تفسيراً وهو: =

وقوله ﷺ: «خير الذكر الخفى»(١).

والمعنى فيه أخلص لله، وأبعد عن الرياء، وأكثر فائدة وثمرة بالتجربة.

وعن «الحمَّاد المكى»(٢) أنه قال: ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفًا على ذكر اللسان.

وقيل: ذكر الله بالقلب سيف الخواص.

وذكره باللسان سيف العوام.

وقال «محمد الكتانى»(٣): لولا أن ذكره فرض لما ذكرته إجـلالاً له، كيف يذكره مثلى ولا يغسل فمه قبل ذكره بألف توبة مقبولة.

وقيل لراهب: أنت صائم بذكر الله فإذا ذكرت غيره أفطرت.

وقال «الجريرى(٤)»: كان بين أصحابنا [رجلٌ](٥) يكثر قول: الله الله الله الله [فوقع على رأسه جذع فشجَّ رأسه، فجرى منه الدم فكتب على الأرض، الله، الله](٦).

= (أى يقول: اقرأ يا محمد إذا كنت إمامًا، تضرعًـا: يعنى مسكينًا، وخفيةً يعنى: خوفًا من عذابه، وهذا قول القائل.

وقال الكلبى: ﴿واذكر ربك فى نفسك﴾ يعنى سرًا ﴿ودون الجهر من القول﴾ يعنى العلانية حتى يسمع من خلفك.

وقال الضحاك: معناه: اجهر بالقـراءة فى صلاة الغداة والمغرب والعشاء ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ يعنى لا يغفل عن القـراءة فى الظهر والعصـر بأنك تخفى القـراءة فيهمـا، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: اذكروا الله ذكرًا خاملاً، قيل: وما الذكر الخامل، قال: الذكر الخفى.

وقوله: ﴿بالغدو والآصال﴾ يعنى: غدوة وعشيًا).

(١) حديث: (خير الذكر الخفى).

وله بقية: (وخير الرزق ما يكفى).

وله روايات أخرى.

الحديث رواه أبو يعلى، والعسكرى، وأبو عوانة، وأحمد، وابن حبان، وصححه عن سعد بن أبى وقاص رفعه.

وللحديث أقوال حوله كثيرة انظرها فى الحديث رقم (١٢٥٠) من كشف الخفاء للعجلونى ١/ ٣٩٢.

(٢) (حماد المكى) لعله: أبو عمرو حماد القرشى، كان من كبار المشايخ، وكان الجنيد يزوره.

ومن أقواله: لا تأخذوا العوض فتكونوا مغرورين.

توفى فى القرن الثالث الهجرى.

انظر نفحات الأنس للجامى ص ٢٥٠.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) سقط من (جـ).

(٦) سقط من (د).

[وكان الشبلي ينشد:

ذكَـرتُك لاَ إنِّـى نَسِـيتُكَ لَمْـحـةً
وأيْسَـرُ مَـا فِي الذِّكْـرِ ذِكْـرُ لِسَـانِي
فَلَمَّـا رآنِي الوَجْـدُ أنَّك حَـاضِـرِى
شَـهِــدتُكَ مَـوْجُـودًا بِـكُلِّ مكَانِ
فَـخَـاطَبْتُ مَـوْجُـودًا بِغَـيْـرِ تَكلُّمٍ
ولاَحَظْتُ مَـعلُومًا بِغَـيْـرِ عِيَـانِي][1]

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومقابل بالهامش.

الباب الأربعون

فى الشكر

الشكر عن المحققين: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى هذا يكون وصف الله بالشكور توسُّعًا.

ومعناه: أنه مجاز للعباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً، كما سمى جزاء السيئة سيئة، وجزاء الاعتداء اعتداء.

وقيل: شكره إعطاؤه الكثير من الثواب على القليل من العمل، من قولهم: حيوان شكور إذا ظهر من السمن فوق ما يُعطَى من القوت.

وقيل: حقيقة الشكر: الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

وعلى هذا لا إشكال، لأن الله تعالى سمى شكوراً لأنه أثنى على عبيده المطيعين بذكر طاعاتهم، والطاعات إحسان.

وسُمِّى العبد شكوراً لأنه أثنى على الله تعالى بذكر نعِمَه[1] التى هى أعظم أنواع الإحسان.

وقال «أبو عثمان المغربى»[2]: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

وقيل: هو أن تعلم أن النعمة من الله تعالى وحده، ويؤيد هذا القول ما رُوى عن موسى، عليه السلام، أنه قال فى مناجاته: إلهى خلقت آدم بيدك، وفعلت معه ما فعلتَ، فكيف شكرك؟.

فقال: عَلِمَ أن ذلك منى، فكان ذلك شكره.

وقال «الجنيد»[3]: الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وقال أيضًا: الشكر أن لا يستعان بنعم الله على معاصيه.

وقال «الشبلى»[4]: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة.

---

(١) فى (جـ) (نعمته).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

قلت: ويؤيد هذا القول أن أيوب، عليه السلام، صبر على البلاء فقيل له: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾.

وسليمان، عليه السلام، شكر على النعمة، فقيل له: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ لأنهما اتفقا فى المقام لعدم الالتفات إلى النقمة والنعمة، لفقدان الألم واللذة باعتبار كمال المحو وانسلاب صفات البشرية عنهما انسلابًا انقلب معه الصبر شكرًا، والشكر صبرًا، فعدُم التمييز بينهما.

كما قيل:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّت الخَمْرُ
فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّما[1] خَمْرٌ ولاَ قَدَحٌ
وَكَأَنَّما[2] قَدَحٌ ولاَ خَمْرُ[3]

والفرق بين الشاكر والشكور[4]:

أن الشاكر: هو الذى يشكر على العطاء

والشكور: هو الذى يشكر على المنع.

وقيل: الشاكر: هو الذى يشكر على النعماء.

والشكور: هو الذى يشكر على البلاء.

والشكر نوعان:

* **شكر باللسان**، وهو معروف.
* **وشكر بالقلب**، وهو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة.

وقيل: هو ثلاثة أنواع:

* شكر باللسان.
* وشكر بالقلب.
* وشكر بجميع الجوارح على ما يليق بكل جارحة:
  * فشكر العينين غضهما عن محارم الله تعالى، وعن عيوب الناس.

---

(١) فى (د): (فكأنه).
(٢) فى (د): (وكأنه) وفى (جـ): (وكأنها).
(٣) البيتان يتناقلهما الصوفية على اختلافهم، وهما للحلاج.
(٤) فى (د): (الشاكران).

* وشكر الأذنين التصامم عن عيوبهم، وعمًّا لا يحل سماعه.
* وشكر اليدين كَفُّهما عن أموال الناس.
* وشكر الرجلين كفهما عن المشى فى معصية الله تعالى.

وعلى هذا القياس.

وقيل: هو ثلاث منازل:

شكر القلب، وهو الاعتقاد بأن الله ولى كل نعمة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١).

وشكر باللسان، وهو إظهار النعمة باللسان.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٢).

يعنى: قل: الحمد لله، فإن الحمد رأس الشكر، كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان.

وشكر بالعمل، وهو إدامة الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾(٣)](٤).

وقيل:

- شكر العالِم بالقول.
- وشكر العابد بالفعل، وهو الطاعة والعبادة.
- وشكر العارفين بالاستقامة فى كل حال.

وقال «أبو عثمان المغربى»(٥): شكر العوام على الطعام والشراب ونحوهما، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى الربَّانية.

وقيل: إن الشكر على الشكر أتم من الشكر، وأن يرى شكره لله بتوفيق الله، ويعتقد أن ذلك التوفيق من أتم النعم، فيشكر على ذلك التوفيق الذى هو الشكر الأول.

ثم الكلام فى الشكر الثانى كذلك إلى ما لا يتناهى.

---

(١) الآية رقم (٥٣) من سورة النحل مكية.
(٢) الآية رقم (١١) من سورة الضحى مكية.
(٣) الآية رقم (١٣) من سورة سبأ مكية.
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).
(٥) تقدمت ترجمته.

وروِيَ: أن داود، عليه السلام، قال: «إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك».

فأوحى الله تعالى إليه: الآن شكرتنى(١).

وقيل: التزم «الحسن بن على»(٢) ﷺ، عند الركن [اليمانى](٣) وقال: إلهى أنعمت علىّ فلم أشكر، وأبليتنى فلم أصبر، فلم تسلب النعمة لترك الشكر، ولا أدمت البلاء لترك الصبر، إلهى ما يكون من الكريم إلاّ الكرم.

وقيل: مرّ بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه، فأنطقه الله تعالى فقال: يا نبى الله، مذ سمعت قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(٤) أنا أبكى خوفًا من أن أكون تلك الحجارة، فدعا ذلك النبى له فأجاره الله تعالى من النار.

ثم مرّ به بعد مدة(٥) فوجده يتفجر كما كان، فتعجب منه فأنطقه الله تعالى، فقال: يا نبى الله، كان ذلك بكاء الحزن، وهذا بكاء السرور والشكر.

قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى، عليه السلام: يا موسى ارحم المعافى والمبتلى من عبادى.

فقال: يا رب أمّا المعافى فلِمَ؟.

قال: لقلة شكره على العافية.

وقال «الجنيد»(٦): الشكر فيه عِلّة وهى طلب المزيد.

وذلك وقوف مع حظ(٧) النفس.

[وعن بعضهم قال: رأيت شيخًا كبيرًا فى بعض الأسفار فسألته عن حاله فقال: كنت فى شبابى أهوى ابن عمّة لى وتهوانى وتزوجتها فلما زُفّت إلىّ قلنا: لو أحيينا هذه الليلة شكرًا لله على نعمه بجمع شملنا، ففعلنا، ولم يتفرغ واحد لصاحبه، فلما كانت الليلة الثانية فعلنا مثل ذلك، ولنا سبعون(٨) سنة على تلك الحال كل ليلة](٩).

---

(١) فى (جـ): (الآن قد شكرتنى).

(٢) فى (جـ): (حسن) وتقدمت ترجمته.

(٣) ما بينهما سقط من (جـ).

(٤) الآية رقم (٢٤) من سورة البقرة مدنية.

(٥) فى (د): (مر به مرة).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (جـ): (حفظ).

(٨) فى (د): (سبعين).

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومقابل بالهامش.

ثم اعلم أن الحمد يوضع موضع الشكر، وإن كان الحمد أعم من الشكر، لأن الشكر الثناء على المنعِم بما أولاك من النعمة، والحمد الثناء على الذات بصفاتها الحميدة كائنة ما كانت، وفي الحديث الصحيح: «إن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال»[1].

وفي رواية أخرى: «الحامدون لله على السرَّاء والضرَّاء»[2].

وقال ﷺ: «الحمد شكر كل نعمة»[3].

وقيل: الحمد لله على ما دفع، والشكر على ما صنع.

[وأنشد بعضهم:

إِذَا كَانَ شُكْرِى نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً
عَلَىَّ لَهُ فِى مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغِى الشُّكْرِ إِلاَّ بِفَضْلِهِ
وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ واتَّصَلَ العُمْرُ
فَمَا لِىَ عُذْرٌ غَيْرَ أَنِّى مُقَصِّرٌ
وَعُذْرِىَ فِى التَّقْصِيرِ أَنْ لَيْسَ لَهُ عُذْرُ][4]

(١ ، ٢) حديث: (إن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال).
أورده السيوطي في جامع الأحاديث بلفظ: (أول من يُدعى إلى الجنة الحمَّادون الذين يحمدون الله على السرَّاء والضراء).
وقال: رواه الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، كلهم عن ابن عباس.
انظر الحديث رقم (٨٧٨١) ٣/ ٢٦٢.

(٣) حديث (الحمد شكر كل نعمة) لم أقف عليه.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب الحادى والأربعون

فى الدعـــاء

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢).

وقال النبى ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»(٣).

وقال ﷺ: «أفضل الدعاء: الحمد لله»(٤).

واختلف الناس فى الأفضل: هل هو الدعاء أم السكوت والرضى؟.

فقيل: الدعاء أفضل لأنه عبادة فى نفسه، لما روينا، ولأنه مستحق لله تعالى لما فيه من إظهار فاقة العبودية وذلها، ولهذا ذمَّ الله تعالى قومًا لا يدعونه فقال: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾(٥).

قيل: لا يمدُّونها إلينا بالسؤال.

وقيل: السكوت والجمود تحت جريان الحكم [على](٦) أتم رضى بما سبق من اختيار الحق وإرادته.

---

(١) الآية رقم (١٨٦) من سورة البقرة مدنية.

(٢) الآية رقم (٦٠) من سورة غافر مكية.

(٣) حديث: (الدعاء مُخُّ العبادة).

رواه الترمذى عن أنس رضي الله عنه، انظر السيوطى: جامع الأحاديث للحديث رقم (١٢١٦١) ٤/ ١٥٦.

(٤) حديث (أفضل الدعاء: الحمد لله).

هو شطر الحديث: (أفضل الذكر لا إله إلاَّ الله، وأفضل الدعاء الحمد لله) وقد مضى تخريجه.

(٥) الآية رقم (٦٧) من سورة التوبة مدنية.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

وقد قال النبى ﷺ خبرًا عن الله تعالى: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما يُعطى السائلون»[١].

وقال قوم: يجب أن يكون العبد صاحب دعاء[٢] بلسانه، صاحب رضًى بقلبه ليجمع بين الأمرين.

قال الإمام القشيرى[٣]: والأولى أن يقال: إن الأوقات مختلفة.

ففى بعضها الدعاء أفضل.

وفى بعضها السكوت أفضل.

والفاصل بينهم الإشارة، فمتى وجد فى قلبه إشارة إلى الدعاء فهو وقته، ومتى وجد فى قلبه إشارة إلى السكوت فهو وقته.

ويجوز أن يكون الفاصل بينهما ما يجده من البسط فى قلبه، فإن وجد الدعاء يوجب البسط دعا.

وإن وجد ما يوجب القبض سكت، فإن لم يجد ذلك ولا هذا[٤] كانا سواءً فيتخير إن كان العلم والمعرفة فى ذلك الوقت سواء عنده، وإن غلب عليه العلم ترجح الدعاء، وإن غلبت المعرفة ترجح السكوت والسكون.

قال أيضًا: ويجوز أن يقال: ما كان للعباد فيه نصيب، أو لله فيه حق، فالدعاء به أولى، وما كان فيه حظ الداعى[٥] فالسكوت عنه أولى.

وفى الخبر: «إن العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول: يا جبريل أخِّر حاجة عبدى، فإنى أحب أن أسمع صوته، وإن العبد يدعو الله تعالى وهو يبغضه فيقول: يا جبريل اقض حاجة عبدى، فإنى أكره أن أسمع صوته»[٦].

---

(١) حديث (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته...).
رواه البخارى فى التاريخ، والبزار فى مسنده، والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب، وذكره ابن حبان فى الضعفاء، وفى الثقات أيضًا.
انظر المغنى عن حمل الأسفار ١/ ٢٩٦.

(٢) فى (جـ): (دعا داعيا). (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (جـ): (وهذا). (٥) فى (جـ): (حظ النفس).

(٦) حديث: وفى الخبر: يا جبريل: أخِّر حاجة عبدى، فإنى أحب أن أسمع صوته.
انظر الحديث رقم (٧٤)، (٧٥)، (٧٦)، (٧٧)، (٧٨) من كتاب الأحاديث القدسية، باب محبة الله تعالى للعبد، ص ٧٨، ٨٩.

وعن «أنس بن مالك»(1) ﷺ: أنه كان(2) في زمن رسـول الله ﷺ رجل(3) يتجر من الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى الشـام، ولا يصحب القوافل، توكلا منه على الله تعالى، فبينمـا هو آت من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس، فـصاح بالتاجر: قف، فوقف وقال له: شأنك ومالي وخلِّ سبيلي.

فقال له اللص: المال لي، وإنما أريد أخْذَ روحك.

فقال له التاجر: أمهلني حتى أتوضأ وأصلي وأدعو ربي.

قال: أمهلتك.

فقام التاجر وتوضـأ، وصلى أربـع ركـعات، ورفـع يـده إلى السـماء وقال: يا ودود، يا ودود، يا ذا العـرش [المجيد](4)، يا مبـدئ، يا معيـد، يا فعال لمـا يريد، أسألك بنور وجهك [الكريم](5) الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلْقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت [أغثني](6) يا مغيث، أغثني يا مغيث.

فلما فرغ من دعـائه وجد فارسا على فرس أشـهب وعليه ثياب خُضـر وبيده حربة من نور، فلمـا نظر اللص الفارس ترك التـاجر، ومـر نحو الفـارس، فلما دنى منه حل علـيه الفارس فطعنه طعنة رماه عن فرسه.

ثم قال للتاجر: قم فاقتله.

فقال له التاجر: ما قتلت أحداً قط، ونفسي لا تطلب بقتله، فقتله الفارس.

فقال التاجر له: من أنت؟.

فقال: أنا ملك من السماء الثالثة ألزمني(7) الله تعالى بقتل هذا، وذلك أنك لما دعوت الأولى سمعنا أبواب السماء قعقعة فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية ففُتحت أبواب السماء ولها شـرر كشـرر النار، ثم دعوت الثـالثة فـهبط جبـريل علينا، من قِبل الله تـعالى، وهو ينادي: من بهذا المكروب؟ فدعوت ربي أن يولينى قتله فأجابني.

واعلم يا عبد الله: إن دعا أحد(8) بدعائك هذا في كل كُربة وشدة ونازلة فرَّج الله عنه وأعانه.

---

(1) تقدمت ترجمته.
(2) في (جـ) (تاجراً).
(3) سقطت من (جـ).
(4) سقطت من (د).
(5) سقطت من (جـ).
(6) سقطت من (د).
(7) في (جـ): (أكرمني).
(8) في (جـ): (أن من دعا بدعائك).

وجاء التاجر إلى المدينة غانمًا سالمًـا فأخبر النبى ﷺ بالقصة فقال له النبى ﷺ : «لقد لقنك الله تعالى الأسماء الحسنى التى إذا دُعِى بها أجاب، وإذا سُئل بها أعطى»(١).

وحُكى عن(٢) الليث(٣) أنه قال: رأيت «عقبة بن نافع»(٤) ضريرًا ثم رأيته بصيرًا.

فقلت له(٥): بم رُدَّ عليك بصرك؟.

فقال: رأيت قائلا يقول بى فى منامى(٦) قل: يا قريب، يا مجيب، يا سميع الدعاء، يا لطيف لما يشاء، رُدَّ علىَّ بصرى، فقلته فرُدَّ علىَّ بصرى.

وحُكى عن «محمد بن خزيم»(٧) قال: لما مات «أحمد بن حنبل»(٨) كنت بالاسكندرية فاغتمت لموته، فرأيته فى المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟.

فقال: غفر لى وتوَّجنى، وألبسنى نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد، هذا بقولك القرآن كلامى، ثم قال: ادعُنى بالدعاء الذى بلغك عن «سفيان الثورى»(٩) وكنت تدعونى به فى الدنيا.

---

(١) حديث (أنس بن مالك) وقصة التاجر الذى دعا بأسماء الله الحسنى التى إذا دُعى بها أجاب وإذا سُئل بها أعطى.

لم أقف عليه فيما بين يدى من مراجع.

(٢) من (جـ)

(٣) (الليث) هو: الفقيه الإمام أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى بالولاء، المصرى، إمام أهل مصر فى الفقه والحديث، أصله من خراسان، ولد سنة ٩٤هـ بقلقشندة، وهى قرية قريبة من القاهرة ـ على حد قوله ـ روى عن الزهري ونافع وغيرهما، وكان من الكرماء الأجواد. توفى سنة ١٧٥هـ.

انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ١٣٩.

(٤) (عقبة بن نافع) هو: عقبة بن نافع بن عبد القيس، الأموى القرشى الفهرى، ولد سنة ١ قبل الهجرة، وشهد فتح مصر، ووجهه عمرو بن العاص واليًا على إفريقية سنة ٤٢هـ، وأوغل فى بلاد إفريقية حتى وصل إلى وادى القيروان.

وتوفى سنه ٦٣هـ.

انظر كتاب الوفيات ص ٥٩.

(٥) كيف كان هذا الحوار بين الليث وبين عقبة فى الوقت الذي ولد فيه الليث سنة ٩٤هـ، وعقبة توفى قبل ميلاد الليث؟!.

وربما كان هذا منامًا أيضًا، والسياق يبيح ذلك، ولعل المؤلف يقصد عقبة آخر، أو ليثًا آخر (المحقق).

(٦) فى (جـ): (المنام).

(٧) (محمد بن خزيم) لم أقف له على ترجمة.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

فقلت: يا ربّ كل شيء، بقدرتك على كل شيء، اغفر لى كل شيء، ولا تسألنى عن شيء.

فقال: يا أحمد هذه الجنة فادخلها، فدخلتها.

وقيل: إن هذا الدعـاء مجرب لجمـيع الضالة: يا جامع الناس يوم لا ريب فيـه اجمع علىّ ضالتى.

وعلّم الخضر رجلاً دعاء لشفاء المرضى فقال: ضع يدك على الوجع وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(١).

ففعل الرجل فعوفى.

ومن الأدعية المجرّبة: يا مسبب كل سبب، ويا مأمول من طلب، رُدّ علىّ ما ذهب.

دعا به أعرابى مات جمله فأحياه الله تعالى.

وقال «الكتّانى»(٢): رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت له: ادع الله تعالى أن لا يميت قلبى.

قال: «قل كل يوم أربعين مرّةً: يا حىّ يا قيوم [يا](٣) لا إله إلا أنت».

وقيل: تـعلّق شاب بأسـتار الكعبـة وقال: إلهى لا شـريك لك فيـؤتى، ولا وزير لك فيرشى، إن أطعـتك فبفضلك، ولك الحمد، وإن عـصيتك فبجـهلى، ولك الحجة علىّ، فبإتيان حجتك علىّ وانقطاع حجتى لديك إلاّ غفرت لى.

فسمع هاتفا يقول: الفتى عتيق من النار.

وقيل: [الدعاء](٤) سلم المذنبين.

وقيل: لسان المذنبين دموعهم.

وقيل: الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب.

وقـيل: الدعـاء يوجب الحـضـور، والعطاء يوجب الصـرف، والمـقـام على البـاب [أشرف](٥) من الانصراف بالمبار(٦).

---

(١) الآية رقم (١٠٥) من سورة الإسراء مكية.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) زيادة من (د).
(٤) سقط من (جـ).
(٥) سقط من (جـ).
(٦) ربما قصد بها (البوار) أى الكساد، أى كسـاد العملة، كناية عن عدم تحقيق المطلوب إذا عاد خائبًا دون الحصول على العطية.

وقال «صالح المرّى»(١) : من أدمن قرع الباب فُتِح له.

فقالت له رابعة(٢): ومتى أُغلِقَ هذا الباب حتى يُفتح.

فقال: شيخ يجهل وامرأة علمت.

وقال رجل لبعضهم: ادْعُ لى.

فقال: كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبينه واسطة.

ومن آداب الدعاء: حضور القلب.

ومن شروطه: حل المطعم.

فقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة، وأسنان المفتاح لقم الحلال.

---

(١) (صالح المرّى) كان من أكابر المشايخ، وهو: أبو بشر صالح المرّى، كان يبكى بكاء شديداً ويجأر بصوت عال، وكان يمكث مبهوتًا إذا رأى المقبرة لمدة يومين، كان يسمع كلام الموتى ويكلمهم، واشتهر بالتجرد، وتكلم فى علم الحقيقة، وله أتباع وأصحاب ومريدون.
توفى سنة ١٧٢هـ.
وكان يقول: (اللهم إنى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطاهر المطهر المقدس).
انظر طبقات الشعرانى ١/ ٤٠، الكواكب الدرية ١/ ٢٢٨، المعارف ص ٤٢٠.

(٢) تقدمت ترجمتها.

الباب الثانى والأربعون

فـــــى الإرادة

الإرادة والمشيئة فى اللغة بمعنى واحد.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: الإرادة: نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه.

ولهذا قال بعضهم: الإرادة لوعة تهوّن كل روعة.

وأكثر المشايخ على أن الإرادة ترك ما عليه العادة.

وعادة الناس فى الغـالب: الإقامة فى أوطان الغـفلة، والسكون إلى اتباع الشـهوات، فمن خرج عن ذلك سُمِّى مريداً.

فالمريد فى اللغة: من له إرادة.

[**وفى اصطلاح أهل الحقيقة:** من لا إرادة له][1].

وكل مريد مـراد فى الحقيقة، ولأنه مـرادٌ لله تعالى [فلا بد][2] أن يكون مريداً[3] لا محالة، فكل مراد مريد[4] أيضًا.

وهذا هو[5] الصحيح عند بعضهم.

قال الإمام القشيرى[6]؛ وغيره: المريد المبتدى، والمراد المنتهى.

ولا بد لأكثر السـالكين من حالة ابتداء [[7] بالمجاهدات والرياضـات حتى يصلوا إلى درجة الانتهاء.

ومنهم من يكاشف فـى ابتدائه بجلـيل المعـانى، ويصل إلى مـا لم يصل إليـه أرباب الرياضة، رفقًا من الله تعالى به، وترفيهًا له.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).

(٢) زيادة يتطلبها السياق (المحقق).

(٣) فى (د) (مراداً).

(٤) فى (د) (مريداً).

(٥) سقطت من (د).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) من هنا سقط من (د) حتى نهاية هذا الباب، وهو كثير جداً.

إلاَّ أن أكثـر هؤلاء يردون إلى المجـاهدات بعد هذا الرفق يسـتوفى منهم مـا فاتهم من أحكام أهل الرياضة.

وقيل: كان موسى عليه السلام مريداً فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾(١).

وكان محمد ﷺ مراداً فقيل له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(٢).

إلى قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٣).

ولذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾(٤).

وقال لمحمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾(٥).

وهذا هو المقصود من الكلام عند أهل الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾(٦) سترٌ للقـصة وتحصين للحال، كـذا ذكره الإمام القشيرى(٧)، رحمة الله عليه، وغيره.

فالمريد سائر، والمراد طائر.

والمريد سالك، والمراد مالك.

وقيل: أرسل «ذو النون المـصرى»(٨) رحمـه الله، إلى أبى يزيد البسطامى(٩)، رحمه الله، يقول له: يا أخى إلى متى هذا النوم والراحة والقافلة قد مضت؟.

فـقال «أبـو يزيد» لرسولـه: قل لأخى ذى النون، رحـمه الله: من ينـام الليل كله ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة.

فقال ذو النون: هنيئا لك، هذا كلام لا تبلغه أحوالنا والإرادة مطلوبة شرعًا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١٠).

وقال النبى ﷺ: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً يستعمله».

قيل: يا رسول الله، كيف يستعمله؟.

---

(١) الآية رقم (٢٥) من سورة طه مكية.
(٢) الآية رقم (١) من سورة الشرح مكية.
(٣) الآية رقم (٤) من سورة الشرح مكية.
(٤) الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف مكية.
(٥) الآية رقم (٤٥) من سورة الفرقان مكية.
(٦) تكملة الآية السابقة.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) الآية رقم (٥٢) من سورة الأنعام مكية.

قال: «يوفقه للعمل الصالح قبل الموت»(١).

ومن صفة المـريد: أن لا يفتر(٢) آناء الليل وأطراف النهـار، فيكون ظاهره مـجاهدًا، وباطنه مكابدًا.

ومن صفته: التحبب إلى الله تعـالى بالنوافل، والإخلاص فى نصيحة الأمة، والأنس بالخلق، والصبر على مقاساة الأحكـام، والإيثار لأمر الله تعالى، والحياء من نظره، وبذل المجهود فيما يحبه الله تعالى ويرضاه، وطلب كل سبب يوصل إليه.

وقيل: أول مقامات المريد: إرادة الحق بإسقاط إرادته فإن لطفه يقوم بتربيته، ويجذبه من عنان يصرفه ليـتفرق الحق فيه فـيصير: به يبصـر، وبه يسمع، وبه ينطق، وبه يبطش، كما جاء فى الحديث المشهور الصحيح.

وقيل: من علامات المريد:

أن يكون أكله فاقة، ونومه غلبة، وكلامه ضرورة.

وقيل: المريد إذا سمع شيئًا من صفات القوم وأحوالهم فعمل به صار ذلك حكمة فى قلبه إلى آخر عمره ينتفع به هو ومن يسمـعه منه، وإذا لم يعمل به كان حكاية يحفظها أيامًا ثم ينساها.

وقال الجنيد(٣)، رحمة الله عليه: الحكايات وأحوال العارفين جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين.

دليله قوله تعالى للنبى ﷺ: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(٤).

وقال أيضًا: المريد الصادق غنىٌّ عن علم العلماء.

وقيل: آفات المريد ثلاث: التزوج، وكتابة الحديث، والسفر.

وقيل: أشد شىء على المريد معاشرة الأضداد](٥).

وقيل: متى رأيت المريد يشتغل بالرُّخَص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجىء منه شىء.

---

(١) حديث: (إذا أراد الله بعبد خيرًا يستعمله ... قيل... قال: يوفقه للعمل الصالح..).
انظر الحديث رقم (٩٤٢) من جامع الأحاديث ١/ ١٩٧.
وقال السيوطى: رواه أحمد بن حنبل، والترمذى، وابن حبان، والحاكم، كلهم عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أى: لا يفتر عن الذكر. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (١٢٠) من سورة هود مكية.

(٥) حتى هنا سقط من النسخة (د) وهو أكثر نقص حدث بهذه النسخة.

الباب الثالث والأربعون

فى التوحيـــد

التوحيد فى اللغة: الحكم بأن الشىء واحد، أو العلم[١] بأنه واحد.

يقال منه: وحَّدته، أى: وصفته بالوحدانية.

كما يقال: شجَّعتُه، أى: وصفته بالشجاعة.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور فى الأفهام، ويتخيل فى الأوهام والأذهان.

ومعنى كون الله تعالى [واحدًا][٢] هو نفى الانقسام فى ذاته، ونفى الشبيه والشريك[٣] فى ذاته وصفاته.

وقال «الجنيد»[٤]: إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد انتهت [إلى][٥] الحيرة.

وقال[٦] أيضًا: التوحيد معنًى تضمحل فيه الرسوم، وتندرس العلوم، ويبقى الله تعالى كما لم يزل.

وقال أيضًا: أشرف كلمة قيلت فى التوحيد كلمة «أبى بكر الصديق»[٧] رضي الله عنه: سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

قال الإمام القشيرى[٨]: ليس مراد الصدِّيق أنه لا يُعرف، بل يَعْرفه العبد لا بمعرفة من العبد كالمُقْعَد كُـرْهًا القعود موجود فيه [وليس بفعل له، كذلك العارف عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه، لأنها ضرورية له فى الانتهاء][٩].

---

(١) فى (جـ) (والعلم).

(٢) ما بينهما سقط من (جـ).

(٣) فى (جـ): (ونفى الشبه والشريك) وفى (د): (الشرك).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) سقطت من (د).

(٦) فى (د): (وقيل).

(٧) فى (د): (أبو بكر) وتقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

وقيل: التوحيد: إسقاط الياءات[١].

ومعناه: أن لا يقول: لى، وبى، ومنى.

وقال الشبلى[٢]: ما شمَّ روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد.

وقيل «لأبى بكر الطمستانى»[٣]:

ما التوحيد؟.

فقال: توحيد، وموحِّد، وموحَّد.

هذا تثليث أم توحيد؟[٤].

وقيل: من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على مرور[٥] الأيَّام إلا عطشًا.

وقال «الحصرى»[٦]: أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء:

* رفع الحدث.

* إفراد القِدَم.

* هجر الإخوان.

* مفارقة الأوطان.

* نسيان ما عُلم [وما جهل][٧].

وللتوحيد عبارة ومعنى:

فعبارته: كلمة الإخلاص.

ومعناه: الإخلاص فيها، وهو التجرد عن الكونين، وعن أوصاف البشرية عند ذكرها.

وذلك [الإخلاص][٨] هو المراد بقوله ﷺ: «لا إله إلاَّ الله مفتاح الجنة»[٩].

---

(١) فى (د): (اليات).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته، وفى (جـ): (رحمة الله عليه).

(٤) فى (د): (هذا بتثليث أمر توحيد).

(٥) فى (د): (المرور).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) سقط من (جـ).

(٨) سقطت من (جـ).

(٩) حديث: (لا إله إلاَّ الله مفتاح الجنة).

رواه أحمد عن معاذ رفعه، قال النجم: وفى لفظ: مفاتيح الجنة، وضعفوه، لكن عند البخارى عن وهب ما يشهد له.

انظر: كشف الخفاء للعجلونى، وأورده بلفظ: (مفتاح الجنة لا إله إلا الله).

انظر: الحديث رقم (٢٣٢٤) ٢/ ٢١٥.

وقد ورد مفسّرا(١) في قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلاّ الله خالصًا مخلصًا دخل الجنة»(٢).

وقوله ﷺ في كلمتي الشهادتين: «خفيفتان على اللسان»(٣).

إشارة إلى لفظهما.

وقوله: «ثقيلتان في الميزان»(٣).

يعني: إذا قُرِنَ لفظهما الإخلاص.

وقيل لصوفي: أين الله؟

فقال: أعمال الله تطلب الأين مع العين، ليس في الوجود غير الله.

الوجود لسائر الموجودات مجاز، ولله حقيقة.

---

(١) في (جـ): (ورد ذلك تفسيراً).

(٢) حديث: (من قال: لا إله إلاّ الله مخلصا دخل الجنة).

رواه الحكيم، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية عن زيد بن أرقم، حديث رقم (٢٢٦٠٩) ٦/ ٥٠٨ ورواه النسائي، والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد البغوي حديث رقم (٢٢٦٠٧) ٦/ ٥٠٨.

(٣) حديث: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان).

انظر الحديث رقم (١٥٨٧٢) ٥/ ٩٤، وقال السيوطي في جامع الأحاديث: رواه أحمد بن حنبل في مسنده، واتفق عليه الشيخان: البخاري ومسلم، والترمذي في جامعه، وابن ماجه في سننه، كلهم عن أبي هريرة.

الباب الرابع والأربعون

فى المراقبة

المراقبة فى اللغة: المراصدة: وهى قريبة من معنى الحفظ والانتظار.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه فى جميع أحواله.

وقيل: هى مراعاة السر لملاحظة الحق مع كل خطوة[1].

وقيل: هى تسليط هيبة حضور الحق ونظره على القلب وسائر الأعضاء فى حركاتها، وسكناتها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

وقال ﷺ لجبريل لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[3].

فقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى حالة المراقبة.

واعلم أن المراقبة أصل كل خير، ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى وإصلاح وقته.

وقال بعضهم: من راقب الله تعالى فى خواطره عصمه الله تعالى فى جوارحه.

وقال «ابن عطاء»[5]: أفضل الطاعات مراقبة الحق على الأوقات.

---

(١) فى (جـ): (مع خطر).

(٢) الآية رقم (١) من سورة النساء مدنية.

(٣) حديث: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن...).

رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى عن عمرو، وروى من غير حديثه أيضًا.

انظر الحديث رقم (١٤٠) من كشف الخفاء ١/ ٥٧.

(٤) فى (جـ): (وقت الحاضر).

(٥) تقدمت ترجمته.

وقال «أبو عثمان»[١]: قال لى «أبو حفص الحداد»[٢]: [إذا][٣] جلست تعظ الناس فلتكن واعظا لنفسك، وقلبك[٤] ولا يغرنَّك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك.

وقال بعض الحكماء لرجل: استحى من الله على قدر قربه منك وعلمه بك، وخفْهُ على قدر قدرته عليك، واستعد للدنيا بقدر إقامتك فيها، وأطع الله بقدر حاجتك إليه، واشكره بقدر نعمه[٥] عليك.

وكتب بعض العلماء إلى صديق له:

أما بعد، فإنى أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علّمك الله[٦] ومراقبة الله حيث لا يراك أحد[٧] إلاّ هو، والاستعداد لما لا بد منه[٨]، وليس لأحد فيه حيلة، ولا ينفع الندم عند نزوله.

وقيل لحاتم الأصم[٩]: علامَ بنيت أمرك؟.

فقال: على أربع خصال:

* علمت أن لى رزقًا لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى.
* وعلمت أن لى عملاً لا يعمله غيرى فشغلت نفسى به.
* وعلمت أن لى أجلا لا أدرى متى هو فأنا مبادره.
* وعلمت أنى لا أغيب عن الله فأنا أبداً مستحٍ منه.

---

(١) إذا ذكر (أبو عثمان) هكذا فإنه يقصد أبا عثمان المغربى، وإذا أراد غير ذلك فإنه يضيف إليه اسمًا آخر مثل أبى عثمان الحيرى، وتقدمت ترجمته.

(٢) فى (د): (أبى حفص الحداد) وتقدمت ترجمته.

(٣) سقطت من (جـ).

(٤) فى (د) فتكن، وفى (جـ) (فكن واعظ نفسك).

(٥) فى (جـ): (نعمته). (٦) فى (جـ): (تعالى).

(٧) فى (جـ): (أحدًا). (٨) فى (د): (فيه).

(٩) تقدمت ترجمته.

الباب الخامس والأربعون

فى الاستقامة

الاستقامة فى اللغة ضد الاعوجاج.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هى الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم، والصراط المستقيم رعاية حدّ التوسط والعدل فى كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس والنكاح، وكل أمر دينى ودنيوى [فذلك هو الصراط المستقيم فى الدنيا، كالصراط المستقيم فى الآخرة، ومن هُدِى إلى معرفة الصراط المستقيم فى الدنيا كان ذلك سببًا لنجاته عند مروره عليه فى الآخرة، والهداية إلى معرفته من أعظم نعم الله تعالى على العبد][1].

قال الله تعالى: ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

وقال حق النبى ﷺ: ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[3].

وقيل: الاستقامة أن لا تختار لنفسك غير ما يختار الله تعالى لك، ولا تدبر أمرًا.

وقيل الشبلى[4]: هى أن تشهد الدنيا قيامةً.

وقد مدح الله تعالى المستقيمين بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[5].

قال «أبو بكر الصديق»[6] رضي الله عنه: معناه: لم يشركوا بالله شيئًا.

وقال «عمر»[7] رضي الله عنه: لم يروغوا روغان الثعلب.

---

(١) الفقرة ما بين المعقوفتين مضطربة فى (د).

(٢) الآية رقم (٢٥) من سورة يونس مكية.

(٣) الآية رقم (٢) من سورة الفتح مدنية.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الآية رقم (١٣) من سورة الأحقاف مكية.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

فقول أبى بكر[١] محمول على مراعاة أصول التوحيد.

وقول عمر محمول على ترك طلب التأويل.

وقيل: معناه: استقاموا بقلوبهم كما استقاموا بأقوالهم وأفعالهم.

وقال النبى ﷺ: «استقيموا ولن[٢] تُحصوا، واعلموا أن خيرَ أعمالكم[٣] الصلاة»[٤].

وقال «ابو على الدقاق»[٥]: الاستقامة ثلاثة مدارج:

أولها: التقويم وهو تأديب النفس.

وثانيها: الإقامة وهى تهذيب القلوب.

وثالثها: الاستقامة وهى تقريب الأسرار

واعلم أن الاستقامة درجة بها تمام الأمر بكماله، وهى مقام لا يطيقه إلا الأكابر.

يؤيد[٦] ما حُكى عن بعض المشايخ أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال له: يا رسول الله، روى عنك أنك قلت: «شيبتنى سورة هود»[٧] فما الذى شيبك فيها؟ قصص الأنبياء أو هلاك الأمم؟.

فقال: لا، ولكن قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[٨].

وقيل: الاستقامة توجب دوام الكرامة.

وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[٩].

فقوله تعالى: ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُم ﴾ إشارة إلى الدوام، لأن معنى أسقيته بالألف جعلت[١٠] له سُقيا، أى: شُربًا[١١]، بخلاف سقيته.

---

(١) فى (د): (أبو بكر). (٢) فى (د): (ولم). (٣) فى (د): (أعمالهم).

(٤) حديث: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة).

انظر الحديث رقم (٢٩٢٥) من جامع الأحاديث ١/ ٥٧٠.

وقال السيوطى: رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه، والحاكم، والبيهقى عن ثوبان، وابن ماجه، والطبرانى عن ابن عمرو، والطبرانى، أيضًا، عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنهم جميعا.

(٥) تقدمت ترجمته. (٦) فى (د): (يؤيده بما).

(٧) حديث: (شيبتنى هود).

(٨) الآية رقم (١١٢) من سورة هود مكية. (٩) الآية رقم (١٦) من سورة الجن مكية.

(١٠) فى (د): (جعلته). (١١) فى (جـ): (مشربًا).

الباب السادس والأربعون

فى الولايــــــة(١)

الولى فى اللغة ضد العدو.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة له معنيان:

فعيل: بمعنى مفعول، كقتيل وجريح.

وهو من يتولى الله رعايته وحفظه فلا يكله إلى نفسه لحظة.

كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٢).

والثانى: فعيل، مبالغة من فاعل، كـ «رحيم» و «عليم».

وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى، وطاعته(٣) فيأتى بها على التوالى من غير أن يتخللها عصيان أو فتور.

وكلا المعنين شرط فى الولاية.

فمن شرط الولى أن يكون محفوظًا، كمـا أن من شرط النبى أن يكون معصومًا، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع.

هكذا ذكر الإمام القشيرى(٤)، وغيره من أئمة الطريق.

قال: وسمـعت الأستاذ «أبا على»(٥) ﷺ يقول: قـصد أبو يزيد البـسطامى بعض من وصف له بالولاية، فلما وافى(٦) مسجده رآه تنخّم فى المسجد، فرجع ولم يُسلم عليه.

وقال: من لا يُؤمَن على أدب من آداب الشرع كيف يؤمن على أسرار الحق.

واختلف أهل الحقيقة: هل يجوز أن يعلم الولى أنه ولى أم لا؟.

قال بعضـهم: لا، ولو ظهر له من الكرامات ما ظهـر؛ لجواز أن يكون ذلك مكرًا من الله تعالى به، ولأن العاقبة هى الأصل، وهى مجهولة.

(١) فى (جـ): (المولى).

(٢) الآية رقم (١٩٦) من سورة الأعراف مكية.

(٣) فى (د): (وطاعاته من غير...).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (د): (وافا).

فكم [من][(1)] رجل انعكس عليه وخالف مبدأه مآله.

وإلى هذا ذهب جماعة من شيوخ هذه الطريقة، لا يُحصَوْنَ، منهم: الإمام «أبى بكر ابن فورك»[(2)].

وقال بعضهم: يجوز أن يعلم أنه ولى بإطلاع الله تعالى له على عاقبة أمره، ودوام حاله بطريق الكرامة.

والدليل عليه: «العشرة المبشرون بالجنة».

وإلى هذا ذهب الأستاذ أبو على الدقّاق[(3)].

وقال «بايزيد البسطامى»[(4)]: أولياء الله تعالى عرائسه، ولا يرى العرائس إلاّ المحارم، فهم مُخَدَّرون[(5)] عنده فى حجاب الأنس لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة.

وقال النبى ﷺ: «إن فى عباد الله تعالى عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء»[(6)].

قيل: من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟.

قال: «هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أموال وأنساب، وجوههم نور، وهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(7)].

قال أهل الحقيقة: سبب انتفاء الخوف والحزن عنهم:

ـ أن الخوف متعلق بالمستقبل من توقع حصول مكروه أو فوات محبوب.

ـ والحزن متعلق بالماضى.

والولى ابن وقته، فلا ماضٍ له ولا مستقبل، فلذلك لا حزن له ولا خوف، ولا رجاء له أيضًا، لما قلنا.

---

(1) زيادة يقتضيها السياق... المحقق.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) تقدمت ترجمته.

(5) أى كل واحدة فى خِدْرها؛ مكانها المكنون.

(6) حديث: (إن فى عباد الله تعالى عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث، بلفظ: (إن لله عباداً...» الحديث، انظر الأحاديث أرقام (٧٧٣٢)، (٧٧٣٥)، ٣/ ٣٢، ٣٣.

رواه أحمد بن حنبل والطبرانى والبيهقى فى الأسماء عن أبى مالك الأشعرى ﷺ، والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر ﷺ.

(7) الآية رقم (٦٢) من سورة يونس مكية.

ووجـه آخر: وهو أن الحـزن من حـزونة الوقت، ومن كـان فى ضيـاء الرضى ورداء الموافقة فأنّى له حزن.

وقيل: علامة الولى ثلاثة أشياء:

- أن يكون همه الله.
- وفراره إلى الله.
- وشغله بالله.

وقيل علامته: أن يكون أبدا ناظراً إلى نفسه بعـين الصَّغار والهوان، خائفًا من سقوطه عن المرتبة التى هو فيها، لا يثق بكرامة تظهر له، ولا يغتر بها.

وقيل: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

وقال «بايزيد البسطامى»[1]: حظوظ الأوليـاء مع بقـائهـا من أربعـة أسمـاء: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

[مع قيامـها من أربعة أسمـاء، وقيام كل فريق منهم باسم مـنها، وهو: الأول والآخر والظاهر والباطن][2].

فمن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام.

ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته.

ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر[3] من أنواره.

ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق.

ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبل.

قال الشيخ بايزيد[4]: وكلٌّ يُكاشف[5] على قدر طاقتـه، إلاّ من تولاه الله تعالى بسرِّه، وقام عنه بنفسه.

قال الإمام القشيرى[6]: وكلام «بايزيد» إشارة إلى أن الخـواص ارتقوا عن هذه الأقسام كلها، فـلا العواقب هم فى فكرها، ولا السـوابق هم فى ذكرها[7]، ولا الطوارق هـم فى أسرها.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٣) فى (د): (فى الدائر).

(٤) تقدمت ترجمة أبى يزيد البسطامى.

(٥) فى (د): (مكاشف).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (د): (ذلها).

فأصحاب الحقائق محو عن نعوت الخلائق.

وقال «أبو سعيد الخرّاز»[(١)]: إذا أراد الله تعالى أن يتولى[(٢)] عبدًا من عبيده فتح عليه باب ذكره، وإن استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم دفعه إلى مجالس الأنس، ثم أجلسه على كرسى التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له ستور الجلال والعظمة، وإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو، وصار فانيًا فوقع فى حفظ الله وبرئ من دعاوى نفسه، فصار وليّا، ولا يسقطه الخوف عن الولى، بل هو الغالب عليه، فإن زال عن بعض الأولياء فنادر لكن الهيبة لا تفارقه.

ويجوز أن يكون الولى وليًا ثم تبطل ولايته.

وقيل: لا يجوز، والأول هو المختار، والغالب على الولى فى أوان صحوه صدقه فى أداء حقوق الله ثم رفعه وشفقته على خلقه فى كل حال، ثم دوام التحمل منهم بجميل الخلق، وطلب الإحسان من الله تعالى إليهم ابتداء من غير أن يسألوه ذلك، وتعليق الهمة بنجاتهم وترك الانتقام منهم، وكف السعى عن أموالهم، واللسان عنهم بكل حال، والتعامى عن مساوئهم، ولا يكون خصمًا لأحد فى الدنيا، ولا فى الآخرة.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (جـ): (يولى).

(٣) فى (د): (دار).

الباب السابع والأربعون

فى المعرفـــة

المعرفة فى اللغة بمعنى العلم.

وفى اصطلاح أهل الحقـيقة: هى العلم بأسمـاء الله تعالى، وصفـاته مع الصدق لله[1] تعالى فى معـاملاته، وجميع أحواله، ودوام مناجاته فى السـر والرجوع إليه فى كل شىء، والتطهر من الأخلاق الذميمة والأوصاف المردية.

فبالجملة: فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه.

وقيل: المعرفة معرفتان:

معرفة حق، ومعرفة حقيقة.

* فمعرفة الحق: معرفة وحدانية الله تعالى بما أبرز للخلق من أسمائه وصفاته.

* ومعرفة الحقيقة: لا سبيل إليها لامتناع الإحاطة به[2] علمًا.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[3].

واعلم أن الكُمَّل من أهل الحقيقـة لم يتكلموا فى المعرفة بأكثر من الاعـتراف بالعجز عنها، فأما من دونهم فقد تكلموا فيها.

ولهذا قال بعضهم: الحق لا يعرفه سواه، ومن عَرَفَهُ فبِهِ عرفه.

ويؤيد هذا قول أبى بكر الصديق[4] ﷺ: الحمد لله الذى لم يجعـل للحق سبيلا إلى معرفته [إلا بالعجز عن معرفته][5].

وقال «أبو حفص الحداد»[6]: منذ عرفت[7] الله تعالى ما دخل قلبى حق ولا باطل.

قال الإمام القشيرى[8]: معناه: أن المعرفـة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر

---

(١) فى (د): (إلى الله).

(٢) فى (جـ): (بها).

(٣) الآية رقم (١١٠) من سورة طه مكية.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (جـ): (معرفة).

(٨) تقدمت ترجمته.

الحق عليه، فلا يشاهد غيـره ولا يرجع بفكره إلى سواه، فكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له.

وقال غيره: معناه: لاستيلاء ذكر الحق على قلبه، واستغراقه به واستهلاكه فيه لا يجد غيره طريقًا إليه، حقًا كان أو باطلاً.

ومما يُشيـر إلى كلام أبى حفص قول أبى يزيد[(١)] للناس: حال ولا حـال للعارف لأنه محيت رسومه، [وفنيت هويته بهوية غيره][(٢)]، وغيبت[(٣)] آثاره لإيثار غيره.

وقوله أيضًا، حين سُئل عن المعرفة: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾[(٤)].

أى: إذا أنزلت المعرفة بالقلب خربت أوطان البشرية.

وقول «الواسطى»[(٥)] أيضًا: لا تصح المعرفة للعبد، وفيه افتقار إلى الله تعالى واستغناء به، لأنهما أمارات بقاء العبد، والعارف فناء كله.

وقيل: علامة العارف: أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة.

وقيل: علامة العارف[(٦)] ثلاثة أشياء:

* أحب الأعمال إليه ذكر الله تعالى.
* وأحب الفوائد إليه ما دل على الله تعالى.
* وأحب الخلق إليه من يدعوه إلى الله تعالى.

وقيل: غاية المعرفة شيئان الدهشة، والحيرة.

وقال «ذو النون»[(٧)]: أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيُّرًا.

وقيل: من كان بالله أعرف كان له أخوف.

وقيل: يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين:

* بكاؤه على نفسه.
* وثناؤه على ربه.

---

(١) هو أبو يزيد البسطامى، وتقدمت ترجمته.

(٢) ما بينهما سقط من (جـ).

(٣) فى (د): (غيبة).

(٤) الآية رقم (٣٤) من سورة النمل مكية.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (جـ): (علامته).

(٧) تقدمت ترجمته.

وإلى ذلك أشار النبى ﷺ بقوله: «لا أحصى ثناء عليك [أنت كما أثنيت على نفسك»[(١)][(٢)].

وقال «بايزيد»[(٣)]: العارف طيّار، والزاهد سيّار.

وقال «الشبلى»[(٤)]: أهل المعرفة هم وحش الله تعالى فى أرضه، لا يستأنسون بأحد.

وقال «الحسين الحلاج»[(٥)]: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى إليه بخواطره وحدس بسره عن أن يمر به غير خاطر الحق.

وقيل: لا يكون العارف حتى يكون لو أعطى ملك سليمان بن داود، عليهما السلام، لم يشغله عن الله تعالى طرفة عين.

وقيل: العالم يُقتدى به، والعارف يُهتدى به.

وقيل: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول.

وقيل: العارف من يضىء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب الغيب.

وقيل: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف من وصفها عند أبناء الدنيا.

وقال النبى ﷺ: «دعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع».

فقيل: يا رسول الله وما العقل القامع؟.

قال: «الكفّ عن معاصى الله تعالى، والحرص على طاعته»[(٦)].

---

(١) فى (جـ): (زيادة). (٢) والحديث: (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الحسين الحلاج: هو: أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد الحلاج البيضاوى، ولد فى البيضاء بفارس سنه ٢٤٤هـ، وعاش بين عام« ٢٦٠، ٢٨٤هـ بين جماعة الصوفية: سهل التسترى، وعمرو بن عثمان المكى، والجنيد، ثم انفصل عنهم، وحمل عصا التسيار، فجاب العالم الإسلامى حتى الهند، وكان ينشر أفكاره أينما حلّ.

له أقوال هامة، وكتبت عنه القصص الكثيرة ونسجت حوله الأساطير، وقتل سنه ٣٠٩هـ.

انظر كتابنا المحقق عنه بعنوان: (قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) والدراسة السابقة للنص، وانظر تاريخ التراث العربى فؤاد سزكين ١/ ٤/ ١٣٧، والكواكب الدرية للمناوى ١/ ٥٤٤، ونفحات الأنس ٥٢٢، وطبقات الصوفية (٣٠٧).

(٦) حديث (دعامة الدين المعرفة بالله والعقل القامع، فقيل: وما العقل القامع قال...).

أورده السيوطى: (والعقل النافع) بدلا من (العقل القامع) وقال: رواه الديلمى فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها، انظر الحديث رقم (١٢٠٧٨) ٤/ ١٤٢.

وقال «ذو النون»(١): ركضَتْ أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح محمد ﷺ أرواح جميع الأنبياء إلى روضة الوصال(٢).

واعلم أن المعرفة أشرف من الفقر والمحبة والتوحيد، لأنها استهلاك فى الله تعالى بفنائه عن نفسه وعن كل الكون وعن الإحسان بالفناء، بخلاف الفقر، فإن ظاهره يُشعر بافتقار إلى شىء، ففى الفقر(٣) ظمأ إلى المشاهدة.

والعارف ريان منها حيران مندهش فى مقامها.

فالمحب(٤) له إحساس أيضا بتلذذه، لأن المحب له استهلاك فى لذّة المشاهدة، فالمحب: متلذذ بفنائه فى المشاهدة فكان له إحساس.

والعارف: لا إحساس له بوجود، ولا حالة أصلاً.

والموحد أيضًا له إحساس(٥).

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) فى (د) (الوصل).
(٣) فى (جـ): (الفقير).
(٤) فى (جـ): (والمحب).
(٥) فى (جـ): (بتوحيده) زيادة.

الباب الثامن والأربعون

فى الصـــحبة

الصحبة فى اللغة والحقيقة بمعنًى واحد.

وهى عند أهل الحقيقة على ثلاثة أقسام:

* صحبة مع من فوقك، وهى فى الحقيقة خدمة.

* وصحبة مع من دونك، وهى تقتضى رحمة من المتبوع، وشفقة عليه، وتوجب على التابع الوفاء والحرمة.

* وصحبة الأكْفاء والنظراء، وهى مبنية على الإيثار والفتوة.

فمن صحب شيخًا فوقه فى الرتبة فأدبُه، ترك الاعتراض عليه ظاهرًا وباطنًا، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل [وتلقى أحواله بالإيمان به][1].

ومن صحب مثله فسبيله[2] التعامى عن عيوبه، وتأويل ما ينكر منه بأحسن التأويلات مهما أمكن، فإن لم يجد له[3] وجهًا عاد إلى نفسه بالتهمة واللوم.

[وقال «أبو أحمد القلانسى»[4]، وكان من مشايخ الجنيد[5] : صحبت أقوامًا فأكرمونى، فقلت لبعضهم مرة: أين إزارى؟ فسقطت من أعينهم.

والمعنى: أن الصحبة إذا فصلت بين اثنين لم يبق بينهما شىء يختص به أحدهما حتى يضيفه إلى نفسه.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ). (٢) فى (جـ): (فله).

(٣) فى (جـ): (لها).

(٤) (أبو أحمد القلانسى) واسمه: مصعب بن أحمد بن مصعب البغدادى، أصله من مرو، كان من أقران الجنيد وريم، توفى تقريبًا سنة ٢٧١هـ، بعد حجته سنة ٢٧٠ بقليل.

له أقوال فى طريق القوم.

انظر نفحات الأنس للجامى ٣٦٣، طبقات الصوفية ١٩٥، بالهامش، الكوالكب الدرية للمناوى ١/ ٥٣٥.

(٥) تقدمت ترجمته.

ولهذا قال «إبراهيم بن شيبان»[(١)] : كنا لا نصحب من يقول: نعلى.

وقال رجل «لسهل بن عبد الله»[(٢)] : أريد أن أصحبك.

فقال: وإذا مات أحدنا فمن يصحبه؟[(٣)].

فقال: الله تعالى.

قال سهل: فليصحبه من الآن.

ومثله ما روى أن رجلاً سأل ذا النون[(٤)] : لمن يصحب.

فقال له: اصحب من لا تكتمه شيئًا يعلمه الله منك.

وفى رواية أخرى عنه: اصحب من إذا مرضت عافاك، وإذا أذنبت تاب عليك][(٥)].

وقال «ذو النون»:

الصحبة مع الله بالموافقة.

ومع الخلق بالمناصحة.

ومع النفس بالمخالفة.

ومع الشيطان بالعداوة.

وكان «إبراهيم بن أدهم»[(٦)] إذا صحبه إنسان شرط عليه ثلاثا:

* أن تكون الخدمة والأذان على إبراهيم.

* وأن لا يختص عليه بشىء من الدنيا.

[وقيل: كل صاحب يقول له: قم، فيقول: إلى أين فليس بصاحب.

---

(١) (إبراهيم بن شيبان) هو: إبراهيم بن شيبان، أبو إسحاق القرميسينى، شيخ الجبل فى وقته، له مقامات فى الورع والتقوى، وكان يقول: «إبراهيم حجة الله تعالى على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات».

وكان محدثا، أسند الحديث، وصحب أبا عبد الله المغربى، وإبراهيم الخواص وغيرهما.

توفى سنه ٣٣٠هـ.

انظر طبقات الصوفية للسلمى ص ٣٠٢، وانظر الكواكب الدرية للمناوى ١/ ٥٠٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) فى (د)، (جـ) (الباقى منا) زيادة ولعله قصد: (فمن يصحب الباقى منا) وهى تصح.

(٤) فى (د): (ذو النون) وتقدمت ترجمته.

(٥) ما بين المعقوفتين كله سقط من (جـ).

(٦) تقدمت ترجمته.

وينشد فى هذا المعنى:

إِذَا استَنْجَدُوا لَمْ يَسْألُوا مَنْ دَعَاهُمُ
لأَيَّةِ حَـرْبٍ أَوْ لأىِّ مَكَانِ][١]

واعلم أن ركنا[٢] الصحبة شيء واحد، وهو: أن يقصد كل واحد منهما أن يكون الربح مع الآخرة فى كل حال ويتفرغ، من ذلك النصح، والشفقة، والإيثار، والجود بالنفس والمال، إلى غير ذلك.

ولما أثبت الله تعالى للصدِّيق حق الصحبة مع النبى ﷺ [بيَّن للنبى][٣] شفقته عليه بقوله، ﷺ، فى قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٤].

وحُكى عن «أبى علىٍّ الرباطى»[٥] قال: صحبت «عبد الله المروزى»[٦] وكان عادته أن يدخل البادية بلا زاد، فلما صحبته خيرنى أن أكون أميراً أو مأموراً، فاخترت أن أكون مأموراً.

ثم دخلنا البادية فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسى وعليه كساء يمنع به عنى المطر، وكلما سألته أن يقعد[٧].

قال: أنا الأمير[٨] وعليك الطاعة.

فما زلت أقول طول ليلتى: ليتنى لم أفوض إليه الإمارة.

ولم يزل يخدمنى فى تلك السفر.

[ثم][٩] قال لى عند مفارقتى: إذا صحبت أحداً فاصحبه كما رأيتنى صحبتك.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).
(٢) فى (جـ)، (د) (دكن).
(٣) ما بينهما سقط من (جـ).
(٤) الآية رقم (٤٠) من سورة التوبة مدنية.
(٥) (أبو على الرباطى).
(٦) (عبد الله المروزى) تقدمت ترجمته.
(٧) فى (د): (يقول).
(٨) فى (جـ): (الأمر).
(٩) ما بينهما من (جـ).

الباب التاسع والأربعون

فى المحبـــة

المحبة فى اللغة: المودة.

وفى اصطلاح العلماء: هى الإرادة.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: محبة الله تعالى للعبد إرادة كثرة[١] الإنعام عليه، والإحسان إليه بتقريبه وإعطائه الأحوال السنية، والمقامات العلية وإرادته، عز وجل، صفة واحدة لكنها تختلف باختلاف متعلقاتها:

* فإذا تعلقت بالعقوبة سُمّيت غضبًا.
* وإذا تعلقت بعموم النعمة سميت رحمة.
* وإذا تعلقت بخصوص النعمة سميت محبة.

وأمّا ما هو المفهوم من صفات محبة الحلق: كالميل إلى المحبوب، والاستئناس به ونحو ذلك فالله تعالى منزّه عنه.

وعلامة حب الله تعالى حب العبد له.

ومحبة العبد تعالى هى حالة يجدها فى قلبه تلطف[٢] عن العبارة.

ولا توصف المحبة بوصف، ولا تُحد بحدٍّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة.

وتكلم الناس فى اشتقاقها.

فقال بعضهم: من الحَبَب، وهو صفاء بياض الأسنان ونضارتها، فيكون على هذا اسمًا[٣] لصفاء المودة.

وقيل: من الحُباب: وهو ما يعلو الماء من النفاخات مثل القوارير عند صب مائع عليه.

---

(١) فى (جـ): (إرادته كثيرة).
(٢) فى (جـ): (تلطفًا).
(٣) فى (جـ): (اسماء).

فيكون على هذا اسمًا[١] لغليان القلب، وفورانه عند العطش، والهياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: من حباب الماء، وهو معظمه.

فيكون على هذا اسمًا لأعظم هم[٢] فى القلب، [٣]وأصلها من اللزوم والثبات، من قولهم: أحب البعير إذا برك فلم يقم.

وكذا المحب ملازم ثابت لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه.

وقيل: من الحَبِّ وهى الخابية، لأنه لا يسع غير ما ملأه من الماء، كذلك القلب لا يسع غير ما ملأه من الحب.

هذا كله قول أرباب اللغة.

وأمَّا أقوال المشايخ فيه[٤].

فقال بعضهم: محبة العبد لله هى التعظيم، وإيثار الرضا، وقلة الصبر عنه، وكثرة الاستئناس بذكره دائمًا.

وقيل: هى المبادرة إلى أداء الطاعات فرضا ونفلاً، وشدَّة اجتناب المعاصى.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «ما تقرب إلىَّ المتقربون بأفضل من أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحِبَّه، فإذا أحببته كنت له سمعًا، وبصرًا، ويدًا، ومؤيدًا»[٥].

وقال بعضهم: حقيقة المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وقيل: موافقة الحبيب فى المشهد والغيب.

وقيل: موافقة القلب لمراد الرب.

وقيل: محو المحب بصفاته، وإثبات المحبوب بذاته.

وقيل: أن يهب العبد كله لله، ولا يبقى منه لنفسه شيئًا.

---

(١) فى (جـ): (أسماء). (٢) فى (جـ): (مهمة).

(٣) فى (جـ): (وقيل) زائدة. (٤) فى (جـ): (فيها).

(٥) حديث: (ما تقرب إلىَّ المتقربون بأفضل من أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل...).

انظر الحديث رقم (٨٠) من كتاب الأحاديث القدسية ١/ ٨١.

وقيل: هى أغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول.

وقيل: هى حالة لا تنقص بالجفاء، ولا تزيد بالبر.

وقيل: هى ميلك إلى الله بكليتك، وإيثارك له على نفسك، وأهلك، ومالك، وموافقتك له سرًّا، وجهرًا، ثم اعترافك بالتقصير فى حبه[1].

وقيل: هى نارٌ فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

وقيل: هى هتك الأستار، وكشف الأسرار.

وقيل: هى شكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه، ثم الشكر الذى يحصل له عند مشاهدته لا يوصف.

وقيل: المحبة إيثار المحبوب، كامرأة العزيز لما صدقت فى المحبة قالت فى الانتهاء: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]، فنادت على نفسها بالخيانة.

وفى الابتداء قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾[3].

وقيل: هى فتنة تقع فى الفؤاد من المراد.

وقال «الشبلى»[4]: المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك.

وقيل: المحبة: الخروج عن البدن والروح، لأن الحب مركّب من حرفين: الحاء، والباء:

* فالباء فيه إشارة إلى الخروج عن البدن.
* والحاء فيه إشارة إلى الخروج عن الروح.

فما لم[5] يتحقق الخروج عنهما لا تتحقق المحبة.

وأمَّا الخُلّة فهى مشتقة من تخلل الشىء فى الشىء، وسُمِّى الخليل خليلاً لتخلل خليله فى قلبه، فوجوده مستهلك فى وجوده، فإذا تكلم، وإذا سكت فيه فهو نصب عينيه فى كل حال.

وأنشدوا فى ذلك:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّى
وَبِذَا سُمِّى الخَلِيلُ خَلِيلا

---

(١) فى (د): (ثم اعتراف بالتقصير).
(٢) الآية رقم (٥١) من سورة يوسف مكية.
(٣) الآية رقم (٢٥) من سورة يوسف مكية.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) فى (د): (فلما).

أَنْتَ هَـمِّى وَهِمَّــتِي وَحَـدِيثِى
وَرُقَـادِى إِذَا أَرَدْتُ مُــقِــيــلا

ولا يوصف العبد بالعشق لله تعالى، لأن العشق مجاوزة الحد فى المحبة، ولا يجاوز أحد فى محبة الله تعالى قدر استحقاقه، بل لا يبلغ إلى ذلك القدر، ولو اجتمعت له محبة الخلق كلهم.

واعلم أن المحبة حالة شريفة، وهى مطلوبة شرعًا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(٢).

وقال النبى ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه(٣)، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(٣)»(٤).

وقال ﷺ: «إذا أحب الله عبداً قال لجبريل: ناد(٥): قد أحب الله فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»(٦).

[وقال ﷺ: «من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله تعالى مؤونة الناس»](٧).

وقال ﷺ: «إذا أحب الله تعالى المؤمن حماه من الدنيا نظراً أو شفقة عليه، كما يحمى المريض أهله من الطعام»(٨).

---

(١) الآية رقم (٣١) من سورة آل عمران مدنية.

(٢) الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة مدنية.

(٣) فى (جـ): (لقائه).

(٤) حديث: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه...).
انظر الحديث رقم (٣٠٢) من كتاب الأحاديث القدسية، وله روايات كثيرة (٢/ ٣٠٣) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٩١.

(٥) فى (جـ): (ناد إن الله تعالى).

(٦) حديث: (إذا أحب الله عبداً قال لجبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه...) الحديث.
انظر الأحاديث القدسية حديث رقم (٣٠١) (٢/ ٣٠٢) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنه ١٩٩١.

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (د).
والحديث: (من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله تعالى مؤونة الناس).

(٨) حديث (إذا أحب الله تعالى المؤمن حماه من الدنيا نظرا وشفقة عليه، كما يحمى المريض أهله من الطعام).

=

وقيل: أوحى الله تعالى إلـى عيسى، عليه السلام: إنى إذا اطلعـت على قلب عبدى، ولم أجد فيه حب الدنيا ملأته من حبى.

وقال «مجاهد»[١] فى قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[٢].

أى: لا تحبوا غيره.

وقال «الفضـيل بن عياض»[٣]: يقـول الله تعـالى: كـذب من ادعى [محبتى][٤] ونام عنى، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه.

وقال النبى ﷺ: «علامة حب الله تعالى حب ذكره»[٥].

وقال «أبو يعقـوب السوسى»[٦]: لا تصح المـحبـة إلا بالخروج عن رؤية المـحبـة، والمحبة رؤية المحبوب بفناء علم المحبة.

وقال السرى[٧]: لا تصح المحبـة بين اثنين حتى يقول أحدهما لصاحـبه: يا أنا، أشار بذلك إلى الاتحاد.

قال أيضًا: المحب إذا سكت هلك، والعارف إذا نطق هلك.

فقال «سمنون»[٨]: ذهب المـحبـون بشرف الدنيـا والآخرة، لأن النبى ﷺ قـال: «المرء مع من أحب» فهم مع الله تعالى.

= انظر الحديث رقم (٨٨٩) ١/ ١٨٨ فى جامع الأحاديث، وقال السيوطى: رواه الترمذى والحاكم، والبيهقى عن قتادة بن النعمان.

(١) تقدمت ترجمته. (٢) الآية رقم (٣٦) من سورة النساء مدنية.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) سقطت من (د).

(٥) حديث (علامة حب الله حب ذكره).

انظر الحديث الذى أورده السيوطى فى جامعه حديث رقم (١٤١٦٨) ٤/ ٥٢٧ وقال: رواه البيهقى عن أنس.

(٦) تقدمت ترجمته. (٧) تقدمت ترجمته.

(٨) (سمنون) هو: (سـمنون بن حمزة المحب، ويقـال: سمنون بن عبد الله الخـواص، أبو الحسن) ويقال: كنيته أبو القاسم، سمى نفسه سمنون الكذاب لكتمه عسر البول بلا تضرر.

صحب السرى السقطى، ومحمد بن على القصاب، وغيرهما، وهو من كبار مشايخ العراق.

مات بعد الجنيد، كان يقول: أذا بسط الجلـيل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخرين فى حاشية من حواشيه، وإذا أبدا عينا من عيون الجود ألحق المسيء بالمحسن.

توفى سنة ٢٩٨هـ.

انظر نفحـات الأنس للجامى ٣٣٠، طبقـات الصوفيـة ١٩٥، الكواكب الدرية للمناوى ١/ ٤٢٧، الرسالة القشيرية ص ٢٣.

وقال ابن مسروق[(١)] : رأيت سمنونًا[(٢)] يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد.

وقال «إبراهيم بن مقاتل»[(٣)] : رأيت سمنونًا يتكلام فى المحبة فجاء طير صغير فقرب منه حتى جلس على يده، ثم نزل وضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ومات.

وقيل: إن شابا أشرف على الناس من موضع عال فى يوم عيد.

وقال: يا قوم، من مات عشقًا فليمت هكذا، لا خير فى عشق بلا موت ثم ألقى نفسه من ذلك المكان فسقط ميتًا.

وقيل: ادعى رجل محبة شخص، والفناء فيه.

فقال له: كيف وقع لك هذا معى وأخى أحسن وجهًا منى، وأتم جمالا، فرفع الرجل رأسه يلتفت إلى أخيه، وكانوا على سطح، فألقاه المحبوب من السطح.

وقال له: من يدَّعى هو أنا كيف ينظر إلى سوانا.

ولهذا قال بعض المشايخ: [الحب أوله ختل، وآخره قتل.

ويؤيد هذا قول بعض المشايخ][(٤)]:

المحبة: الخروج عن البدن والروح جميعًا.

وقيل: كتب «يحيى بن معاذ الرازى»[(٥)] إلى «بايزيد البسطامى»[(٦)] : سكرت لكثرة ما شربت من كأس محبته.

فكتب إليه بايزيد: وغيرك شرب بحور السموات والأرض وما روُى، بل لسانه خارج من العطش، وهو يقول: هل من مزيد.

وكان «سمنون» يقدم المحبة على المعرفة، وأكثر المشايخ يقدم المعرفة على المحبة، لأن المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة: شهود فى حيرة وفناء فى هيبة.

---

(١) (ابن مسروق) هو: أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس، سكن بغداد ومات بها، صحب الحارث المحاسبى، والسرى، ومحمد بن منصور الطوسى، وغيرهم من قدماء مشايخ القوم وجلتهم. توفى ببغداد سنة ٢٩٩هـ.

سُئل عن التصوف فقال: خلوّ الأسرار بما عنه بُدٌّ، وخروجك مما عليك لمن ذلك له وإليه.

انظر طبقات الصوفية ص ٢٣٧، والرسالة القشيرية، ص ٢٥ الكواكب الدرية ١/ ٣٤٩، نفحات الأنس للجامى ص ٢٨٩.

(٢) تقدمت ترجمته منذ قليل.

(٣) (إبراهيم بن مقاتل).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

الباب الخمسون

فى الغيـــرة

الغيرة فى اللغة: كراهة مشاركة الغير.

وكذلك هى فى اصطلاح أهل الحقيقة.

قال بعضهم: الغيرة وصف أهل البداية، فأمَّا المنتهى فإنه لا يرى الغير ولا يعترض فيما يجرى فى المملكة لفقد اختياره.

والحق أن الغيرة لله تعالى حق، وهى أن لا يجعل العبد شيئًا من أحواله وأنفاسه لغير الله تعالى، وهى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له، والغيرة من لوازم المحبة.

ولهذا قال «أبو على الدقاق»(١) فى قوله ﷺ: «حبك الشىء يعمى ويصم».

أى يعمى عن الغير غيرة، وعن المحبوب هيبةً، وأمَّا الغيرة على الله جهل، وربما أفضت إلى الكفر.

وغيرةُ الحق على العبد أن لا يجعله(٢) للخلق بل يضن به عليهم.

وقال الشبلى(٣): الغيرة غيرتان:

* غيرة البشرية(٤) على النفوس.

* وغيرة الإلهية على القلوب أن تشتغل بغير ذكره.

وقال أيضًا: غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى.

قال الإمام القشيرى(٥): مثاله: آدم لما وطَّن نفسه على الخلود فى الجنة وطيباتها أخرجه الله تعالى منها غيرة عليه.

وإبراهيم، عليه السلام، لما أعجبه إسماعيل، عليه السلام، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾(٦).

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (د): (أن لا يجعل للخلق).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (د): (التسوية).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الآية رقم (١٠٣) من سورة الصافات مكية.

وصفا سرُّه أمره بالفداء عنه.

وقيل: مرِضت «رابعة العدوية»(١) فقيل لها: ما سبب علتك؟.

فقالت: نظرت إلى الجنة بقلبى فغار على قلبى فأدّبنى، وقد آليت ألا أعود.

[وقيل لبعضهم: تريد أن تراه؟.

فقال: لا.

قيل: لِمَ.

قال: أُنزِّه ذلك الجمال عن نظر مثلى](٢).

وسُئِل الشبلى(٣): متى تستريح؟

قال: إذا لم أرَ لهُ ذاكراً(٤).

وسمع «النورى»(٥) رجلا يؤذن.

فقال له: طعنة وسم الموت غيرة لله، كيف ذكره المؤذن بلسانه مع غفلة قلبه عنه.

وأذن الشبلى(٦) مرَّة، فلما انتهى إلى شهادة النبى ﷺ قال: إلهى لولا أنك أمرتنى ما ذكرت معك غيرك.

وقال «أبو الحسن الخرقانى»(٧): لا إله إلاَّ الله من داخل القلب، ومحمد رسول الله من داخل القرط.

قال الإمام القشيرى(٨): ولا يُتوهم(٩) أن هذا منهما استخفاف بالنبى ﷺ، بل مع عظمته، فهو وكل مخلوق لا خطر له بالإضافة إلى الله تعالى.

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (حـ) ومقابل بالهامش تصحيحًا.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (د): (إذا لم أولد ذكرًا).

(٥) (النورى) هو: أحمد بن محمد، وقيل: محمد بن محمد، والأول أصح، بغدادى المنشأ والمولد، خرسانى الأصل، ويُعرف بابن البغوى، من قرية بين هراة، ومرو الروذ، صحب السرى السقطى وغيره، وكانت له علامات وأقوال فى التصوف اشتهر بها، منها: من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الآجر خدم الله عمره.

توفى سنة ٢٩٥هـ.

انظر طبقات الصوفية ص ١٦٤، نفحات الأنس لعبد الرحمن جامى ص ٢٥٢.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) (أبو الحسن الخرقانى).

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) (د): (ولا يتولاهم).

الباب الحادى والخمسون

فى الشـــوق

الشوق فى اللغة: اهتياج القلب إلى لقاء[١] المحبوب.

وكذلك هو فى اصطلاح أهل الحقيقة.

حتى قال بعضهم: هو احتراق الأحشاء، وتلهّب القلوب وتقطع الأكباد.

وقيل: علامة الشوق فطام الجوارح والشهوات.

وقيل: علامته حب الموت، مع كون الإنسان فى العافية والراحة، كما صنع يوسف، عليه السلام، فإنه لمّا[٢] أُلقِى فى الجب لم يقل: ﴿تَوَفَّنِى﴾ ولما أُدْخِل السجن لم يقل: ﴿تَوَفَّنِى﴾ ولمـا دخل عليـه أبواه، وخـر أخوته له سـجـداً وتم له الملك قـال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾.

قيل لبعضهم: هل تشتاق؟.

قال: لا، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب وهو حاضر.

[وقيل: شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين.

ولهذا قيل: أبرح ما يكون الشوق يومًا إذا دنت الخيام إلى الخيام][٣].

وقال السرى[٤]، رحمه الله: الخوف أجل مقام للعارف.

وقال بعضهم: الشوق أعلى الدرجات فـى أعلى المقامات فإذا أَبْلغه[٥] الإنسان استبطأ الموت شوقًا إلى لقاء[٦] ربه والنظر إليه.

والشوق ثمرة المحبة، فبقدرها يكون الشوق.

ويؤيد ذلك ما روى أن رجلا سأل ابن عطاء[٧] فقال: الشوق أعلى أم المحبة؟.

---

(١) فى (جـ): (إلقاء). (٢) (لما) سقطت من (د).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابلة.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) فى (جـ): (بلغه).

(٦) فى (جـ): (إلقاء). (٧) (ابن عطاء الآدمى) وتقدمت ترجمته.

فقال: المحبة، لأن الشوق يتولد منها.

واعلم أنه لا فرق فى اللغة بين الشوق والاشتياق، وفرق بينهما أهل الحقيقة، فقال «أبو علىٍّ الدقاق»(١): الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يزيد به.

وقال «النصراباذى»(٢): للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق، وهو أعلى.

[قال «أبو على الدقاق» فى قول موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾(٣).

أراد شوقًا إليك فستره بلفظ الرضا.

وقيل: مكتوب فى التوراة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وخوفناكم فلم تخافوا، وحنناكم فلم تحنوا.

وقال «ابن دينار»(٤): قرأت فى التوراة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وزمرنا لكم فلم ترقصوا](٥).

وفى الخبر: اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: على(٦)، وعمار(٧)، وسلمان الفارسى(٨) رضي الله عنهم.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الآية رقم (٨٤) من سورة طه مكية. (٤) هو: (مالك بن دينار) وتقدمت ترجمته.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابلة.

(٦) هو: (على بن أبى طالب) كرم الله وجهه، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وتقدمت ترجمته.

(٧) (عمار) هو: عمار بن ياسر بن عامر الكنانى، أبو اليقظان، صحابى من الولاة، وأحد السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وهو أول من بنى مسجدًا فى الإسلام (وهو مسجد قباء) فى المدينة، كان رسول الله ﷺ يلقبه الطيب المطيب.

وفى الحذيث: «ما خيِّر عمار بين أمرين إلاَّ اختار أرشدهما».

قتل فى موقعة صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة، وكان ذلك سنة ٣٧هـ.

انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ٥٦، وانظر الإصابة فى معرفة الصحابة، ترجمة رقم (٥٧٠٦).

(٨) (سلمان الفارسى) صحابى، ومن كبار الصحابة، أصله من مجوس أصبهان، قرأ كتب الفرس والروم واليهود، ورحل إلى الشام فالموصل، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بنى كلب فاستخدموه ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة، فجاء به إلى المدينة، وعلم سلمان بخير الإسلام فقصد النبى ﷺ بقباء وسمع كلامه ولازمه، واشترك فى غزوة الأحزاب، وهو الذى دلَّ المسلمين على حفر الخندق.

=

وعن «زيد بن ثابت»[١] أن النبى ﷺ علمه هذا الدعاء، وأمـره أن يتعهد به أهله كل صـباح: «اللهم إنـى أسألك الرضـا بالقـضاء، وبرد الـعيش بعـد المـوت، ولذّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك فى غير ضرّاء مضرة، ولا فتنة مضلة»[٢].

إشارة إلى ما ذكرناه فى قصة «يوسف» عليه السلام:

قال «أبو علىٍّ الدقاق»[٣] فى قوله ﷺ : «وأسألك الشوق إلـى لقائك»: كان الشوق مائة جزء: تسـعة وتسعون له ﷺ ، وجزء لباقى الأمـة مقسوم عليهم وبحـسب مراتبهم، فغار ﷺ من الشركاء فى الشوق وطلب الكل له.

= قال عنه النبى ﷺ : «سلمان منا آل البيت».

روى له الشيخان ٦٠ حديثًا.

وتوفى ﷺ سنه ٣٥هـ.

انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ٥٤.

(١) (زيد بن ثابت) هو: أبو خـارجة، زيد بن ثابت الفرضى بن الـضحاك، الأنصـارى، الخزرجى، صحابى، كان كاتب الوحى، قتل أبوه وهو ابن ست سنين، وهاجر مع النبى ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلم الفقه فى الديـن فكان رأسًا بالمدينة، وكان ابن عبـاس يأتيه ويقول: العلم يؤتى ولا يأتى.

توفى سنه ٤٥هـ.

انظر كتاب الوفيات ص ٦١.

(٢) حديث: (اللهم إن« أسـألك الرضا بالقضـاء، وبرر العيش بعد المـوت، ولذة النظر إلى وجهك الكريم).

(٣) تقدمت ترجمته.

الباب الثانى والخمسون

فى السـماع

السماع فى اللغة مصدر[١] سمع يسمع.

وفى الاصطلاح هو معروف [مشهور][٢].

واختلاف العلماء فى إباحته وحرمته مشهور أيضًا.

وممن قال بإباحة سماع الأشعار بالألحان «مالك بن أنس»[٣]، و «ابن جريج»[٤] وأهل الحجاز كلهم.

وأمَّا سماع الأشعار بغير لحن فجائز إجماعًا [ولذلك قول «الحدّاء»[٥] وسماعه.

وتفصيل ذلك][٦]، وذكر الأدلة فيه من الطرفين موضوعه الكتب المطوَّلة من الفقه والرقائق[٧]، وكتب الفقه أحق بذلك، لأن علم الحقيقة والطريق لم يبن على المجادلة، والقيل والقال، بل على ترك ذلك كله.

ولنصدر الباب بشىء من القرآن والحديث على طريق التبرك:

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ[٨] ⑰ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٩].

---

(١) فى (جـ) (قولك سمع يسمع). (٢) سقطت من (جـ).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (ابن جريج) هو: عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج، ويكنى أبا الوليد، كان محدثًا وفقيهًا، وهو أول مكى رتب الأحاديث ترتيبًا موضوعيًا، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفى ببغداد سنة ١٥٠هـ.

انظر: معجم المؤلفين ٦/ ١٨٣، تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ١/ ١/ ١٦٦.

(٥) (الحدّاء) هو حادى الإبل الذى يسوقها فينغّم على حركتها.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابلة.

(٧) فى (جـ): (الدقائق).

(٨) فى (جـ)، (د): (فبشر عبادى) وهو تحريف فى النص القرآنى.

(٩) الآية رقم (١٧) من سورة الزمر مكية.

والقول: مُحلّى بالألف واللام فيكون ظاهره العموم، فيتناول أقوال القوّالين مدحهم باتباع أحسنه.

فيدل ذلك على ندبه وإباحته.

ويبقى أن الحسن والقبح من الأمور الإضافية، فقد يكون الشىء حسنًا بالنسبة إلى شخص دون شخص، وقبيحًا بالنسبة إلى شخص دون شخص، ومستندًا لنسبة الأغراض.

فأذُن السماع تختلف باختلاف حال المستمع، فإن كان بعيدًا عن الأغراض البشرية والمقاصد البهيمية فهو لا يسمع إلاّ بالحق من الحق.

وقال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾(١).

جاء فى التفسير: أنه السماع بالحور العين.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾(٢): إنه الصوت الحسن.

وقال ﷺ: «حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا»(٣).

وقال ﷺ: «لكل شىء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن»(٤).

وقيل: إن داود، عليه السلام، كان يستمع بحسن قراءته الإنس والجن والوحش والطير إذا قرأ الزبور، وكان يُحمل من مجلسه فى بعض الأوقات أربعمائة جنازة ممن قد مات فى مجلسه من لذّة سماع صوته، وطيب قراءته.

---

(١) الآية رقم (١٥) من سورة الروم مكية. (٢) الآية رقم (١) من سورة فاطر مكية.

وعلى (هامش النسخة (جـ) تفسير لهذه الآية يقول: يعنى: يزيد فى الخلق الأجنحة ما يشاء، يعنى من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاث أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة، فذلك قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ يعنى الملائكة، والزيادة فى الخلق: الوجه الحسن، والصوت الحسن، وحسن الحظ، ويقال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ يعنى: الشعر الحسن، والصوت الحسن، ويقال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ فى الجمال والرياسة.

انظر هامش النسخة (جـ) ورقة (٢٥١) أسفل الصفحة.

(٣) حديث: (حسّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا).

قال السيوطى: رواه الدارمى وابن نصر فى الصلاة، والحاكم عن البراء رضي الله عنه.

انظر الحديث رقم (١١٢٦٠) من جامع الأحاديث ٣/ ٧٦٣.

(٤) حديث: (لكل شىء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه عبد الرزاق فى الجامع والمصنف والضياء فى المختارة عن أنس رضي الله عنه.

انظر الحديث رقم (١٧٧٨٢) ٥/ ٣٢١.

وروى الإمام القشيرى[١] أنه كان يُحمل كل يوم من مجلسه هذا المقدار.

ويُنْشَدُ[٢] فى هذا المعنى:

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ لِلأَلْـ
ـحَانِ فَائِدَةً وَنَفْعَا
فَانْظُرْ إِلَى الإِبِلِ اللَّوَا
تِى هُنَّ أَغْلَظُ مِنْكَ طَبْعَا
يَحْلُو لَهَا نَغَمُ الحِدَاءِ
فَتَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ قَطْعَا

وقال «أبو بكر محمد بن داود الدُّقّى»[٣]: كنت بالبادية فوافيت قبيلة من العرب فأضافنى رجل، على باب خبائه غلاما أسود مقيدًا وجمالا ميتة.

فقال لى الغلام: أنت ضيف كريم على مولاك فعساك تشفع لى عنده فإنه لا يردك.

فقلتك لمولاه: لا آكل طعامك حتى تشفعنى فى هذا العبد.

فقال: إنه قد أفقرنى وأتلف مالى.

فقلتك: كيف أفقرك.

فقال: له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال فحمَّلها أحمالا ثقيلة[٤]، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم، فلما حطَّ عنها الأحمال ماتت كلها من التعب، ولكن قد شفعتك فيه.

وحلَّ قيده.

فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته عن ذلك فأمر الغلام أن يحدو لجمل على

(١) فى (جـ): (رحمة الله عليه) وتقدمت ترجمته.

(٢) فى هنا سقط من (جـ).

(٣) (أبو بكر محمد بن داود الدُّقّى) الدينورى، أقام بالشام وعُمِّر فوق مائة سنة، وكان من أقران أبى على الروذبارى، صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وإليه كان ينتمى، وكان من أجل مشايخ وقته، وأحسنهم حالاً، وأقدمهم صحبة للمشايخ.

توفى بعد (٣٥٠هـ) كان يقول: المعدة موضع يجمع الأطعمة، فإذا طرحت فيها الحلال صدرت لباقى الأعضاء بالأعمال الصالحة.

انظر طبقات الصوفية للسُّلمى، والرسالة القشيرية ص ٣٠.

(٤) فى (د): (ثقيلا).

بئر هناك يستقى، فحدا له فهام الجمل على وجهه وقطع حباله، ووقعت أنا على وجهى حتى أشار إليه بالسكون، فما سمعت صوتًا أطيب منه.

وقيل: إذا تغنت الحور فى الجنة توردت الأشجار][1].

وقال الجنيد[2]: سبب اضطراب الإنسان عند السماع[3] أن الله تعالى لمَّا خاطب الذرّ فى الميثاق الأول بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[4] تشربت[5] الأرواح عذوبة سماع ذلك الكلام، وتعلقت كلمتها بسماعه، فإذا جاء السماع هيَّجها ذكر ذلك السماع[6].

وقال «سهل بن عبد الله»[7]: السماع: علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلاّ هو.

وقال «الجنيد» رحمه الله: السماع فتنة لمن طلبه، وترويح لمن صادفه.

وسُئِل «الشبلى»[8] رحمه الله، عن السماع فقال: ظاهره فتنة وباطنه عبرة.

وقال «الجنيد»: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

وسُئِل «أبو على الروذبارى»[9] عنه فقال: ليتنا خلصنا منه رأسًا برأس.

وسئل «أبو سليمان الدارانى»[10] عنه فقال: كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى به ما يداوى به[11] الصبى إذا أراد أن ينام.

ثم قال: والصوت الحسن لا يدخل فى القلب شيئًا، إنما يحرك ما يكون ساكنًا فيه.

وقال الإمام القشيرى[12]: سألت الأستاذ «أبا علىٍّ الدقاق»[13] غير مرَّة طلب رخصة فى السماع فكان يجيبنى[14] بما يمنع عنه.

ثم بعد طول المعاودة قال لى: إن المشايخ قالوا: ما جمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به.

وقيل: رأى رجل النبى ﷺ فى المنام، فقال له: الغلط فى السماع أكثر.

وقال إبليس، لعنة الله عليه، لبعض المشايخ فى المنام: ما رأيت شيئًا أدخل به عليكم إلاّ السماع.

---

(١) إلى هنا سقط من النسخة (جـ).
(٢) فى (جـ): (رحمة الله عليه) وتقدمت ترجمته.
(٣) فى (جـ): (الاستماع).
(٤) الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف مكية.
(٥) فى (جـ): (فشربت).
(٦) فى (جـ): (ذلك الكلام).
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) تقدمت ترجمته.
(١١) فى (جـ): (كما يداوى الصبى).
(١٢) تقدمت ترجمته.
(١٣) فى (د): (أبو على) وتقدمت ترجمته.
(١٤) فى (د): (يجذبنى).

وقال الإمام القشيرى[١]: سمعت الأستاذ أبا على[٢] يقول:
السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم.
مباح للزهّاد لحصول مجاهداتهم.
مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم.
[ويُروى هذا القول عن «أبى بكر الأنماطى[٣]» أيضًا][٤].

وسُئل «ذو النون»[٥] عن الصوت الحسن فقال: مخاطبة فى الإشارات أودعها كل طيب وطيبة.

وسُئِل عن السماع فقال: وارد حقٌ يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحقٍّ تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.

وقيل: لا يصلح السماع إلا لمن له نفس ميتة وقلب حيٌّ.

وقال «أبو عثمان المغربى»[٦]: من ادُعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب، وتصفيف الرياح فهو مدّعٍ كذَّاب.

وقال الحصرى[٧]: ما أصنع بسماع ينقطع بسكوت، بل السماع الحقيقى ما لا ينقطع.

وقال أيضًا: ينبغى أن يكون صاحب السماع دائم الشرب، دائم الظمأ، فكلما شرب زاد عطشه.

وقال «أبو سهل الصعلوكى»[٨]: المستمع بين استتار وتجلٍّ.
* فالاستتار يوجب الاحتراق.
* والتجلى يوجب الترويح.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.
(٣) (أبو بكر الأنماطى) هو الحافظ الثبت أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق النيسابورى، مصنف التفسير الكبير، من كبار الرحالة، سمع إسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبى شيبة، وعبد الله بن الرماح، ومحمد بن حميد الرازى، وحدث عنه ابن الشرقى، وأبو عبد الله الأخرم، ويحيى بن محمد العنبرى وآخرون.
توفى سنه ٣٠٣هـ.
انظر الذهبى تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠١، كحالة: معجم المؤلفين ١/ ١٣.
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابلة.
(٥) تقدمت ترجمته. (٦) تقدمت ترجمته.
(٧) تقدمت ترجمته. (٨) تقدمت ترجمته.

والأول: يتولد منه حركات المريدين، وهو محل الضعف.

والثانى: يتولد منه سكون الواصلين، وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة أهل الحضرة، فإنه ليس فيها إلاّ الذبول تحت موارد الهيبة.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾(١).

وقال «بندار بن الحسين»(٢): **السماع ثلاثة أقسام:**

سماع بالطبع: ويشترك فيه الخاص والعام، بالجبلة البشرية فى استلذاذ الصوت الطيب.

وسماع بالحال: وصاحبه يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب، أو خطاب، أو تصديق بوعد، أو نقض لعهد، أو ذكر اشتياق، أو خوف فراق، أو فرح وصال، أو نحو ذلك.

وسماع بحق لا بحظ: وصاحبه يسمع بالله لله، ولا يتصف بشىء من هذه الأحوال التى هى ممزوجة بالحظوظ البشرية، بل بصفاء التوحيد.

وسُئِل «إبراهيم الخواص»(٣): ما بال الإنسان يتحرك عند سماع الألحان، ما لا يتحرك عند سماع القرآن؟.

فقال: [لأن](٤) سماع القرآن صدمة لا يتمكن أحد(٥) أن يتحرك فيه لشدّة غلبته عليه، وسماع الألحان ترويح فيتحرك فيه.

---

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الأحقاف مكية.

يوجد تفسير لهذه الآية بهامش النسخة (جـ) يقول: (يعنى: لما حضروا النبى قال بعضهم لبعض: ﴿ أَنصِتُوا ﴾ للقراءة واستمعوا ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ يعنى فرغ النبى من القراءة والصلاة ﴿ وَلَّوْا ﴾ يعنى: رجعوا ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾.

قال مقاتل: يعنى مؤمنين، وقال الكلبى: يعنى مخوفين، وقال مجاهد: ليس فى الجن رسل، وإنما الرسل فى الإنس، والنذارة فى الجن، ثم قرأ: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ يعنى: أنذروا قومهم من الجن ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا ﴾ من محمد ﴿ كِتَابًا ﴾ يعنى القرآن).

انظر الورقة (٥٢ ب) من النسخة (جـ) بالهامش.

(٢) (بندار بن الحسين) بن محمد بن المهلب، كنيته: أبو الحسين، من أهل شيراز، كان عالمًا بالأصول، له اللسان المشهور فى علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلى يكرمه ويعظم قدره، وبينه وبين ابن خفيف مفاوضات فى مسائل شتى.

توفى رحمه الله سنة (٣٥٣هـ).

انظر طبقات الصوفية ٤٦٧، الرسالة القشيرية (٣١)

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) سقطت من (د). (٥) فى (جـ): (لا يمكن أحدًا).

وقال «ابن الجلاء»(١): كان بالمغرب شيخان يُقال لأحدهما جَبَلَة، والآخر: زُرِيق.

وكان لهما أصحاب وتلاميذ، فزار(٢) «زُرَيق» وأصحابه فى بعض الأيام جَبَلَة، فقرأ رجل من أصحاب زريق فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات.

فلما أصبحوا قال جبلة لزريق: أين الذى قرأ بالأمس؟.

فقال: حاضر.

فقال: ليقرأ آية.

فقرأ، فصاح جبلة صيحة فمات القارئ.

فقال: واحد بواحد، والبادى أظلم.

وحُكِي عن «الجنيد»(٣) أنه دخل يومًا على السَّرى(٤) فوجد عنده رجلاً مغشيا عليه فقال: ما لهذا؟(٥).

فقيل له: سمع آية من كتاب الله تعالى.

فقال الجنيد: اقرأوا له آية أخرى.

فقرأوا له، فأفاق.

فقال السرى للجنيد: من أين لك هذا؟.

فقال: إن قميص «يوسف» ذهب بسببه بصر يعقوب لما جاءوا عليه بدم كذب، وأعيد بسببه بصره لما جاء به البشير.

فأعجب السَّرى قوله.

وكان شاب يصحب الجنيد فإذا سمع شيئًا من الذكر صاح، فقال الجنيد يومًا: إن صحت بعد اليوم لا تصحبنى(٦).

فكان إذا سمع شيئًا يتغير ويضبط نفسه مغلوبًا حتى كان تقطر كل شعرة من بدنه قطرة، فغُلب يومًا وصاح صيحة عظيمة ومات.

وقيل: السماع فيه نصيب لكل جارحة(٧).

[فما يصيب العين يتولد منه البكاء](٨).

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) فى (د): (فرأى).
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) فى (جـ): (مال هذا).
(٦) فى (جـ): (لم تصحبنى).
(٧) فى (جـ): (عضو).
(٨) ما بينهما سقط من (د).

* فما يصيب اللسان يحدث الصياح.

* وما يصيب اليد يحدث تمزيق الثياب واللطم(١).

* وما يصيب الرجل يحدث الرقص.

[وسمع الشبلى(٢) قائلا يقول: الخيار عشرة بحبة، فكيف أحوال الشرار.

وكان جماعة من الصوفية فى بيت «الحسن القزاز»(٣) ومعهم قوّال يقول شيئًا، وهم يتواجدون، فأشرف عليهم «ممشاد الدينورى»(٤). فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جُمعت ملاهى الأرض ما شغلت همّى، ولا شفت بعض ما بى.

قال الإمام القشيرى(٥): وهذه صفة الأكابر لا يرد عليهم وارد، وإن كان قوامًا إلا كانوا أقوى منه](٦).

وقيل: إن موسى، عليه السلام، قصّ فى بنى إسرائيل فمزّق واحد منهم قميصه.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، قل له: مزّق لى قلبك ودع قميصك.

وقيل: قصّ موسى، عليه السلام، فى بنى إسرائيل فصاح منهم واحد، فأنكر عليه موسى، عليه السلام، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، ناحوا، وبحبى باحوا، وبوجدى صاحوا، فلِمَ تنكر على عبادى.

[وقال «أبو على المغازلى»(٧) «للشبلى»(٨): ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى فتحملنى على ترك الأشياء كلها، والإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوال الناس، وعاداتهم.

فقال «الشبلى» له: ما اجتذبك إليه به فهو عطف منه عليك، ولطف بك.

وما ردّك به إلى نصيبك من الدنيا فهو شفقة منه عليك لأنك لم يصح لك التبرء من الحول والقوة فى التوجه إليه](٩).

---

(١) فى (د): (والمطعم). (٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ممشاد الدينورى): من أكابر مشايخ العراق له الكرامات الظاهرة، والأحوال الحسنة، صحب ابن الجلاء ومن فوقه من المشايخ، وكان من أقران الجنيد، وله أقوال مشهورة منها: أعطى الله تعالى العارف مرآة فى سرّه، فإذا نظر رأى الله تعالى.

توفى سنه ٢٩٩هـ.

انظر: نفحات الأنس للجامى ص ٣٠٣، وطبقات الصوفية ص ٣١٦، والرسالة القشيرية ص ٢٧ والكواكب الدرية ١/ ٤٩١.

(٥) تقدمت ترجمته. (٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابلة.

(٧) (أبو على المغازلى) لم أقف على ترجمته. (٨) تقدمت ترجمته.

(٩) ما بينهما سقط من (جـ)

الباب الثالث والخمسون

فى معرفة النفس، والروح، والقلب(١)

النفس والروح فى اللغة بمعنًى واحد.

والنفس أيضًا بمعنى الجسد.

والقلب فى اللغة: هذه المضغة المعروفة، يعبَّر به عن العقل، وبه فسَّر القرَّاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾(٢).

قال «ابن فارس»(٣): وخالص كل شىء وأشرفه قلبه.

وفى اصطلاح الحكماء أيضًا: لا فرق بين النفس والروح، كما قال أهل اللغة.

وعند الأطباء: النفس: قوة كلية مدبرة للبدن متصرفة فى أنواع قواه الجزئية.

والروح: عندهم بخار الدم ولطيفه.

وعند بعض أهل الحقيقة: النفس، والروح، والقلب بمعنى واحد.

وهو الإرادة المتعلقة بالمضغة(٤) المعروفة.

---

(١) فى (جـ) (وعجائبها).

(٢) الآية رقم (٣٧) من سورة ق مكية.

وهناك تحريف فى النص ففى (د) كتب: (إن فى ذلك لعبرة لمن كان له قلب) وهو تحريف.

(٣) (ابن فارس) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزوينى، نزيل همذان، الشافعى، المعروف بالرازى، أبو الحسين، صاحب مقاييس اللغة، وله أيضًا: جامع التأويل فى تفسير القرآن، فى أربع مجلدات مخطوطة.

توفى، رحمه الله، بالرى سنة ٣٩٥هـ، على خلاف.

انظر: معجم مقاييس اللغة، بتحقيق عبد السلام هارون كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ٤٠، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٩٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣/ ٢١٢

(٤) فى (جـ): (بهذه المضغة).

وذلك المعنى هو المراد بقوله ﷺ: «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»(١).

وعند بعض أهل التحقيق(٢): الروح: هى الحياة.

وعند بعضهم: هى عين لطيفة مودعة فى هذه القوالب تلازمها الحياة عادة، ولها ترقٍّ فى حالة النوم، ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه حالة اليقظة.

والإنسان هو مجموع(٣) النفس، والروح، والجسد، وقد سخَّر الله تعالى هذه الجملة بعضها لبعض، والحشر يكون للجملة، وكذا الثواب والعقاب.

والأرواح مخلوقة، ومن قال بقِدَمها فهو مُخْطِئ خطأ عظيمًا.

[وقال «الواسطى»(٤): ما أحدث الله شيئًا أكرم من الروح.

صرَّح بأن الروح مخلوقة](٥).

وقال الإمام القشيرى(٦): النفس فى اصطلاح أهل الحقيقة: ما كان معلولاً ومذمومًا من أوصاف العبد، وأحواله، وأقواله، وأفعاله.

ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة فى قالب البدن، وهى محلٌّ للأخلاق المذمومة.

كما أن الروح لطيفة مودعة فيه وهى محل للأخلاق المحمودة، ومثال النفس والروح من الأجسام اللطيفة الملائكة والشياطين، والروح أشرف من القلب.

والنفس على ثلاثة أقسام:

* **النفس الأمَّارة:** وهى الأخلاق الذميمة، كالشهوة، والغضب، والكبر، والحرص، والبخل(٧)، والرياء

---

(٤) حديث: (ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله). رواه البخارى فى الإيمان ٣٩، ومسلم فى المساقاة ١٠٧، وابن ماجه فى الفتن ١٤، والدارمى فى البيوع ١.

(١) فى (جـ): (من أهل السنة والجماعة).

(٢) فى (جـ): (من) زائدة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (جـ): (الحسد) زائدة.

* والنفس اللوّامة: وسيأتى بيانها.

* والنفس المطمئنة: وهى نور من أنوار القدس، قابض على جوهر القلب.

* والنفس اللوّامة: هى النفس المطمئنة إذا تدنست بأوساخ المعاصى تلوم صاحبها على ما فعل.

[(١) والنفس بمعنى الجسد هو العالم الأصغر، وهو أنموذج واصطرلاب لجميع ما فى العالم الأكبر من الآثار العلوية، والصور السفلية فيها من العجائب ما لا يدركه إلاّ الراسخون فى العلم، وإلى ذلك وقعت الإشارة الإلهية بقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٢).

فنظير الأفلاك السبعة: الرأس، والبدن، والفخذان، والساقان، على الترتيب، يعنى سماء أعلى، مثل الرأس فى الجسد، هى السماء السابعة(٣)، ومن تحته سماءان، هما مثل اليدان فى الجسد، والسماء الرابعة(٤) والخامسة مثل الفخذان فى الجسد، والسادس والسابع مثل الساقان فى الجسد على الأسفل السابع، من الأشرف إلى الأدنى كما فى الأفلاك.

ونظير البروج الاثنى عشر، منافذ الإنسان وهما: العينان، والأذنان، والمنخران، والفم، والسرة، والأنثيان(٥)، والسيلان.

وكل ما كان من هذه المنافذ زوجًا فإن أحدهما شمال، والآخر جنوبى، كما فى البروج، فإن ستة منها شمالية، وستة جنوبية.

ونظير الكواكب السبعة السيّارة فى البدن، وهى: قوة البصر، والسمع، والذوق، والشم، والنطق، واللمس، والفهم.

ونظير عقدة الرأس والذَّنَب من الفلك سوء المزاج وصلاحه بجميع خفائهما وظهور الأثر عنهما، بقدرة الله تعالى.

وحركات القوى فى البدن كحركات الكواكب وطلوعها، وموت القوى كغروب

---

(١) من هنا اعتمدنا على النسخة (جـ) لأن الجزء الأكبر منه سقط من النسخة (د) حتى قرب نهاية الباب تقريبًا.

(٢) الآية رقم (٢١) من سورة الذاريات مكية.

(٣) فى (جـ): السابع.

(٤) فى (جـ): الرابع والخامس.

(٥) غير واضحة فى (جـ) أو هكذا كتبت.

الكواكب، واستقامتها كاستقامتها، وأمراض القوى كآفات الكواكب، والعقل فى الجسد كالشمس، والعلم كالقمر، فالعلم مستفاد من أنوار العقل كما قيل: إن نور القمر مستفاد من نور الشمس.

والله هو العالم بحقيقة ذلك، والأرواح فى البدن كالملائكة فى الأفلاك.

فهذا وجه مشابهة الجسد للعالم العلوى، ووجه مشابهته للعالم السفلى أن الجسد بمثابة الأرض، والعظام فيه كالجبال والأمخاخ فيه كالمعادن، والبطن كالبحر، والأمعاء والعروق كالأنهار والجداول، واللحم كالتراب، والشعر كالنبات، والأيدى والأرجل كالأشجار، والأصابع كالأغصان، والوجه كالمشرق، والقفا كالمغرب، واليمين كالجنوب، والشمال كالشمال، وأمام ووراء كالقبول والدبور، والأنفاس كالرياح، والكلام كالبوارق، والأصوات كالرعود والصواعق، والفرح كالنور، والهم كالظلمة، والبكاء كالمطر، والضحك كإشراق الشمس، واليقظة كالحياة، والنوم كالموت، وأيام الصبا كالربيع، والشباب كالصيف، والكهولة كالخريف، والشيخوخة كالشتاء.

وكما أن فى النبات ما يغلب عليه بعض الكيفيات، ومنها ما هو معتدل، فكذلك فى أعضاء الإنسان وأجزائه، وكذلك فى الأجسام ما ينمى، وما لا ينمى، فكذلك فى الإنسان.

وأمَّا طبائع الحيوانات وأخلاقها فتوجد كلها فى الإنسان، أيضًا، فى اختلاف أحواله، فتارة يكون شجاعًا كالأسد، وتارة جبانًا كالأرنب، وتارة بخيلا كالكلب، وتارة متملقًا كالهرة، وتارة وحشا متكبرًا كالنمر، وتارة آيسًا كالحمام، وتارة مختالاً كالثعلب، وتارة سليمًا ساذجًا كالسات، وتارة عجلانا كالظبى، وتارة بطيئا كالذئب، وتارة عزيز النفس كالفيل، وتارة حسيسًا كاللجمل، وتارة جهولاً كالحمار، وتارة زكيًا كالفرس، وتارة مختالاً كالطاووس، وتارة أخرس كالسمك، وتارة ناطقًا كالهزار، وتارة خيالا كالذباب، وتارة حريصًا كالخنزير، وتارة مشؤومًا كالبوم، وتارة ميمونًا كالببغاء، وتارة نافعًا كالنحل، وتارة ضارًا كالفأر.

ومن شرف الإنسان أن الله تعالى خلق جميع الموجودات ولم يُثن على نفسه بخلق شيء منها كما أثنى على نفسه بخلق الإنسان، لغرائب صفاته، وعجائب ذاته.

فقال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(١).

---

(١) الآيات أرقام (١، ٢، ٣، ٤) من سورة الرحمن مدنية.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

قال بعض أهل الحقيقة: القلب نور له شعبتان:

شعبة ممتدة إلى عالم الملكوت، وله بها نسبة إلى الملائكة، وبها يصلح معاده.

وشعبة ممتدة إلى عالم الكون والفساد، وله بها نسبة إلى الأرض، وبها يصلح معاشه.

فمتى أدركته جواذب العناية الأزلية إلى لقاء الحق بذوق حلاوة اللذات القدسية غلبت الشعبة الأولى على الثانية غلبة يحصل معها الفناء عن عالم الحس والبقاء فى عالم القدس، فيصير مكاشفا مشاهدًا لما فى العالم العلوى من العجائب والغرائب.

وتلك فضيلة يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده.

---

(١) الآيات أرقام (١٢، ١٣، ١٤) من سورة المؤمنون مكية.

الباب الرابع والخمسون

فى الفراسة

الفراسة فى اللغة: التثبت والنظر.

وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هى مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب.

وقيل: هى مطالعة الغيوب بنور اطلاع الله تعالى على القلب.

وإلى ذلك النور أشار النبى ﷺ بقوله: «المؤمن ينظر بنور الله»(١).

وفى رواية أخرى: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»(١).

[ولم يقل: تفرَّسوا، وكيف تصلح دعوى الفراسة لمن هو فى محل اتقاء الفراسة](٢).

وقيل: هى خاطر يهجم على القلب فينفى ما يضاده، وله على القلب حكم اشتقاقه من فراسة الأسد(٣).

وقيل: هى من سواطع أنوار تلمع فى القلوب وتمكين معرفة بجمل السرائر فى الغيوب.

والفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان إيمانه أقوى كان أحدَّ فراسة.

وقيل: إن الفراسة تولّدت من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾(٤).

فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت فراسته أحد وأصدق(٥).

---

(١) حديث (المؤمن ينظر بنور الله).

انظر حديث: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل).

رقم (٣٢١) ١/ ٧٩ من جامع الأحاديث، وقال السيوطى: رواه البخارى فى تاريخه، والترمذي عن أبى سعيد الحكيم وسمويه، والطبرانى، وابن عدى عن أبى أمامة، وابن جرير عن ابن عمر ﷺ.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ). (٣) فى (د): (فريسة).

(٤) الآية رقم (٧٢) من سورة ص مكية.

(٥) فى (جـ): (أتم فراسه أحد وأصدق).

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾(١) : أى: للمتفرسين.

وقال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾(٢) : أى: ميّت الذهنِ، فأحياه الله تعالى بنور الفراسة.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ ﴾(٢): أى: نور التحلى والمشاهدة.

﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾(٢) : أى: كم هو غافل بين أهل الغفلة.

وقال النبى ﷺ : «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم»(٣).

وقال «شاه الكرمانى»(٤) : من غض [بصره عن محارم الله تعالى](٥) ، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السُّنَّة، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطئ فراسته.

وقيل: كان «الشافعى»(٦) و «محمد بن الحسن»(٧) جالسين فى الحرم فدخل رجل فقال «محمد بن الحسن»: أتفرس فيه، إنه نجار، وقال الشافعى: أتفرس فيه، إنه حدّاد.

فسألاه(٨)، فقال: كنت من قبل هذا حداداً، والآن أنا نجار.

---

(١) الآية رقم (٧٥) من سورة الحجر مكية.

(٢) الآية رقم (١٢٢) من سورة الأنعام مكية.

(٣) حديث (إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم) لم أقف عليه.

(٤) (شاه الكرمانى) هو: أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، كان من أولاد الملوك، ومن رفقاء أبى حفص، صحب أبا تراب النخشبى، وأبا عبيد البسرى وكان أستاذ أبى عثمان الحيرى.
كانت له أقوال هامة حول تفضيل الفقر على الغنى.
توفى سنه ٢٧٩هـ.
انظر نفحات الأنس للجامى ص ٢٧٣، والرسالة القشيرية ٢٤، طبقات الصوفية ص ١٩٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٦٦.

(٥) فى (جـ): (عن المحارم).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) (محمد بن الحسن) هو: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، الشيبانى بالولاء، فقيه، حنفى، من كبارهم، وكان من بحور العلم، ولد بواسط سنه ١٣١هـ، ونشأ بالكوفة، وتفقه على أبى حنيفة، وهو الذى نشر علمه، وقدم بغداد فولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى الرى خرجته الأولى خرج معه فمات فى قرية من قرى الرى سنة ١٨٩هـ، وله كتب فى الفقه والأصول، منها: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمخارج فى الحيل، وغيرها.
انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ١٤٧، البداية والنهاية ٥/ ١٠/ ٢٠٢.

(٨) فى (د) (فسأله).

[وقال «ابن عاصم الأنطاكي»(١): جالسوا الصوفيـة بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم، ويخرجون منها من حيث لا تحسون.

وقال «الزبيدي»(٢): كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يُفتَح علينا بشيء أيامًا، فأتيت الخوّاص(٣) لأسأله شيئًا، فلما رآني قال لي:

الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا؟.

قلت: يعلمها.

قال: فلا تبدها لمخلوق.

فرجعت ولم أبدها، فلم يكن قليلا إلا وقد فتح الله علينا بما فوق الكفاية.

وقال الإمام «القشيري»(٤): كنت في ابتداء وصلتي بالأستاذ «أبي عليّ الدّقاق»(٥) أقعد في مسجـد المطرز، فاستأذنتـه وقتًا في الخروج إلى نسـائي، فأذن لي، فخطر ببالـي: ليته ينوب عني في مجالسي مدة غيبتي، فالتفت إليّ وقال: أنوب عنك أيام غيبتك.

فمـشيت مـعه قليـلاً، ثم خطر ببالي أنه عليل يشق عـليه أن ينوب عني في الأسـبوع مرتين، فليته يُقصر على مرة واحدة.

فالتفت إليّ وقال: إن لم يمكنني في الأسبوع أن أنوب عنك يومين نُبت يومًا واحدًا.

فمشيت قليلا فخطر ببالي شيء ثالث، فالتفت إليّ وصرّح به مفصلا](٦).

ورُوي عن «أنس بن مالك»(٧) قال: دخلت على عثمان(٨)، رضي الله عنه، وكنت قد(٩) رأيت امرأة في الطريق فتأمـلت محاسنها، فقال لي عثـمان: يدخل عليّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه.

---

(١) (ابن عاصم الأنطاكي) هو: أبو علي أحـمد بن عاصم الأنطاكي، ويقال: أبو عـبد الله، من أقران بشر الحافي والسرّي، والمحاسبي، ويقال: إنه رأى الفضيل بن عياض، كان يقول: أنفع التواضع ما نفى عنك الكبر، وأمات منك الغضب، وقال: أنفع الفقر ما كنت به متجملا، وبه راضيا. توفي سنه ٢٣٩هـ.

انظر نفـحات الأنس للجـامي ص ٣٠٠، طبقـات الصوفـية ص ١٣٧، الرسـالة القشـيرية ١٩، الكواكب الدرية ١/ ٣٥٠.

(٢) (الزبيدي) لم أقف على ترجمته.

(٣) هو: إبراهيم الخواص، وتقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في (د): (أبو علي) وتقدمت ترجمته.

(٦) حتى هنا سقط من (جـ).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) هو: (عثمان بن عفان) وفي (جـ): (كرم الله وجهه) وتقدمت ترجمته.

(٩)سقطت من (جـ).

فقلت له: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ.

فقال: لا، ولكن تبصرة، وبرهان، وفراسة صادقة.

وقال «أبو سعيد الخراز»[١]: دخلت المسجد فرأيت فقيراً يسأل شيئًا.

فقلت فى نفسى: مثل هذا يسأل؟!.

فنظر إلىَّ وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٢].

قال: فاستغفرت الله فى نفسى.

فنادانى وقال لى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[٣].

وقال «أبو موسى الدّيبلى»[٤]: سألت «عبد الرحمن بن يحيى»[٥] عن التوكل فقال: هو أن يكون لو أدخلت يدك فى فم التنين إلى الرسغين لا تخاف مع الله تعالى غيره.

وقال: فذهبت إلى «بايزيد» لأسأله عن التوكل.

فلما رآنى [قال لى][٦] قبل أن أسأله: لك فى قول «عبد الرحمن» كفاية.

قال «أبو موسى»[٧]: وأقمت مرة عند بايزيد شهراً، فكان لا يخطر لى شىء إلا حدَّثنى عنه، فلما أردت وداعه فقلت له: أفدنى فائدة، قال لى: عليك بأكل الحلال.

وقال «خير النساج»[٨]: كنت جالسًا فى بيتى فوقع لى أن الجنيد بالباب فلم أخرج، فوقع لى ذلك ثانيًا، وثالثا، فخرجت فلقيته بالباب، فقال لى: لِمَ لمْ تخرج مع الخاطر الأول.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) الآية رقم (٢٣٥) من سورة البقرة مدينة.

(٣) الآية (٢٥) من سورة الشورى مدنية.

(٤) (أبو موسى الدّيبُلى) وفى (أ) (الدنبلى) والأول أصح، وقد ورد فى طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى تصحيح ذلك الاسم، وقد حكى عن أبى يزيد البسطامى.
انظر: السلمى: طبقات الصوفية ٦٨، ٧٣ والهاشمى.

(٥) (عبد الرحمن بن يحيى) لم أقف على ترجمته.

(٦) ما بينهما سقط من (د). (٧) تقدمت الإشارة إليه.

(٨) (خَيرُ النَّسَّاج) وكنيته: أبو الحسن، كان أصله من سامرا، وأقام ببغداد، صحب أبا حمزة البغدادى، وسأل السرىّ السقطى عن مسائل، وكان إبراهيم الخواص قد تاب فى مجلسه، وكذلك الشبلى تاب فى مجلس خير النساج، عمَّر طويلا، وكان اسمه: محمد بن إسماعيل السامرى، وسمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة فقال: أنت عبدي، واسمك خير، فلم يخالفه، فاستعمله فى نسج الخز.
توفى سنه ٣٢٢هـ وعاش (١٢٠ سنة).
انظر نفحات الأنس للجامى ص ٤٦٨، طبقات الصوفية ص ٣٢٢، الرسالة القشيرية ص ٢٧.

الباب الخامس والخمسون

فى كرامات الأولياء

كرامات الأولياء: ما يكرمهم الله تعالى به من الأمور الخارقة[١] للعادة.

ووقوع الكرامات جائز عند جمهور أهل العلم والمعرفة، وفائدتها معرفة الولى الصادق، من المدَّعى الكاذب، بتعريف الله تعالى.

وقال «عثمان بن عفان»[٢] رضي الله عنه: من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله تعالى عليه منها رداء يُعْرف به.

ولا بد من كونها فعلاً خارقًا[٣] للعادة فى زمن التكليف.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

قيل: بدعوى النبوة، واختاره القاضى أبو بكر[٤]، وهو المعتمد.

وقيل: بوجوب الإظهار للمعجزة، ووجوب الإخفاء والستر فى الكرامة.

وقيل: بالقطع وعدمه.

فالنبى ﷺ يقطع بكون ذلك معجزة.

والولى: يجوز كونه مكراً.

وقال «سهل بن عبد الله التسترى»[٥]:

المعجزات للأنبياء.

---

(١) فى (جـ): (الخارجة). (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) فى (د): (طارق).

(٤) لعله (القاضى أبو بكر الباقلانى) وهو: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى، أصله من البصرة، وعاش فى بغداد، ويعد أنبه متكلمى المدرسة الأشعرية على مذهب أبى الحسن الأشعرى. وتوفى سنه ٤٠٣هـ.

انظر تاريخ التراث العربى، فؤاد سزكين ١/ ٤/ ٤٧.

(٥) تقدمت ترجمته.

والكرامات للأولياء.

والمعونات للمريدين.

والتمكين لأهل الخصوص.

وقال «أبو علىٍّ الروذبارى»[١]: كما فرض الله تعالى على الأنبياء إظهار المعجزات[٢]، فرض على الأولياء كتمان الكرامات، لئلا يفتتن بهم الخلق.

وقيل: عقوبة الأنبياء حبس الوحى والمعجزات.

وعقوبة الأولياء إظهار الكرامات.

وعقوبة المريدين التقصير فى الطاعات.

ثم ظهور الكرامات يكون تارة بقصد الولى، وتارة بغير قصد.

واعلم أن نهايات مقامات الأولياء متقطعة عن مبادئ مقامات الأنبياء.

فالولى: إن جَلَّ حاله[٣] لا يصل إلى شىء من مقامات النبوة، دقَّ أو جَلَّ، لأن الولى تابع والنبى متبوع، ومتى تقادم الفرع[٤] الأصل، أو يدانيه، وبه قوامه، وإليه مرجعه، ومن ظن خلاف ذلك فقد ظن خلاف الحق.

وكرامة الأولياء معجزة لنبيهم، لأنهم تبع له، وصدق التابع يدل على صدق المتبوع.

ورتبة الولى أدنى من رتبة النبى [لما ذكره «بايزيد»[٥].

فكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقًا لم يظهر على من تابعه الكرامة.

فأمَّا رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك][٦].

وسئل «بايزيد البسطامى» عن هذه المسألة فقال: مثال ما حصل للنبى صلى الله عليه وسلم كزق فيه عسل رشحت منه قطرة، فتلك القطرة تعدل كل شىء حصل لجميع الأولياء، والذى فى الزق مثال ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم.

واختلف أهل الحقيقة فى جواز معرفة الولى كونه وليا.

---

(١) (أبو على الروذبارى) تقدمت ترجمته.

(٢) فى (د): (المعجزة).

(٣) فى (جـ): (جلاله).

(٤) فى (جـ، د): (لأن الولى متبع والأنبياء متبع ومتى يقاوم).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) ما بينهما سقط من (جـ).

واختار الأستاذ «أبو على الدقاق»[١] جواز ذلك.

قال الإمام القشيرى[٢]، وبه نقول، خلافًا لأبى بكر بن فورك[٣].

ومن عرف منهم ذلك كانت معرفته كرامة له، وعلمُ كل ولىٍّ بذلك ليس بواجب، بل كل منهم له نوع كرامة، ولو لم يكن له كرامة فى الدنيا[٤] لا يقدح ذلك فى كونه وليا.

ومن الدليل على جواز ظهور الكرامة قول صاحب سليمان، عليه السلام: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[٥].

ولم يكن نبيا.

[وقول «عمر»[٦] رضي الله عنه فى خطبة يوم جمعة: يا سارية الجبل.

وبلغ صوته إلى سارية فى تلك الساعة، حتى أخذ حذره من العدو الكامن فى الجبل، كان سارية بمصر.

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[٨].

ولم تكن مريم بنبية.

وقصة أهل الكهف، وتكليم الكلب لهم][٩].

والذى يجوز كرامة مثل إظهار طعام فى غير وقته، أو ماء في وقت عطش، أو قطع مسافة بعيدة فى مدة قريبة، أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو نحو ذلك، بخلاف حصول إنسان لا من أبوين، وقلب الجماد حيوانًا، ونحو ذلك، فإنه لا يجوز ظهوره كرامة أصلا.

وأمَّا رؤية الله تعالى فى الدنيا فكذلك الإجماع.

و«لابن فورك»[١٠] فيه قولان.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (أصلا) زائدة فى (جـ).

(٥) الآية رقم (٤٠) من سورة الكهف مكية.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) الآية رقم (٣٧) من سورة آل عمران مدنية.

(٨) الآية رقم (٢٥) من سورة مريم مكية.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش مقابله، لكنه غير واضح فى التصوير.

(١٠) تقدمت ترجمته.

ومما جاء فى إثبات كرامة الأولياء من الأحاديث الصحيحة ما جاء فى الصحيح عن النبى ﷺ ، أنه قال: «لم يتكلم فى المهد إلاّ ثلاث: عيسى ابن مريم، وصبى فى زمان جريج، وصبى آخر»(١).

* فأما عيسى فقد عرفتموه.

* وأما جريج فراهب نسب إليه ولد زنا، فأنطق الله تعالى الصبى فقال: أبى فلان الراعى.

فبرأ(٢) جريج منه.

* وأما الآخر: فصبى كان يرضع فى حجر أمه، فمر بها شاب جميل ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله.

فقال الصبى: اللهم لا تجعلنى مثله، لأنه جبار من الجبارة.

ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها زنت وسرقت.

فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها(٣).

فقال الصبى: اللهم اجعلنى مثلها، لأنها لم تزن ولم تسرق.

[ومن ذلك حديث الغار، وهو مشهور فى الصحاح وانفتاحه بدعاء الثلاثة بعد انطباق الصخرة على بابه، وهو طويل لم نشرحه(٤)](٥).

[وقال النبى ﷺ : «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت البقرة إليه وقالت: إنى لم أُخلق لهذا، إنما خُلقت للحرث».

فقال الناس: سبحان الله(٦).

---

(١) حديث: (لم يتكلم فى المهد إلاّ ثلاث: عيسى ابن مريم، وصبى فى زمان جريج، وصبى آخر).
الحديث طويل، انظره فى جامع الأحاديث للسيوطى حديث رقم (١٧٤٠٦) ٥/ ٣٤١.
وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، واتفق عليه الشيخان عن أبى هريرة.
وانظر الحديث رقم (١٧٤٠٧) ٥/ ٣٤١.

(٢) فى (جـ): (فبرىء).
(٣) فى (جـ): (هذه).

(٤) حديث الغار وانفتاحه بدعاء الثلاثة.

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش (جـ).

(٦) حديث: (بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت إليه وقالت: لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث).

فقال النبى ﷺ : «آمنت بهذا، وكذا أبو بكر وعمر»[١]، وهذا حديث صحيح.

ومن ذلك حديث «أويس القرنى»[٢] وما شاهد «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه من حاله وقصته، وهو مشهور، فتركنا شرحه.

وروى عن «ابن عمر»[٣] رضي الله عنهما، أنه كان فى بعض الأسفار، فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع، فطرد السبع عنهم، ثم قال: إنما يُسلط على ابن آدم من يخاف، ولو أنه لم يخف غير الله لما سُلط عليه شىء، وهذا أثر مشهور.

وقد ظهر من السلف من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الكرامات ما بلغ حدَّ الاستفاضة.

ورُوى: أن النبى ﷺ بعث «علاء بن الحضرمى»[٤] فى غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله سبحانه وتعالى باسمه الأعظم فمشوا على الماء.

ورُوى: أن «عتاب بن بشر»[٥] و «أسيد بن حضير»[٦] خرجا من عند رسول الله ﷺ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (أويس القرنى) قيل: هو أويس بن عامر، وقيل: ابن عمرو القرنى، المرادى، من بنى قرن، خير التابعين وسيد العباد، والأولياء، روى عن عمر وعلى ـ صدوق، ثقة، انتظره عمر وعلى رضي الله عنهما عشر سنين حتى لقياه، لحديث الرسول ﷺ عنه، وإعطاؤهما وصفه، فلما لقياه سلما عليه.
واختلفوا فى وفاته، انظر الكواكب الدرية للمناوى ١/ ١٥٢، الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٢٤، والشفا للقاضى عياض بتحقيقنا (تحت الطبع).

(٣) (عبد الله بن عمر) وتقدمت ترجمته.

(٤) (العلاء بن الحضرمى) هو: العلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمى، من رجال الفتوح فى صدر الإسلام، أصله من حضر موت، سكن أبوه مكة فولد بها العلاء ونشأ، ولاه رسول الله ﷺ البحرين، وتوفى ﷺ وهو عليها، فأقره أبو بكر رضي الله عنه فى خلافته كلها عليها، ثم أقره عمر.
وتوفى فى خلافة عمر سنه ١٤هـ، وقيل: إنه توفى سنه ١١هـ.
انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ٤٤، انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٨٣، ص ٢٨٤.

(٥) (عتاب بن بشر) لعله قصد (عتاب بن أسيد) بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى، يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد.
صحابى، من أشراف العرب فى صدر الإسلام، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبى ﷺ على مكة عام الفتح حين خروجه إلى حنين، فأقام للناس فى الحج تلك السنة، وهى سنه ٨ هـ، ولم يزل عتاب أميراً على مكة حتى قبض رسول الله ﷺ فأقره أبو بكر الصديق عليها، فاستمر فيها إلى أن مات سنة ١٣هـ، وقيل: مات هو وأبو بكر فى يوم واحد.
انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ٤٣، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٣.

(٦) (أسيد بن الحضير) هو: أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن رافع الأوسى الأنصارى، يكنى أبا يحيى.

ليلاً، فأضاءت لهما عصا أحدهما كالسراج فمشيا فى ضوئها، فلما افترقت بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه[١].

ورُوى: أنه كانت بين يدى سلمان[٢]، وأبى الدرداء[٣] قصعة فسبحت، وسمعا تسبيحها.

واتفق أهل «تُسْتَرْ» على أن السباع كانت تأتى إلى «سهل بن عبد الله التسترى»[٤] فيدخلها بيته ويضيفها باللحم ثم يخرجها.

وقال «أبو الحسن البصرى»[٥]: كان بعبادان فقير أسود يأوى الخراب، فحملت معى شيئًا وطلبته، فلما وقعت عينه علىّ تبسم وأشار بيده إلى الأرض، فرأيت الأرض كلها ذهبًا يلمع، ثم قال: هات ما معك.

فناولته، وهالنى أمره فهربت.

وحُكى: عن «النورى»[٦] أنه خرج ليلة إلى شط دجلة فالتقى طرفاها له، فقال: وعِزّتك لا أجوز إلا فى زورق، ثم رجع.

وقال «لبايزيد»: إن فلانا يمشى إلى مكة فى ليلة.

فقال: الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق إلى المغرب[٧].

= صحابى، كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام، شهد العقبة الثانية، وشهد أحُدًا فجرح سبع جراحات، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس عنه.
توفى سنه ٢٠هـ.
روى له الشيخان ١٨ حديثًا.
انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطينى ص ٤٨.

(١) حديث: أن عتاب بن أسيد، وأسيد بن الحضير خرجا من عند رسول الله ﷺ فأضاءت لهما عصا أحدهما كالسراج).

(٢) هو (سلمان الفارسى) تقدمت ترجمته.

(٣) (أبو الدرداء) هو: عويمر بن مالك، ويقال: عويمر بن زيد، أو ابن عامر، من بلحارث بن الخزرج، وكان آخر أهل داره إسلامًا، وكان قبل إسلامه تاجرًا.
ومات بالشام سنه ٣٢هـ.
كان عارفًا متفكرًا، داوم على العلم استباقا وفتح له نفسه وفهمه.
انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٨، والكواكب الدرية ١/ ٨٠، والإصابة الترجمة رقم (٦١١٩).

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته، وهو أبو الحسين النورى. (٧) حتى هنا سقط من النسخة (جـ).

قال «سهل بن عبد الله»[١] : أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقا مذمومًا من أخلاقك.

وحُكى: أن «أبا[٢] عمران الواسطى»[٣] أنه قال: انكسرت السفينة فبقيت أنا وزوجتى على لوح، فاشتكت إلىَّ العطش، فقلت: الحال كما ترين، ثم رفعت رأسى، فإذا رجل جالس فى الهواء وبيده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر فدلاه إلىَّ وقال: اشربا.

فأخذت الكوز وشربنا منه شرابا أطيب من المسك، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل.

فقلت له: من أنت؟ يرحمك الله.

فقال: عبد لمولاك.

فقلت: فبم[٤] وصلت إلى هذا؟.

فقال: تركت هواى لرضاه فأجلسنى فى الهواء، ثم غاب عنى.

[وقال «ذو النون»[٥]: كنت فى سفينة فسُرقت قطيفة فاتهموا بها رجلاً رث الحال.

فقلت لهم: دعوه حتى أرفق به.

فدنوت منه وهو نائم فى عباءة، فأخرج رأسه منها فقلت له فى ذلك المعنى.

فقال لى: تقول هذا، أقسمت عليك يا رب أن لا تدع واحداً من الحيتان إلاّ جاء بجوهرة.

قال: فرأينا وجه الماء كله حيتانا فى أفواهها جواهر.

ثم ألقى نفسه فى البحر، ومر إلى الساحل.

وعن «آدم ابن إياس»[٦] قال: كنا «بعسقلان» وبها شاب يقعد ويخالطنا، فقال يومًا: أريد الأسكندرية، وودَّعنا.

فخرجت معه، وناولته دريهمات، فأبى أن يأخذها، فألححت عليه، فألقى كفًا من

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) فى (جـ): (عن أبى).
(٣) (أبو عمران الواسطى).

(٤) فى (جـ): (ما).
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) (آدم بن إياس).

الرمل في ركوته، واستقى من ماء البحر فيها، ثم ناولني وقال: اشرب، فشربت فإذا هو سويق وسكر.

فقال: من كان حاله مع الله هكذا فكيف يحتاج إلى دراهمك؟.

وقيل: إن «معروفًا الكرخي»[١] كان يأتي في الليل من بغداد إلى مكة فيطوف بها ثم يرجع في ليلته.

وقيل: كان «حبيب العجمي»[٢] يُرى بالبصرة يوم التروية، ويوم عرفة بعرفات.

وقيل: كان «الفضيل»[٣] على جبل مِنًى فقال: لو أن وليًا لله أمر الجبل أن يميد لماد، فتحرك الجبل.

فقال له: اسكن، لم أُرِدْ إلاَّ ضرب المثل.

وقيل: كان «عامر بن عبد قيس»[٤] يأخذ عطاءه ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئًا، فكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدراهم، فيكون ما أخذ لم ينقص منها شيئًا.

وقيل: إن «واصل الأحدب»[٥] قرأ قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٦].

فقال: رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض، والله لا أطلبه أبدًا.

فدخل خربة ومكث يومين فلم يأته شيء، فاشتد ذلك عليه، فلما كان في اليوم الثالث إذا بدوخلة[٧] رطب قد سقطت عليه، وكان له أخ فجاء وجلس عنده على تلك النيَّة أيضًا، فصار الساقط دوخلتين، ولم تزل تلك حالهما حتى ماتا.

---

(١) (معروف الكرخي) هو: أبو محفوظ، معروف بن فيروز الكرخي، من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع، والفتوة، مجاب الدعوة، كان الناس يستقون بقبره، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، صحب داود الطائي، مات ببغداد ودفن بها سنة (٢٠٠هـ) كانت له أقوال مشهورة في طريق القوم منها: لولا إخراج الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات.

انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٦١، نفحات الأنس للجامي ص ٩٣، طبقات الصوفية ص٨٣.

(٢) (حبيب العجمي) هو: أبو محمد حبيب الفارسي العجمي، كان من أبناء الملوك فصار من أهل السلوك، تصدق في بداية حاله بأربعين ألف دينار، وله وقائع وكرامات شهيرة، وكان يُرى بالبصرة يوم التروية، وبعرفة عشية عرفة، ونزل بأهل البصرة قحط فاشترى طعامًا ووزعه على المساكين.

انظر الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٩٦.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) في النسختين: (عامر بن قيس) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الترجمة له.

(٥) (واصل الأحدب) هو: واصل بن حيان الأحدب.

(٦) الآية رقم (٢٢) من سورة الذاريات مكية. (٧) الدوخلة: البِطْنَة، انظر اللسان مادة (دخل).

وقال بعضهم: أشرفت على «إبراهيم بن أدهم»[١] وهو فى بستان يحفظه، وقد أخذه النوم، فإذا حية فى فمها طاقة نرجس تروحه بها.

وقال إبراهيم بن بكر بن عبد الرحمن[٢]: كنا مع ذى النون[٣] فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان، فقال: ما أطيب هذا المقام لو كان فيه رطب، فتبسَّم ذو النون وحرَّك الشجرة ودعا فتساقطت رطبًا جنيًا، فأكلنا حتى شبعنا، ثم نمنا فانتبهنا فحركناها فنثرت علينا شوكًا.

وكان «أبو سعيد الخراز»[٤] يمشى على ساحل البحر متوجهًا إلى صيد فرأى شابًا حسن الصورة، وبيده ركوة ومحبرة، وعليه مرقعة، فنظر إليه أبو سعيد منكرًا عليه حمل المحبرة وقال له:

كيف الطريق إلى الله تعالى؟.

فقال: يا أبا سعيد، أعرف إليه طريقين:

طريقًا عامًا، وهو الذى أنت عليه.

وطريقًا خاصًا، وهو هذا، فهلم إليه.

ومشى على وجه البحر حتى غاب.

وقال «حاتم الأسود»[٥]: كنت مع «إبراهيم الخواص»[٦] فى البرية فبتنا عند الشجرة فجاء السبع فصعدت الشجرة، وبقيت فيها إلى الصباح، لم يأخذنى نوم، والسبع يسمر إبراهيم من رأسه إلى قدمه زمانًا، ثم تركه ومضى.

فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد قرية فقرصته بقَّة فى وجهه، فأنَّ من وجعها.

فقلت له: هذا عجب .. البارحة لم تجزع من الأسد، والليلة تقلق من البق.

فقال: تلك حالة كنت فيها بالله، وهذه حالة أنا فيها[٧] بنفسى][٨].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (إبراهيم بن بكر بن عبد الرحمن) لم أقف له على ترجمة.

(٣) فى (جـ): (ذا النون) وتقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (حاتم الأسود) ربما قصد حاتم الأصم، وتقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (د): (أنا فيه).

(٨) حتى هنا ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

وقال «سليمان الداراني»(١): خرج «عامر بن عبد قيس»(٢) إلى الشام ومعه ركوة(٣) إذا شاء صب منها ماء يتوضأ به(٤) للصلاة، وإذا شاء صب منها لبنا يشربه.

وقيل: كان أبو معاوية بن الأسود(٥) قد ذهب بصره، فإذا أراد أن يقرأ في المصحف فتحه فرد الله عليه بصره، فإذا فرغ كف بصره.

[وقال(٦) «أحمد بن الهيثم(٧)»: رأيت بشر الحافي(٨) يمشي على الماء، فسألته الدعاء لي، فدعا لي، ثم قال: استر عليَّ، فما ذكرت ذلك حتى مات، رحمه الله.

وقيل: كان «أبو تراب النخشبي»(٩) مع أصحابه في طريق مكة، فعطش بعض أصحابه، فضرب الشيخ برجله الأرض فانفجرت منها عين ماء زلال.

فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدح.

فضرب الشيخ بيده إلى الأرض فناوله قدحًا من زجاج أبيض كالبللور، فشرب وسقى أصحابه، وما زال القدح معهم إلى مكة.

وجاء جماعة من أصحاب «عبد الواحد بن زيد»(١٠) فشكوا إليه الضائقة والفاقة، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) في (د): (شكوة) والركوة: إناء صغير من الجلد يُشرب فيه الماء (انظر اللسان مادة: ركا.

(٤) في (د): (إلى).

(٥) (أبو معاوية بن الأسود) وفي (جـ): (أبو معونة بن الأسود) والصحيح الأول، كما ورد في حلية الأولياء ٨/ ٢٧١، قال عنه أبو نعيم في الحلية: ومنهم: المُعرض عن الأرذل، والباحث على الأفضل اليمان، أبو معاوية الأسود.

وحكى رواية قال: غزا أبو معاوية الأسود فحصر المسلمون حصنًا به علج لا يرمي حجرًا لإنسان إلا أصابه، فشكوا إلى أبي معاوية فقرأ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

انظر بقية القصة وغيرها في حلية الأولياء ٨/ ٢٧١ وما بعدها.

(٦) من هنا سقط من (جـ) حتى نهاية هذا الباب.

(٧) (احمد بن الهثيم) لم أقف على ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته. (٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) (عبد الواحد بن زيد) أدرك الحسن البصري، وتوفي رحمه الله ؟؟؟؟، وكانت له أقوال ومواقف هامة في الزهد.

ومن أقواله: أحسن أحوال العبد مع الله موافقته، فإن أبقاه في الدنيا لطاعته كان أحب إليه، وإن أخذه كان أحب إليه.

انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٣٩.

أوليائك، وتلهمه الصفا من أحبائك، أن تأتينا برزق من عندك، نقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء، فأنت الحنان المنان القديم الإحسان.

فتناثرت عليهم من السقف دراهم ودنانير، فقسم بينهم ولم يأخذ منها شيئا.

وقال «إبراهيم بن سنان»(١): صحبنى شاب حسن الإرادة، فمات، واشتغل قلبى جداً وتوليت غسله، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها منى وناولنى يمينه.

وقال «أبو يعقوب النهرجورى»(٢): كنت بمكة فجاءنى فقير ومعه دينار.

فقال: إذا كان فإنى أموت فجهزنى بهذا الدينار.

فتعجبت من قوله، فلما كان من الغد جاء ثم مضى وتمدد ومات، فجهزته كما أمرنى.

ويُحكى عن على بن سهل الأصفهانى(٣) أنه قال: ترون أنى أموت كموت الناس مرض وعيادة، إنما أُدعَى فأجيب.

فكان يمشى يوما فقال: لبَّيك.

ومات.

وقال «أبو حاتم الأسود»(٤): كنت مع «إبراهيم الخواص»(٥) بالبادية سبعة أيام طاوياً فضعفت.

فقال: أيما أشهى إليك: الماء أو الطعام؟.

فقلت: الماء.

فقال: الماء وراءك.

فالتفتُّ، فإذا خلفى عين ماء كاللبن الحليب، فشربت منه وتطهرت، وإبراهيم ينظر إلىَّ، ولم يقربه هو.

---

(١) (إبراهيم بن سنان) وربما قصد إبراهيم بن شيبان الذى تقدمت ترجمته.

(٢) (أبو يعقوب النهرجُورى) من الطبقة الرابعة كما عدّه الجامى فى نفحات الأنس، واسمه: إسحاق ابن محمد، من علماء المشايخ، صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكى، وكان من تلامذة أبى يعقوب السوسى.

توفى، رحمه الله، سنة ٣٣٠هـ.

كان يقول: الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والتقوى مركب، والناس على سفر.

انظر: نفحات الأنس للجامى ص ٤٤٩، انظر: الرسالة القشيرية ص ٣٩.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت الإشارة إليه.

(٥) تقدمت ترجمته.

فلما أردت القيام دنوت لأتزود منه فقال: أمسك فإنه ليس مما يتزود منه.

ومن المشهور أن «عبد الله الوزَّان»[١] كان مقعداً، وكان إذا ظهر به فى السماء وجده قام.

وقال إبراهيم الخوَّاص[٢]: كنت بالبادية مرة فقلت على ماء تحت شجرة، فإذا بسبع عظيم قد أقبل، فلما قرب منى رأيته تعرج فحمحم وبرك ين يدىَّ ووضع يده فى حجرى، فنظرت فإذا يده منتفخة وفيها قيح ودم، فأخذت عوداً وفجرتها وشددت عليها خرقة، فقام ومضى، فإذا به بعد ساعة قد أقبل ومعه شبلان يبصبصان لى ومعهما رغيف فوضعاه بين يدى.

وقيل: كان «أبو عبد الله الديلمى»[٣] إذا نزل منزلاً فى السفر قال لحماره فى أذنه: كنت أريد أن أشدَّك فتركتك لترعى فى هذه الصحراء فاذهب.

وإذا أردنا الرحيل جىء.

وقال «عبد الله بن خفيف»[٤]: دخلت بغداد قاصداً الحج وفى رأسى نخوة الصوفية ولم آكل الخبز أربعين يومًا، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب إلى أن بلغت ذبالة، وكنت على طهارتى، فرأيت ظبيا على رأس البئر، وهو يشرب منها، وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ذهب الظبى فغار الماء إلى أسفل البئر، فمضيت فقلت: يا سيدى، فحالى محل هذا الظبى.

فسمعت هاتفا يقول: جربناك فوجدناك ما تصبر، ارجع واشرب الماء، فرجت فإذا البئر ملىء، فملأت ركوتى، وشربت ومضيت، وباقى الماء فيها، فما زلت أشرب منه، وأتوضأ وهو لا يفرغ، حتى بلغت المدينة، ولما استقيت سمعت هاتفًا يقول:

الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت بهما.

فلما رجعت من الحج دخلت المسجد الجامع، فأول ما رآنى[٥] الجنيد[٦] قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك.

---

(١) (عبد الله الوزان).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (أبو عبد الله الديلمى).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) فى (د): (ما أرانى).

(٦) تقدمت ترجمته.

وقال «أبو الحسن القراضى»[1]: زرت «أبو الخيـر التينانى»[2] فلما ودَّعتـه خرج معى إلى باب المسجد وقال: يا أبا الحسن، أنا أعلـم أنك لا تحمل معك معلومًا، ولكن احمل هاتين التفاحتين.

فأخـذتهما ووضـعتهمـا فى جيبى وسـرت، فلم يُفتح لى بشىء ثلاثة أيام، فـأخرجت واحدة منهما فأكلتـها، ثم أردت أن أخرج الأخرى فأراهما جميعـًا فى جيبى، فكنت آكلهما وتعودان، هكذا إلى باب الموصل، فقلت فى نفسى: إنهما تفسدان علىَّ حال توكّلى إذا صارتا معلومًـا، فأخرجتهمـا من جيبى مرة فنظرت فإذا فـقير ملفوف بعباءة يقـول: أشتهى تفاحة.

فناولته إياهما، فلما عبرت عنه وقع لى أن الشيخ إنما بعـثهما إليه، فرجعت إلى الفقير فلم أجده.

وفى هذا الباب من جنس هـذه الحكايات أضعاف مـا ذكرت، ولكنا اقتـصرنا على هذا القدر خوفًا من التطويل][3].

---

(١) (أبو الحسن القراضى) لعله القلانسى الذى تقدمت ترجمته.

(٢) (أبو الخير التيناتى) هو: أبو الخير الأقطع التيناتى، سكن التينات، من المغرب أصله، صحب أبا عبـد الله بن الجلاء، وغيره من المـشايخ، كان أوحد فى طـريقته فى التوكل، وكـان يأنس إليه السباع والهوام، وكان حاد الفراسة.

مات سنه ٣٤٩هـ.

انظر: السلمى: طبقات الصوفية ٣٧٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧.

(٣) حتى هنا سقط من (جـ).

الباب السادس والخمسون

فى المنامات(١)

قال الله تعالى: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾(٢).

قيل: هى الرؤيا الصالحة، يراها بالرجل أو تُرى له.

كذا رُوى عن رسول الله ﷺ(٣): «الرؤيا من الله تعالى، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ فإنها لم تضره(٤)»(٥).

وقال ﷺ: «من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى»(٦).

واعلم أن الـرؤيا(٧) الصادقـة نوع من أنواع الكرامـات، وحقـيقتـها خـواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور فى الوهم.

---

(١) فى (جـ): (فى رؤيا القوم).

(٢) الآية رقم (٦٤) من سورة يونس مكية.

(٣) فى (جـ): (وقال: عليه السلام) زائدة.

(٤) فى (جـ): (فليتعوذ فإنها لن تضرنا).

(٥) حديث: (الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان).

انظر الحديث الذى أورده السيوطى برقم (١٢٦٧٣) ٤/ ٢٥١.

وهو حديث طويل، وتكملتـه: «فإن رأى أحدكم شيئًا يكـرهه فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليسـتعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه».

والحديث رواه ابن ماجه عن أبى قتادة.

(٦) حديث: (من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان. . .).

رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام البخارى فى صحـيحه، والإمام الترمذى فى جامعه، كلهم عن أنس رضي الله عنه.

انظر الحديث الذي أورده السيوطى فى جامعه رقم (٢٠٦٤٨) ٦/ ١٦٠، والحديث رقم (٢٠٦٤٧) ٦/ ١٥٩.

(٧) فى (د): (رؤيا).

وهى: تارة تكون من قبل الشيطان.

وتارة من هواجس النفس.

وتارة بإلهام الملك.

وتارة تعريفًا من الله تعالى بخلق تلك الأشياء فى القلب بغير واسطة.

والنوم على أقسام(١):

نوم غفلة وعادة، وهو مذموم لأنه أخ(٢) الموت.

كذا روى فى بعض الأخبار.

وإليه أشار الله تعالى بقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾(٤).

وقيل: لو كان فى النوم خيراً لكان فى الجنة نوم.

[وقيل: لما قال إبراهيم، عليه السلام، لإسماعيل، عليهم السلام: ﴿ إِنِّى أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾(٥).

هذا جزاء من نام عن حبيبه، لو لم تنم ما أُمرت بذلك](٦).

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود، عليه السلام: كذب من ادَّعى محبتى ونام عنى إذا جنَّ الليل.

وقال الشبلى(٧): نعسة فى ألف سنة فضيحة.

وقال أيضًا(٨): اطلع الحق علىَّ فقال: من نام غفل، ومن غفل حجب.

فكان الشبلى بعد ذلك يكتحل بالملح حتى لا ينام.

وقيل له: إن كنت حاضراً فلا تنم، لأن النوم فى الحضرة سوء أدب، فإن كنت غائبًا فأنت من أهل الحسرة، فتكون فى مصيبة، والمصاب لا يأخذه النوم.

---

(١) فى (جـ): (على ثلاثة أقسام).

(٢) فى (جـ): (أخوا).

(٣) الآية رقم (٦٠) من سورة الأنعام مكية.

(٤) الآية رقم (٤٢) من سورة الزمر مكية.

(٥) الآية رقم (١٠٢) من سورة الصافات مكية.

(٦) ما بينهما سقط من (جـ) وصحح بالهامش.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) مكررة فى (جـ)، (د) أى (الشبلى).

وأمَّا أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله تعالى عليهم.

وإن الله تعالى يباهي بالعبد إذا نام في سجـوده، فيقول للملائكة: انظروا إلى عبدي، روحـه عندي، وجسـده بين يدي، يعني: روحـه في مـحل النجـوى، وبدنه على بسـاط العبادة.

وقيل: كل من نام على طهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله.

وقيل: لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصي.

ويقول: متى يتنبه حتى يعصى الله تعالى.

وقيل: كيف لا يستحي العبد أن ينام ومولاه لا ينام.

وقال بعضهم: النوم أفضل من اليقظة، من جهة أن النائم لا يعصى الله تعالى في حال نومه، وأنه محل لرؤية النبـي ﷺ والصحابة والأولياء وغيرهـم، وربما يرى الحق تعالى في النوم، وتلك منزلة عظيمة.

وقال الكتّاني[١]: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: ادع الله تعالى أن لا يميت قلبي.

فقال: قل كل يوم أربعين مرة: «يا حيّ يا قيوم لا إله إلاّ أنت».

ورأى[٢] «الحسن بن علي»[٣]، رضي الله عنهما عيسى عليه السلام في النوم.

فقال له: إني أريد أن أتخذ خاتمًا فما الذي أكتب عليه.

فقال: اكتب عليه لا إله إلاّ الله الملك الحق المبين.

فإنه آخر الإنجيل.

وقيل: رأى[٤] «أحمد بن حضرويه»[٥] ربه في المنام.

فقال له: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني إلاّ بايزيد[٦] فإنه يطلبني.

وقيل: دخـل «الحسن البـصري»[٧] مسـجدًا ليصلي المـغرب فوجـد إمامهم «حـبيب العجمي»[٨] فلم يصلّ خلفه، خوفًا من اللحن، فـرأى تلك الليلة في المنام قائلا يقول له: لو صليت خلفه لغُفِر لك ما تقدم من ذنبك.

ورُئِي[٩] «مالك بن أنس»[١٠] في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟.

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) في (جـ): (وروى).
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) في (جـ): (إن أحمد رأى).
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) في (جـ)، (د): (وروى).
(١٠) تقدمت ترجمته.

فقال: غفر لى بكلمة حفظتها من «عثمان بن عفان»[1] ﷺ كان يقول عند رؤية الجنازة: سبحان الحى الذى لا يموت.

ورُئِى[2] «الجنيد»[3] فى النوم فقيل له: ما فعل بالله بك؟.

فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقول بالغدوات.

وقال «ابن الجلاء»[4]: دخلت المدينة وبى فاقة فرأيت النبى ﷺ فأعطانى رغيفًا فأكلت نصفه، وانتبهت وفى يدى نصفه.

وقيل: رأى «أيوب السختيانى»[5] جنازة عاصٍ فدخل دهليز دار لئلا يصلى عليه[6]، فرأى ذلك الميت فى المنام.

فقال له[7]: ما فعل الله تعالى بك؟.

فقال: غفر لى، وقال: قل لأبى أيوب السختيانى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى﴾[8].

قال الإمام «القشيرى»[9]: رأيت الأستاذ «أبو على الدقاق»[10] فى النوم.

فقلت له: ما فعل الله بك؟.

فقال: ليس للمغفرة عنده كبير خطر، أقل من حضر هنا[11] أعطاه كذا وكذا.

قال الإمام «القشيرى»: ووقع لى أن ذلك الشخص الذى عناه الأستاذ قتل نفسًا بغير حق.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) فى (جـ)، (د): (وروى).

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (أيوب السختيانى) هو: أيوب بن أبى تميمة كيسان، يكنى أبا بكر، وهو مولى بنى عمار بن شداد، وكان عمار مولى لعنزة، فهو مولى مولى، قيل: إنه فتى الفتيان وسيد العباد والزهاد، كان إذا ذُكر الحديث بكى حتى يرحمه من حضر، حج أربعين سنة.

وتوفى، رحمه الله، سنة ١٣١هـ.

انظر المعارف لابن قتيبة ص ٤٧١، الكواكب الدرية ١/ ١٦٤، وانظر الطبقات الصوفية ص ٤٥٢.

(٦) فى (جـ): (عليها). (٧) فى (د): (فقيل له).

(٨) الآية رقم (١٠٠) من سورة الإسراء مكية.

(٩) تقدمت ترجمته. (١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) فى (جـ): (حضر هنا خطرًا).

قال «أبو بكر الرشيدى» الفقيه[١] : رأيت محمداً الطوسى فى المنام فقلت له: ألك حاجة؟.

قال: فقل «لأبى سعيد الصفّار»[٢]:

وَكُنَّا عَلَى أَلاَّ نَحُولَ عَنِ الهَوَى
فَقُلْ وَحَيَاةُ الحُبِّ حُلْتُمْ وَمَا حُلْنا
لَعَلَّ الَّذِى يَقْضِى الأُمُورَ بِعِلْمِهِ
سَيَجْمَعُنا بَعْدَ المَمَاتِ كَمَا كُنَّا[٣]

قال فانتبهت وقلت لأبى سعيد ذلك، فقال لى: كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة.

[وقيل[٤]: رُئى[٥] «الأوزاعى»[٦] فى المنام فقال: ما رأيت هنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين.

وقيل: رُئى[٧] «أبو سليمان الدارانى»[٨] فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟.

فقال: غفر الله لى، وما كان علىَّ شىء أضرَّ من إشارات القوم.

ورُئى[٩] «الشبلى» فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟.

فقال: ناقشنى حتى أيست، فلما رأى إياسى تغمدنى برحمته.

وهذا كما قال بعضهم، وقد قيل له: ما فعل الله تعالى؟.

[فقال[١٠]: حاسبوا فدققوا ثم منُّوا فأعتقوا][١١].

---

(١) (الفقيه أبو بكر الرشيدى) لم أقف على ترجمته.

(٢) (أبو سعيد الصفار) لم أقف على ترجمته.

(٣) البيتان فى (جـ) وسقطا من (د).

(٤) من هنا سقط من (جـ) حتى نهاية الباب.

(٥) فى (د): (رأى).

(٦) (الأوزاعى) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، منسوب إلى الأوزاع، بطن من ذي الكلاع، وقيل: بطن من همدان، وقيل غير ذلك، انظر المغنى ٢/ ٤٢٩.

(٧) فى (د): (رأى).

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) فى (د): (رأى).

(١٠) سقطت: (د).

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

الباب السابع والخمسون

فى أحوال أهل الحقيقة عند الموت

اعلم أن أحـوالهم عند الموت مـختلفـة، فمنهـم من يغلب عليه الهـيبـة، ومنهم من [يغلب][(١)] عليـه الرجاء، ومنهم مـن يُكشف له فى تلك الحـال عمـا يوجب له السكوت، وجميل الثقة، فكان الشبلى[(٢)] طول ليلة خروجه من الدنيا يكرر هذين البيتين:

إنَّ بيـــتًـــا أنْتَ سَـــاكِـنُهُ
غَـيْـرَ مُحْـتَـاجٍ إلى السُّـرُجِ
وَجْهُكَ المَـأمُولُ[(٣)] حُجَّـتُنا
يَوْمَ يَأتِـى النَّاسُ بالـحُـجَجِ

وقيل[(٤)] «لبشر الحافى»[(٥)] وقد احتضر:

كأنك تحب الحياة.

فقال: القدوم على الله تعالى شديد.

وقيل: فتح «عبد الله بن المبارك»[(٦)] عينيه عند وفاته، وضحك وقال:

فـ ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾[(٧)].

[وقيل[(٨)] لـ «ذى النون المصرى»[(٩)] عند وفاته: ما تشتهى؟.

فقال: أن أعرفه قبل موتى بلحظة.

---

(١) سقط من (جـ).
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) فى (د): (وجهل المالول).
(٤) فى (جـ): (وقال).
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) الآية رقم (٦١) من سورة الصافات مكية.
(٨) من هنا سقط من (جـ) حتى نهاية الباب.
(٩) تقدمت ترجمته.

وقال بعضهم: كنت عند «ممشاد الدينورى»(١) عند وفاته.

فقيل له: لا إله إلاّ الله.

فحول وجهه إلى الجدار وقال: أفنيت كلى بكلك، هذا جزاء من يحبك.

وقيل للشبلى(٢) عند وفاته: لا إله إلاّ الله.

فأنشد وقال:

سُلْطَانُ حُبِّـه أنـا لا أقْـبَلُ الرِّشَـا
فـاسْألُوهُ فِـدَيْتُه لِمَ يَقْـتُلنى تَحَرُّشَـا

وقال «أبو عمرو الإصطخرى»(٣): رأيت «أبا تراب التخشبى»(٤) فى البادية قائمًا ميتًا لا يمسكه شيء.

وقال «أبو على الروزبادى»(٥): دخلت مصر فـرأيت الناس يقولون: كنا فى جنازة فتًى سمع قائلا يقول:

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمعَتْ فِى أنْ يَرَاكَ
وَمَـا حَسْـبُ العَيْنِ أنْ تَـرى قَدْرَكَـا

فشهق شهقة ومات.

وقيل: كان سبب «ثابت بن البنان»(٦) أنه ورد على قلبه وارد فهـام على وجهه ودخل تيه بنى إسرائيل فوقف فى الرمل قال: أربع فهذا مربع الأحباب، وخرجت روحه.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (أبو عمرو الاصطخرى) لم أقف على ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (أبو على الروذبارى) هو: أبو على أحمد بـن محمد الروذبارى، بغدادى، أقام بمـصر وتوفى بها سنة ٣٢٢هـ، صحب الجنيد والنورى، وابن الجلاء، من أطرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة.
انظر الرسالة القشيرية (٢٨).

(٦) (ثابت البنان) هو: ثابت بن أسد البنانى، وفى رواية: ثابت بن أسلم البنانى، وهى الصحيحة، قيل: إنه توفى سنه ١٢٧هـ، وقيـل: قبل ذلك، كان متعبـدًا معروفًا بكثرة صـلاته، وكان يقول: التصوف: حفظ الحرمة، ومداومة الخدمة.
انظر الكواكب الدرية ١/ ١٧٤، وانظر الطبقات الكبرى للشـعرانى ١/ ٣٠، وانظر هامش طبقات الصوفية للسلمى ص ٢٠٧.

وقال «أبو سعيد الخراز»[١] : إذا كنت بمكة فجزت يومًا بباب «بنى شـيبة» فرأيت شابًا حسن الصورة ميتًـا، فنظرت فى وجهه فتبسم فقال: يا أبا سعيـد أعلمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا، وإنما يُنقلون من دار إلى دار][٢].

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حتى هنا سقط من (جـ).

الباب الثامن والخمسون

فى حفظ قلوب المشايخ وترك مخالفتهم

قال الله تعالى، فى قصة موسى مع الخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(١).

لما أراد الصحبة، حفظ شروط الأدب فاستأذن فيها أولاً.

فشرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شىء بقوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ﴾(٣).

ولما خالفه تجاوز عنه فى المرة الأولى والثانية، فلما انتهى إلى الثالثة، وهى أول مراتب الكثرة، سامه(٤) الفرقة بقوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾(٥).

وقال النبى ﷺ: «ما أكرم شاب شيخًا لسنّه إلاّ قيض الله له من يكرمه عند كبر سنّه»(٦).

وقال المشايخ: عقوق الأستاذ لا توبة له.

وقال «أبو سهل الصعلوكى»(٧): من قال لاستاذه: لِمَ، لا يفلح.

---

(١) الآية رقم (٦٦) من سورة الكهف مكية.

(٢) فى (جـ): (الآن) زائدة.

(٣) الآية رقم (٧٠) من سورة الكهف مكية.

(٤) فى (د): (سامعه).

(٥) الآية رقم (٧٨) من سورة الكهف مكية.

(٦) حديث: (ما أكرم شاب شيخًا لسنّه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه).

رواه الترمذى عن أنس ﷺ، كما أورده السيوطى فى جامعه حديث رقم (١٨٤٥٧) ٥/ ٥٢٨.

(٧) تقدمت ترجمته.

وقال: إن «شقيقًا البلخى» و «أبا تراب النخشبى»[١] قدِما على بايزيد[٢] وعنده شاب يخدمه، فحضر الطعام فقالا للشاب: كل معنا.

فقال: أنا صائم.

فقال له أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر، فأبى.

فقال له شقيق: كُل ولك أجر صوم سنة، فأبى.

فقال لهما بايزيد: دعوا من سقط[٣] من عين الله.

فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد السنة، وقطعت يده.

وقيل: ما استصغر أحدٌ أحدًا إلاّ حُرِم فائدته.

[وقال[٤] الإمام القشيرى[٥]: لم أدخل على الأستاذ «أبى علىّ»[٦] فى ابتداء حالى إلاّ صائمًا مغتسلا، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة، وأرجع من الباب احتشامًا له، وإذا تجاسرت مرة ودخلت، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصيبنى شبه حذر حتى لو غرزت فى عبرة لعلى كنت لا أحس بها، فإذا قعدت لأسأله عن واقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله، بل كان هو يبتدئ بشرح واقعتى، كما أقعد، وغير مرة جرى منه هذا عيانًا ولم يخطر ببالى مدّة ترددى إليه اعتراض عليه فى شىء إلى أن أخرج من الدنيا][٧].

---

(١) تقدمت ترجمتهما.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سقطت من (د).

(٤) من هنا سقط من (جـ) حتى نهاية الباب.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) ما بين المعقوفتين حتى هنا سقط من (جـ)

الباب التاسع والخمسون

فى وصيــــة المريـــــد

اعلم أن أول قدم للمريد[١] فى هذا الطريق: ينبغى أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح، فإن المشايخ قالوا: إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول[٢].

قال الإمام القشيرى[٣]: ويقبح[٤] بالمريد الانتساب إلى مذهب من ليس من أهل هذه الطريق، لأن الناس إمَّا أصحاب النقل والأثر، وإمَّا أرباب العقول والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، والذى للناس غيوب فلهم ظهور، والذى لغيرهم من المعارف مقصود فلهم من الله موجود، فهم أصل الوصال، والناس أهل الاستدلال.

كما قيل:

لَيْلِى بوجهك مشرقٌ
وَظَلامُهُ فى النَّاسِ سَارِى
النَّاس فى سُدَفِ الظَّلامِ
وَنَحْنُ فِى ضَوْءِ النَّهَارِ

ولم يكن فى عصر من الأعصار الإسلامية شيخ من شيوخ هذه الطريقة إلاَّ وأئمة ذلك العصر من العلماء يتواضعون له، ويتبركون به، ويتقدمون [به][٥] على أنفسهم، ولولا مرتبته واختصاصه لكان الأمر بالعكس.

---

(١) فى (د) (للمريدين).

(٢) فى (جـ) (اصول).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) فى (جـ) (ويفتح).

(٥) ما بينهما من المحقق للسياق.

[ورُوى(١) أن «أحمد بن حنبل»(٢)، وكان جالسًا عند الشافعى(٣) الشيبانُ الراعى(٤)، فقال أحمد: أريد أن أنبِّه هذا على نقصان عمله ليشتغل ببعض العلوم.

فقال له الشافعى: لا تفعل.

فلم يقبل، فقال للشيبان: ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى يوم وليلة، ولا يدرى أىّ الخمس، ماذا يصنع؟.

فقال شيبان: يا أحمد، هذا قلب غفل عن ذكر الله تعالى، وينبغى أن يؤدب حتى لا يعود إلى غفلة.

فغُشى على أحمد.

فلما أفاق قال له الشافعى: ألم أقل لك: لا تتعرض له.

وشيبان الراعى هذا كان أميًا.

فإذا كان حال الأمّى منهم، هذا فما ظنُّك بأئمتهم](٥).

ويجب على المريد بعد صدق عزمه، ونيته أن يحصل من علم الشرع بالحفظ أو بالسؤال ما يؤدى به فرضه، فإن اختلفت عليه(٦) فتاوى الفقهاء أخذ بالأحوط، ويقصد أبدًا الخروج عن الخلاف، ويحذر الرخص فإنها للضعفاء، وأهل الحوائج، والأشغال.

وأهل هذه الطريقة لا شغل لهم سوى القيام بحقه سبحانه وتعالى.

ويجب عليه أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ [لا يفلح أبدًا.

قال «أبو يزيد» من لم يكن له أستاذ](٧) فإمامه الشيطان.

وقال الأستاذ «أبو علىٍّ الدقاق»(٨): الشجر إذا نبت بنفسه، ولم ينبته أحد يورق ولا يُثمر، كذلك المريد، إذا لم يكن له أستاذ يتخرج ولا يجىء منه شىء.

---

(١) من هنا سقط من (جـ) ومصحح بالهامش.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (شيبان الراعى) هو: محمد بن عبد الله، المعروف بشيبان الراعى، كان من رءوس الزهاد، وأكابر العارفين الأمجاد، وكان فائقًا فى المجاهدة، وله أحوال ساميات وكرامات ظاهرات، وهذه القصة وغيرها انظرها فى الكواكب الدرية للمناوى ١/ ٢٢٥.

ومن المعلوم أنه مات بمصر ودفن بالقرافة.

(٥) حتى هنا سقط من (جـ). (٦) فى (د): (به).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٨) تقدمت ترجمته.

وكان، رحمه الله، يقول: أخذت هذا الطريق عن النصراباذى[1]، وهو عن الشبلى[2]، وهو عن الجنيد[3]، وهو عن السرّى[4]، وهو عن معروف الكرخى[5]، وهو عن داود الطائى[6]، وداود الطائى لقى التابعين.

ثم إذا أراد السلوك بعد تحصيل هذه الشروط فليتب من كل زلة سراً وجهراً، ويجتهد فى إرضاء خصومه أولاً، ومن لم يرض خصومه لا يُفتح له من هذه الطريقة شىء، هذا طريق القوم[7].

ثم بعد ذلك يسعى فى قطع العلائق[8] والشواغل، فإن فراغ[9] القلب أصل فى الطريق.

وأولها: الخروج عن المال، فهو الصد[10] عن الحق، ولم يوجد مريد دخل فى الطريق، ومعه علاقة من الدنيا إلاّ عاد عن قريب بسببها إلى ما كان فيه.

وثانيها[11]: فإذا خرج عن المال فليخرج بعده عن الجاه أيضًا، فإنه قاطع عظيم، فما لم يستو عند المريد إقبال الخلق وإعراضهم لا يفلح، فمتى توقع إقبالهم عليه، أو تبركهم به، أو شهرته بالزهد لم تصح له إرادة.

وثالثها: ثم يلتزم مع الله تعالى، وأن لا يخالف شيخه فى كل ما يشير عليه به، ولا

---

(١) (النصراباذى) هو: أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن محمويه، شيخ خراسان، النصراباذى، نيسابورى الأصل والمنشأ والمولد، صحب أبا بكر الشبلى، وأبا على الروذبارى، وأبا محمد المرتعش وغيرهم، أقام بنيسابور ثم خرج للحج فى آخر عمره إلى مكة، وحج سنة ٣٣٦هـ، وأقام بالحرم مجاوراً.

ومات سنة ٣٦٧ هـ.

كان ثقة فى كتابة الحديث وروايته.

انظر: طبقات الصوفية للسلمى ص ٤٨٤، وانظر: الرسالة القشيرية ص ٣٢، وانظر: النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٩، وانظر: الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ١٠٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) فى (د): (طريق العام).

(٨) فى (د): (الخلائق).

(٩) فى (د): (شواغل) وهى تحريف فى النص.

(١٠) فى (د): (الصادق) وهى تحريف أيضًا.

(١١) هذه الأرقام من المحقق، لترتيب المعانى فى النفس لدى القارئ.

يتعرض بقلبه فى شىء، ومتى خطر ببال المريد أن له قدرًا أو قيمة، أو فى الأرض أحدًا دونه لم تصح له إرادة.

ورابعها: وأن يكون اجتهاده ليعرف ربَّه، لا ليزيد قدره، وفرق بين من يريد الله تعالى، وبين من يريد جاهًا فى الدنيا، أو فى الآخرة.

وخامسها: ثم يجب عليه حفظ سره عن دره لا عن شيخه، وإن كتم نَفَسًا من أنفاسه فقد خانه فى صحبته، فإن وقع فى خاطره مخالفة شيخه فيما أشار به فينبغى أن يُقر له بذلك فى وقته، ويتمثل ما يأمره به من سفر أو أمر شاق، كل ذلك عقوبة له على خطور الخيانة والمخالفة بباله.

وسادسها: ولا يجوز للمشايخ التجاور عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى ولا يجوز أن يلقنوا المريد شيئًا من الأذكار ما لم يتجرد عن كل علاقة.

ويشهد قلب الشيخ له بذلك، فإذا شهد له بقلبه بصحة العزم، وقطع العلائق، ورأى دلائل ذلك منه شرَطَ عليه الرضا بما يجرى عليه، فى هذه الطريق، من تصاريف القضاء كالذل، والضر، والفقر، والأسقام، والآلام، وترك الرخص عند الفاقة والضرورة، ومجانبة الراحة والكسل فإنه سبب للوقفة والفترة.

والفرق بين الفترة والوقفة: أن الفترة خروج عن الإرادة بالكلية.

والوقفة سكون عن السير باستطابة الراحة والكسل.

وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لا يجىء منه شىء، وإذا جربه الشيخ وبدأ فى تلقينه الذكر، يختار له من الأذكار ما يراه ويأمره بذكر ذلك الاسم بلسانه، ثم بقلبه، ويقول له: إن أمكنك ألا يجرى على لسانك غير هذا الاسم فافعل، ويأمره بأن يكون أبدًا على الطهارة.

وسابعها: ألا يكون نومه إلاَّ على غلبة، ويقلل غذاءه[1] بالتدريج، شيئًا بعد شىء حتى يقوى على الجوع، ولا يترك عادته بأمره[2]، ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة، ويأمره بالاجتهاد فى صرف خواطر السوء عنه، فى خلوته، فإنه قَلَّ ما يخلو المريد فى ابتدائه فى حال خلوته من ذلك، لا سيما إذا كان ذكيا كيِّسا، فإنه يتوسوس فى الاعتقاد كثيرًا، وهو من الامتحانات للمريد، فإن قدر الشيخ أن يدفع عنه ذلك بالأدلة العقلية فعل، فإن العلم يقطع ذلك، وإن توسم فيه قوة وثباتًا فى الطريق أمره بالصبر، واستدامة الذكر حتى

---

(١) فى (جـ): (غذاؤه). (٢) فى (د): (بمره).

تسطع(١) فى قلبه أنوار القبول، وتشرف(٢) شموس الوصول، وعن قريب يكون ذلك، وهذا النوع من المريدين قليل، بل الغالب منهم إنما يرجعون بعلم الأصول.

وثامنها: ومن فرائض حال المريد الإقامة فى موضع إرادته، وترك السفر حتى يقوى في الطريق، فإن السفر له قبل ذلك سُمٌّ قاتل، وهذا فى حق مريد يُرجى له الوصول.

وأمَّا(٣) من لا يرجى له الوصول فالسفر أليق به، بل هو واجب، لأن الإقامة ربما تريحهم، فتعينهم على الشهوات والمعاصى، وهؤلاء غايتهم حجٌّ يُحصِّلونه، أو زيارة مكان شريف، أو شيخ يتبركون به أو يخدمونه خدمة ظاهرة، وحصول هذه الغاية لهم(٤) فى الأسفار أقرب.

وتاسعها: وينبغى فى ابتدائه أن يكون أبداً فى قيد إيصال الراحة، ويكون خصماً للفقراء على نفسه، لا خصما لنفسه عليهم، ويرى لكل أحد عليه حقًا واجبًا(٥).

ويجب أن لا يخالف أحداً، وإن علم أن الحق معه سكت، ويطلب الموافقة لكل أحد، وكل مريد يكون فيه محل وفادات(٦) فإنه لا يجيء منه شيء، وإذا كان مع جمع فى سفر أو حضر فينبغى أن يوافقهم فى الأكل والصوم والسكون والحركة بظاهرة.

وأما باطنه فيكون مع الله تعالى محفوظًا على ما يجب، وإذا كان صائمًا وأشاروا إليه بالأكل فليأكل لقمة أو لقمتين، ولا يطيع الشهوة فى الأكل.

وعاشرها: وليس من آداب المريد كثرة الأوراد بالظاهر فإنه مشغول بتبديل الأخلاق ونفى الغفلة عن القلب، بل يقتصر على الفرائض والسنن الراتبة، فإذا فرغ من ذلك وأراد التنفّل فاستدامة الذكر بالقلب له أتم من كل ذلك.

وحادى عشر: ورأس مال المريد الاحتمال من كل أحد بطيبة نفس، وتلقى ما يجرى بالرضا والصبر على الفقر والضر، وترك السؤال والاعتراض فى القليل والكثير ما هو حظ له، ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق.

ثانى عشر: فإذا أدام المريد الذكر، ولازم الخلوة فوجد فيها شيئًا ناقضًا للعادة من خطاب يسمع أو معنى يشاهد فينبغى أن لا يشتغل بذلك ألبتة، ولا يسكن إليه ولا ينبغى أن ينتظر حصول ذلك، فإن ذلك كله شاغل عن الحق تعالى، ولا بد له إذا رأى ذلك أن

---

(١) فى (د): (تطلع).
(٢) فى (د): (وشرف).
(٣) فى (جـ): (فأمَّا).
(٤) سقط من (جـ).
(٥) فى (جـ): (على أحد).
(٦) فى (جـ): (مماراة).

يصفه لشيخه ليتفرغ قلبه منه، ويجب على الشيخ أن يكتم سرّه، ويصون عن غيره أمره، ويصغر ذلك فى عينيه.

فإن ذلك كله اختيار وامتحان، والسكون إليه مكر فليحذره المريد، وليجعل همته فوق ذلك.

وأضر الأشياء بالمريد أن يقع فى خاطره أن ذلك من تقريب الحق له واصطفائه وتخصيصه إياه بذلك، وتحقيق ذلك بأكثر مما ذكرناه يتعذر إيداعه فى هذا[1] الكتاب.

* ومن حُكم المريد: إذا لم يكن فى موضعه من يؤدبه أن يهاجر إلى من نُصّب فى وقته لإرشاد المريدين، ثم يقيم عنده إلى وقت الإذن.

* ومن حكم المريد: إذا زار شيخًا الدخول عليه بالحرمة والحشمة، فإن أهَّله الشيخ لشىء من الخدمة عدَّ ذلك من جزيل النعمة، ولا ينبغى له أن يعتقد فى المشايخ العصمة، بل يذرهم وأحوالهم، فيحسن الظن بهم، ويراعى مع الله حدوده فيما يتوجه عليه، وكل مريد بقى شىء من عروض الدنيا فى قلبه أثر فاسم الإرادة له مجاز، وإذا بقى له اختيار فيما يريد أن يخرجه من ملكه [فإذا][2] أراد أن يخص به نوعًا من أنواع البر، أو شخصًا دون شخص فهو متكلف فى حاله، وربما عاد إلى الدنيا عن قريب.

وينبغى أن يكون قصد المريد فى حذف الخلائق الخروج منها لا السعى فى أعمال البر، وقبول قلوب المشايخ للمريد أدل شىء على سعادته، وأصدق شاهد، ومن ردّه قلب شيخ من المشايخ فإنه يرى غب ذلك لا محالة، ولو بعد حين، ومن نزل حرمة الشيخ فقد أظهر رقم[3] شقاوته وذلك لا يخطئ.

ومن أصعب الآفات فى هذا الطريق:

صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله تعالى بشىء من ذلك، فبإجماع الشيوخ، ذلك عبدٌ أهانه الله تعالى وخذله، وعن نفسه شغله، ولو بألف كرامة أهله.

وأصعب من ذلك، تهوين ذلك واعتقاده أنه يسير.

قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[4].

[قال[5] «الواسطى»[6]: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأقذار والجيف.

(١) فى (د): (فى الكتب). (٢) ما بينهما زيادة من (جـ). (٣) أى (قدر).
(٤) الآية رقم (١٥) من سورة النور مدنية.
(٥) من هنا سقط من (جـ) ومصحح بهامش النسخة. (٦) تقدمت ترجمته.

وقال «فتح الموصلي»(١): صحبت ثلاثين شيخًا، كانوا يُعَدُّون من الأبدال كلهم، أوصوني عند فراقي لهم فقالوا: اتقوا معاشرة الأحداث.

ومن ارتقى في هذا الباب عن حلل الفسق، وأشار إلى أن ذلك من بذل الأرواح، وأنه لا يضر، فما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد، وما يوردونه من الحكايات عن الشيوخ ما كان الأولى بهم ستره وإخفاءه، فهو نظير الشرك وقرين الكفر، فليحذر المريد مجالسة الأحداث ومخالطتهم، فإن اليسير منهم فتح باب الخذلان وبدد حال الهجران، ونعوذ بالله من قضاء السوء](٢).

ومن آفات المريد: حسده الخفي للإخوان على ما خصهم الله تعالى من المقامات والأحوال التي ليس له مثلها، وإنما يتخلص من ذلك باكتفائه بوجود الحق، وقِدَمه عن جوده(٣).

وكل من يرى أنه الحق رفع رتبته فعليه أن يحمل غاشيته، فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت طريقتهم وسنتهم لعلمهم أن ذلك من قسمة الله تعالى.

[ومن حكمه(٤): إذا وقع في جمع إيثار الكل بالكل فيتقدم الجائع والشبعان على نفسه، ويتلمذ لكل من أظهر لكل من أظهر عليه المشيخة، وإن كان هو أعلم فيه، ولا يصل إلى ذلك إلاّ بتبرئته عن قوته وحوله وتوصيله إلى ذلك بحول الحق ومنته.

وأمَّا آدابه في السماع: فلا يتحرك فيه اختيار البتة، ومتى تحرك غلبة وقهرًا ثم زال ذلك القهر، وجب عليه القعود والسكون بحاله، وإن أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك بإشارته فلا بأس به إذا كان ممن يحكم على أمثاله.

وبالجملة فالحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك، مريدًا كان أو شيخًا، فإن أشار إليه الفقراء بالمساعدة في الحركة ساعدهم بالقيام وبادر في ما لا بد منه مراعاة لقلوبهم، ودفعًا لاستيحاشهم.

ثم إن صدقه في حاله يمنع قلوبهم من سؤالهم.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش.

(٣) في (جـ): (جوده).

والصحيح: (مقتضى وجوده) كما ذُكر في الرسالة القشيرية، والمؤلف هنا يعتمد كثيرًا على الرسالة دون أن يشير أحيانًا، كما في هذا الباب.

(٤) من هنا سقط من (جـ).

ثانيا: وأمَّا طرح الخرقة فحق المريد أن لا يرجع فى شىء خرج عنه ألبتة، إلاّ إذا أشار الشيخ عليه بالرجوع فيه، فيأخذه بنيّة العارية بقلبه، ثم يخرج عنه بعد ذلك، من غير إيحاش قلب ذلك الشيخ، فإن حضر مع قوم عادتهم طرح الخرق والرجوع فيها.

فإن لم يكن فيه شيخ يجب حرمته وحشمته، وكانت طريق هذا المريد أن لا يعود فالأحسن أن يساعدهم فى الطرح ثم يؤثر به القوال إذا راجعوهم.

وله أن لا يطرح ولا يسلم للمريد البتة الاقتراح على القّوال، لأنه إن كان صادقًا فصدق حاله يحمل القوال على التكرار، ويحمل غيره على طلب التكرار، ومن تبرك بمريد فقد جاد عليه، لأنه يضره لقلة قدرته.

وإن ابتُلى مريد بجاه أو معلوم، أو صحبة حدث أو ميل إلى المرأة، واعتماد على معلوم، وليس عنده شيخ يدله على حيلة يتخلص بها من ذلك، جار له السفر تشويشًا لتلك الحال، ولا شىء أضر للمريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود[١] بشريتهم][٢].

ومن آداب المريد: أن لا يسبق علمه منازلته ومعاملته.

* ولهذا قال المشايخ: إذا حدَّث العارف عن العارف فجهِّلوه.

ومن غلب علمه على منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك.

* ومن شأنه إذا كان طريقه خدمة الفقراء الصبر على جفائهم، وأن يعتقد بذل روحه فى خدمتهم ثم لا يحمدون له فعلا فيعتذر أبدًا من[٣] تقصيره، ويقر[٤] على نفسه بالجناية، وإن كان بريئًا، تطييبًا لقلوبهم.

وقال «الإمام القشيرى»[٥]: سمعت الإمام أبا بكر بن فورك[٦] يقول: إذا لم تتصبر[٧] على المطرقة لما[٨] صرت سندانًا.

وبناء هذا الطريق وملاكه حفظ آداب الشريعة، وصون النفس عن الحرام والشبهات

---

(١) غير واضحة فى النسخة (د) واستأنست بالرسالة القشيرية فى ذلك.
(٢) حتى هنا سقط من (جـ).
(٣) فى (جـ): (بدون).
(٤) فى (جـ): (ويقر له).
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) فى (جـ): (تصبر).
(٨) فى (جـ): (لماذا).

وحفظ الحواس عنها، وعــدُّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، وأن لا يستـحيل سمة[١] فيها شبهة عند الضرورة، فكيف عند الاختيار.

* ومن شأنه دوام المجاهدة[٢] فى ترك الشبهات[٣]، وأقبح الخصال هو رجوع المريد إلى شهرة تركها لله تعالى.

* ومن شأنه حفظ ما عـاهد الله عليه، فإن الرجوع عن ذلك كـالردة عند القوم، ولا ينبغى له أن يعـاهد الله تعالى على شىء اخـتياراً خـوفًا من ذلك، فإن من لوازم الشـرع ما يستنفذ كل وسع وطاقة [إذا حقق معرفة ذلك.

قال الله تعـالى فى صفة قـوم التزموا أشـياء من عبـادته ثم لم يعرفـوا بها: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[٤] الآية[٥].

* ومن شأنه قصر الأمل، فإن الفقير ابن وقته، ومتى كان له أمل لا يصل أبداً.

* ومن شأنه أن لا يكون[٦] له معلوم، وإن قل، لا سـيما إذا كان بين الفـقراء، فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت.

* ومن شأنه ترك قبوله النـسوان ورفقتهن، لا مـحالة، والتباعد عن أبـناء الدنيا، فإن صحبتهم سُمٌّ مجرب، لأنهم ينتفعون به، وهو يتضرر بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[٧].

فالزهاد يخرجون المال من الكيس تقربًا إلى الله تعـالى وأهل المعرفة يخرجون الخلق والمخلـوقات من قلوبهم اكـتفاء بالله تعـالى عمـا سواه: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٨]][٩].

---

(١) فى (د): (سمينة).
(٢) فى (د): (المشاهدة).
(٣) فى (د): (الشهوات).
(٤) الآية رقم (٣٧) من سورة الحديد مدنية.
(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بهامشها.
(٦) فى (جـ): (معه).
(٧) الآية رقم (٢٨) من سورة الكهف مدنية.
(٨) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام مدنية.
(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش.

الباب الستون(١)

فى ألفاظ أهل الحقيقة واصطلاحاتهم

اعلم أن أهل الحقيقة اصطلحوا على ألفاظ معـروفة بينهم وقصدوا بذلك ستر معانيهم على غير جنسهم، غيرةً منهم على وصولها إلى غير أهلها.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٢).

فمنها الوقت:

هو عندهم تارة بمعنى الزمان الحاضر، الذى هو واسطة بين الماضى والمستقبل.

ومنه قولهم: الصوفى ابن وقته.

يعنون أنه مشتغل بما هو أولى به فى الحال.

وتارة بمعنى ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم.

ومنه قولهم: فلان بحكم الوقت.

يعنون أنه مستسلم بمـا يبدو من الغيب من غير(٣) اختياره، وهذا إنما يكون(٤) فيما لا حكم فيه من جهة الشرع.

فأمَّـا ما فيه حكم من جـهته فإنـه تضييعـه، وإحالة الحكم فيـه على المقادير تقصـير وخروج عن الدين.

قال الأستاذ(٥): وقتك ما أنت به، إن كنـت بالدنيا فوقتك بالدنيا، وإن كـنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن.

---

(١) فى (جـ) (التاسع والخمسون).

(٢) الآية رقم (٢٦) من سورة المطففين مكية.

(٣) سقطت من (جـ).

(٤) سقطت من (د).

(٥) أى: (أبو على الدقاق) كما فى (جـ).
وانظر الرسالة القشيرية نفس المصطلح (الوقت).

أراد بالوقت ما كان غالبًا على الإنسان.

وأمَّا قولهم: الوقت سيف.

يعنون أنه غالب عليهم بما يجريه الله تعالى من قضائه وقدره، كما أن السيف غالب يقطعه.

[وقيل: معناه أن السيف لين متنه، قاطع حدُّه، فمن لاينَهُ سَلِمَ، ومَنْ خاشنه اصطلم.

وكذلك الوقت: من استسلم بحكمه نجا، ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى.

وأنشدوا:

وكالسيف إن لاينْتَه لاَنَ مَتْنُهُ
وحدَّاه إنْ خاشَنْتَه خَشِنَان

وقيل: معناه لا دوام له، فأدرك فيه أمانيك، ولا تدعه يمضي عنك خاليًا، وكن حاكمًا على وقتك لا محكومًا عليه بوقته][1].

وقيل: الكيِّس من كان بحكم وقته.

فإن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة.

وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة.

ومن غير الصحو والمحو للصوفي أوقات تساعده، وأوقات تناكده، فمن ساعده الوقت فهو له، ومن ناكده الوقت فهو له مقت.

وعليك بمراقبة الوقت: فإن كان بسْطًا فالزم فيه الأدب، وإن كان قبضًا فالزم فيه السكون والسكينة إلى أن ينقضي.

(١) حتى هنا سقط من (جـ).

ومنها المقام:

(بفتح الميم).

وهو ما يتحقق العـبد بمنازلته من الآداب[١] مما يتوصل إليه[٢] بنوع تصرف، ويتحقق به بضـرب تطلب، ومقـاساة تكلف، فـمقـام كل أحد مـوضع إقامـته عند ذلك، ومـا هو مشتغل[٣] بالرياضة له.

وشرطه: أن لا يرتقى[٤] من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوفِ أحكام ذلك المقام.

* فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل.

* ومن لا توكل له لا يصح له التسليم.

* ومن لا توبة[٥] له لا تصح له الإنابة.

* ومن لا ورع له لا يصح له الزهد.

وقيل: المقام هو حالة إقامة وظائف العبودية بكسب واختيار.

واعلم أنه لا يصح لأحد منازلة مقـام إلا بشهود أقامَهُ الله تعـالى إيَّاه فى ذلك المقام، ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة.

---

(١) فى (د): (الأدب).

(٢) سقطت من (د).

(٣) فى (جـ): (مستعمل).

(٤) فى (د): (ينتقل).

(٥) فى (د): (من لا ترجه).

ومنها الحـــال:

وهو عندهم معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب، أو قبض، أو بسط، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو اهتياج.

فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب.

والأحوال تأتى من عين الجود.

والمقامات تحصل ببذل المجهود[١].

فصاحب المقام ممكَّن فى مقامه.

وصاحب الحال مرقّى عن حاله.

وقال المشايخ: الأحوال كالبروق، فإن[٢] بقيت فحديث نفس.

وقالوا أيضًا: الحال كاسمها.

يعنون أنها تحلُّ فى القلب، ثم تحول.

[وأنشدوا فى ذلك:

لو لم تحُل مَا سُـمِّيتْ حَـالا
وكُلُّ مَـا حَـالا فَـقَـدْ زَالا
انظُـر إلى الفَىء إذَا مَـا انتَـهى
يأخُـذُ فِـى النَّقْـصِ إذَا طَالاَ][٣]

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها.

وقالوا: إذا لم تبق ولم تدم فهى لوائح، وبواده[٤].

وإذا دامت كانت أحوالاً.

وهذا صحيح ويؤيده ما رُوى عن «أبى عثمان الحيرى»[٥] أنه قال:

منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حالة فكرهتها.

---

(١) فى (د): (الوجود).

(٢) سقطت من (جـ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

(٤) فى (د): (بوادٍ) وفى (جـ): (بوادر) والصحيح ما أثبتناه.

(٥) تقدمت ترجمته.

أشار بذلك إلى دوام الرضى، والرضى من جملة الأحوال.

فالأحوال، وإن دامت، لكن صاحبها أبدًا يكون فى الترقّى من حالة إلى حالة أعلى منها، فالدوام باعتبار جنس الأحوال والزوال باعتبار عين الحال.

وبذلك فسّر «أبو على الدقاق»[1] قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة»[2].

لأنه ﷺ كان أبدًا فى الترقى من أحواله، فإذا ارتقى من حالة إلى أعلى منها، رأى فى الأولى نقصًا بالنسبة إلى الثانية فاستغفر وهلمّ جرًا.

وعلى هذا المعنى يحمل قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين[3].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حديث: (إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله سبعين مرة).

الحديث رواه الإمام مسلم، والامام أحمد، وأبو داود، والنسائى، عن الأوزاعى.

انظر الحديث رقم (٦٦٢) من كشف الخفاء ١/ ٢١٧.

وفيها: «وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة».

(٣) يوردها المؤلفون حينًا على أنها حديث، وحينًا آخر على أنها من قول الصوفية، والصحيح أنها من قول الصوفية المتقدمين.

ومنها القبض والبسط:

وهما حالتان بعد ترقِّي العبد عن حالة الخوف والرجاء.

والقبض للعارف كالخوف للمستأنف.

والبسط للعارف كالرجاء للمستأنف.

والفرق بينهما: أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب، والقبض والبسط بأمر حاضر فى الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبى(١).

ثم كل واحد من القبض والبسط قد يكون تاما كاملاً، وقد يكون ناقصًا قاصراً.

فالقبض التام: هو وارد غيبى قوى، كأنه يعاتب على تقصير أو سوء أدب، كالمخاطب بما لا تحتمل النفس أثقاله فيستغرق العارف فى ذلك حتى تنسد عليه أبواب التنفس.

والقبض الناقص: وارد غيبى ضعيف كأنه يخاطب العارف بما تحتمله قوته، فلا يبقى مسلوبًا بالكلية.

والبسط التام: وارد غيبى [قوى](٢) كأنه يخصه بتشريف وإقبال ولطف وسرور، فيجذبه بالكلية حتى يبقى مدهوشًا فى بسطه كأنه قد حلّ عنه عقال الموانع، وأطلق فى ميادين الاتصال(٣)، وكوشف فى رياض الجمال والجلال لقوة الوارد.

والبسط الناقص: وارد غيبى ضعيف يؤثر فى العارف سرورًا ونشاطا وارتياحًا تأثيرًا [يبقى فيه بقية يتصرف بها فى نفسه، وغيره قد يؤثر فيه البسط تأثيرًا](٤) كليًا لقوته واستيلاء سلطان العناية الأزلية على قلبه.

وبسط كل(٥) على حسب قبضه، وقبضه على حسب بسطه.

وقد يحدث قبض لا يعرف سببه، وعلاجه التسليم حتى يذهب ذلك الوقت لأن تكلُّف رفعه يُخلّ بالأدب، ويزيد فى ذلك القبض وبالتسليم يزول عن قريب.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾(٦).

---

(١) فى (جـ): (الغيبى).

(٢) سقط من (د).

(٣) فى (جـ): (الإفضال).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٥) فى (جـ): كل شخص.

(٦) الآية رقم (٢٤٥) من سورة البقرة مدنية.

وقد يحدث بَسْطٌ بغتة لا يعرف سببه فيهز صاحبه ويستفزّه وسبيل[١] صاحبه السكون والمراقبة وحفظ الأدب، فإن حالة البسط لها خطر عظيم، فليحذر صاحبها مكراً خفيّاً يحجبه عن مقامه.

كما قال بعضهم: فُتح عليَّ باب من البسط فزللت زلة فحُجبت عن مقامي.

ولهذا قالوا: قف على البساط، وإيَّاك والانبساط.

وقد استعاذ أهل التحقيق من حالتى القبض والبسط لأنهما بالنسبة إلى ما فوقهما من الأحوال فقرُّوا وصبروا[٢].

وقال «الجنيد»[٣] رحمه الله:

الخوف يقبضنى...

والرجاء يبسطنى...

والحقيقة تجمعنى...

والحق يفرقنى...

---

(١) فى (جـ): (سبيار).

(٢) فى (جـ): (فقروض).

(٣) تقدمت ترجمته.

ومنها الهيبة والأنس:

وهما حالتان فوق القبض والبسط، كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء.

والهيبة: مقتضاها الغيبة والدهش، فكل هائب غائب، حتى لو قطع قطعًا لم يحضر من غيبته إلاّ بزوال الهيبة عنه.

والأُنس: مقتضاه الصحو والإفاقة، ثم إنهم يتفاوتون فى الهيبة وفى الأنس.

[وقيل: أدنى مراتب الأنس أنه لو ألقى فى لظى لم يتكدر عليه أُنسه.

وقال: «الجنيد»[١]: سمعت السرى[٢] يقول: يبلغ العبد من الهـيبة والأنس إلى حدٍّ لو ضرب وجهة بالسيف لم يشعر.

وكان فى قلبى من ذلك شيء حتى بان لى أن الأمر كذلك.

واعلم أن الأنس يتولد من السرور بالله استوحش من كل شيء سواه][٣].

[وقيل[٤] لبعضهم: متى يذوق العبد حلاوة الأنس.

فقال: إذا قطع العلائق ورفض الخلائق، وغاص فى الحقائق مطّلعًا على الدقائق.

وقال الأصمعى[٥]: مررت بأعرابية فى كوخ.

فقلت لها: من يؤنسك هنا؟.

فقالت: الذى يؤنس الموتى فى القبور.

[فقلت][٦]: فمن أين تأكلين؟.

قالت: يطعمنى مطعم الدودة وهى أصغر منى.

وقال «الشبلى»[٧]: من استأنس بالله استوحش من خلقه.

ومن استوحش من خلقه صار فردًا بين يديه.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حتى هنا سقط من (جـ) ومصحح بالهامش بخط ضعيف جدا.

(٤) ومن هنا سقط من النسخة (جـ) حتى نهاية الكلام عن الهيبة والأنس، أى نهاية هذا الفصل.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) سقطت من (د) وتطلبها السياق.

(٧) تقدمت ترجمته.

وحالتا الهيبة والأنس، وإن جلّتا، فأهل الحقيقة يعدونهما نقصًا لتضمنهما تغير العبد، فإن أهل التمكين سميت أحوالهم عن التغيير، فلهم كمال المحو فى وجرد العين، فلا هيبة لهم ولا أنس، ولا علم، ولا حس، وارتقاؤهم من هذا المقام بالوجود.

وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وحُكىَ عن «أبى سعيد الخراز»[1] أنه قال: تُهتُ فى البادية مرةً فكنت أقول: .

أَتِيـــهُ فَـــلا أَدْرِى مِنَ التِّـــيـــهِ مَنْ أَنَا
سِـوَى مَا يَقُـولُ النَّاسُ فِىَّ وَفِى جِنْسِى
أَتِيــهُ عَـلَى جِنٍّ البِـــلادِ وَإِنْـســـهـــا
فَإِنْ لَمْ أَجِـدْ شَخْـصًا أَتِيهُ عَلَـى نَفْسِى

فهتف بى هاتف يقول:

أَيَا مَنْ يَرَى الأَسْبَـــابَ أَعْلَى وجُـودِه
وَيَفْـــرَحُ بالـتِّــيـــهِ الدَّنِىِّ وبـالأُنْسِ
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْـلِ الوُجُودِ حَـقِـيـقَـةً
لَغِبْتَ عَنِ الأَكْـوَانِ وَالعَرْشِ والكُرْسِى
وَكُنْـتَ بِلاَ حَـــالٍ مَـعَ اللهِ وَاقِــفًـــا
خَلِيًـا عَنَ التَّـذْكَـارِ للجنِّ والإنسِ][2]

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حتى هنا سقط من (جـ) كل هذا!.

ومنها: التواجد والوجد والوجود:

فالتواجد: استدعاء الوجد تكلُّفا بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفة ليست موجودة كالتغافل، والتجاهل، ونحوهما.

وقد أنكره قوم لما فيه من التكلُّف والتصنع والبعد عن حقيقة الأمر.

وأجازه قوم لمن[١] يقصد به تحصيل الوجد، وهو[٢] مستعد بخرقته، ورقته، وحزنه، وأصله قوله ﷺ: «إن لم تبكوا فتباكوا»[٣].

وأراد به التباكى ممن هو مستعد للبكاء بما ذكرنا، لا تباكى الغافل اللاهى.

والوجد: ما[٤] يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلّف ولا تصنع.

وقيل: هو السماع ممن هو فان عن أحوال البشرية.

وقيل: هو بروق تلمع[٥]، ثم تُخمد، ثم تبدو، ثم تُخفى[٦] فما أحلاها[٧] ولو بقيت على صاحبها طرفة عين.

كما قيل: خطرة فى القلب منه[٨] خطرة البرق انبرى[٩] ثم اضمحل.

والوجود: فقدان العبد بحاق[١٠] أوصاف البشرية، ووجود الحق، لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة.

وهذا[١١] قول معنى «أبى الحسين النورى»[١٢]: أنا منذ عشرين سنة بين الوجود[١٣] والفقد، إذا وجدت ربى فقدت قلبى، وإذا وجدت قلبى فقدت ربى.

---

(١) فى (جـ): (لأن) وهى صحيحة بمعنى (حتى).

(٢) سقط من (جـ).

(٣) حديث: (إن لم تبكوا فتباكوا) سبقت الإشارة إليه.

(٤) (ما) سقطت من (جـ).

(٥) فى (جـ): (يروق ويلمع).

(٦) فى (جـ): (اخفى).

(٧) فى (جـ): (أحلاها ولو فتح) زيادة.

(٨) فى (جـ): (خطرت) زائدة.

(٩) فى (جـ): (أى بدعه).

(١٠) غير واضحة فى (جـ)، (د).

(١١) فى (جـ:) (معنى قول).

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) فى (جـ): (الوجد).

وهو أيضا معنى قول «الجنيد»[١] : علم التوحيد مباين لوجوده، ووجود التوحيد مباين لعلمه.

وأنشـــد:

وجُـودِى أنْ أَغِـيبَ عِنَ الوُجُـودِ
بِمـا يَبْـدُو عَلىَّ مِنَ الـشُّـهُـودِ

فالتواجد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما.

وقال «أبو على الدقاق»[٢] :

التواجد: يوجب استيعاب المريد.

والوجد: يوجب استغراقه.

والوجود: يوجب استهلاكه.

فهو: كمن شهد البحر، ثم ركبه، ثم غرق فيه، وهلك.

وترتيب هذا الأمر:

تصـور، ثم ورود، ثم شـهـود، ثم وجـود، ثم خمـود، وبمـقـدار الوجـود يكون الخمود[٣].

ولصاحب الوجود صحو ومحو.

فحالُ صحوه بقاؤه بالحق.

وحال محوه فناؤه بالحق.

وهاتان الحالتان أبدًا متعاقبتان[٤] عليه.

فإذا غلب عليه الصـحو بالحق فبه يصول، وبه يقـول، كما جاء فى الخبر المـشهور: «فبى يسمع وبى يبصر»[٥].

وقال رجل للشبلى[٦]: هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين؟.

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) فى (جـ): (جمود) وهى بالجيم لم ترد فى كتب الصوفية، أما بالخاء فأمر ضرورى.
(٤) فى (د): (متعاقبان).
(٥) انظر تخريج الحديث.
(٦) تقدمت ترجمته.

فقال: نعم، هو نور يزهر مقادنا[١] لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل آثاره.

كما قال «ابن المعتز»[٢]:

وَأَمْطَرَ الكَأْسُ مَـاءً مِنْ أَبَارِقَـةٍ
فَـأَنْبَتَ الدُّرَّ فِي أَرْضٍ مِـنَ الذَّهَبِ[٣]
وسبَّح[٤] القوم لـمَّا أن[٥] رأوا عجبًا
نوراً[٦] من المـاءِ فى نارٍ من اللهبِ[٧]

وإذا غلب[٨] عليه المحو، فلا علم، ولا عقل، ولا فهم، ولا حس.

[كما رُوى مسنداً أن «أبا عقال المغربى»[٩] أقام بمكة أربع سنين ولم يأكل، ولم يشرب إلى أن مات، وكان يسلم عليه خاص أصحابه فلم يعرفه حتى يُعَرِّفَه نفسه، ثم يغيب عنه الشيخ، حتى لو عاود الفتى بالكلام لم يعرفه الشيخ][١٠].

ومنهم: من يعود إلى الصحو حال أداء الفرائض فقط.

وتُسمَّى هذه الحالة الفَرْق الثانى[١١].

وسيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى.

---

(١) فى (جـ): (مقارنا).

(٢) (ابن المعتز).

(٣) فى (د): (من ذهب).

(٤) فى (جـ): (ويسبح) وهى تكسر الوزن.

(٥) (أن) سقطت من (د).

(٦) فى (د): (ونورا) وهى تكسر الوزن.

(٧) فى (د) الغيب، وفى (جـ): (الهب).

(٨) سقطت من (جـ).

(٩) (أبو عقال المغربى) هو: أبو عقال بن علوان المغربى، كان من مشاهير المشايخ، صحب أبا هارون الأندلسى، ومات فى مكة.
توفى رحمه الله سنه ٢٩١هـ.
وقيل: إن اسمه: أبو عقال، غلبون بن الحسن بن غلبون المغربى، رحل إلى مكة واستقر بالحرم إلى أن مات سنة ٢٩١هـ، كما فى معالم الإيمان ٢/ ١٤٢، هامش نفحات الأنس ص ٢٩١، وانظر الأعلام للزركلى ٥/ ٣١٤.

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ)

(١١) فى (د): (الفرق الثانية).

ومنها: الجمع والتفرقة:

قال الشيخ «أبو على الدقاق»(١) : الفرق ما نُسب إليك، والجمع ما سُلِب عنك.

ومعناه: أن ما يكون كسبًا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق.

وما يكون من قِبَل الحق من إبداء معانٍ، وإسداء لطف وإحسان فهو جمع.

ولا بد للعبد منهما، فإن من لا تفرقة له [لا عبودية] له(٢)، ومن لا جمع له لا معرفة له.

فقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾(٣).

إثبات للتفرقة بإثبات العبودية.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٤).

طلب الجمع.

وإذا خاطب العبد ربَّه بلسان نجواه إمَّا سائلا أو داعيًا أو منيبًا، أو شاكرًا، أو معتذرًا، أو مبتهلاً قام فى مقام التفرقة.

وإذا أصغى بسرِّه إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه ما يناديه به ويعرفه معناه، ويريه إيَّاه، ويلوح لقلبه به فهو مقام الجمع.

[وأنشد(٥) قوَّال بين يدى «أبى سهل الصعلوكى»(٦) :

* جعلت تنزُّهى نظرى إليكا *

وكان «أبو القاسم النصراباذى»(٧) حاضرًا فقال أبو سهل: جعلت (بفتح التاء).

وقال «النصراباذى»: بل بضمّها.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) سقطت من (د)

(٣) الآية رقم (٥) من سورة الفاتحة.

(٤) تابع الآية السابقة.

(٥) من هنا سقط من (جـ).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

فقال له أبو سهل: أليس عين الجمع أتم.

فوافقه النصراباذى.

وهذا ظاهر، لأن معناه مع الفتح أن الله تعالى خصص عبده بذلك، منحة من فضله، وكرمه لا صنع للعبد فيه.

ومعناه: إثبات فعل العبد.

فكان الأول جمعًا، والثانى تفرقةً][1].

[وقال بعضهم: ما يرجع إلى إرادة العبد يُسمى تفرقة][2].

فالجمع: إثبات الحق للعبد شواهد الحقيقة لنفسه[3] لنفى التفرقة بين المراد والمريد بحقائق المكاشفة، وأسرار المشاهدة.

فالتفرقة: بداية[4] الإرادة.

والجمع: نهايتها.

ومن لا مشاهدة له فلا جمع له.

وجمع الجمع مقام آخر أتمّ من الجمع وأعلى.

والجمع شهود الأشياء بالله والتّبرّى من الحول والقوة إلا بالله.

وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية والغنى عمّا سوى الله، فلا يحس بشىء سواه عند غلبة سلطان الحقيقة.

وبعد ذلك مقام عزيز يسمّونه: الفرق الثانى، وهو أن يرد إلى الصحو عند أداء الفرائض فى أوقاتها، فيكون رجوعًا [لله][5] بالله لا للعبد بالعبد.

وقال بعض[6] المحققين: المراد بلفظ الجمع والتفرقة: أن الله تعالى جمع الخلق كلهم فى الأزل[7] وخاطبهم الله[8] بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[9].

---

(١) سقط من (جـ) ما بين المعقوفتين.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٣) فى (جـ): (فى نفسه).

(٤) فى (جـ): (بداءة).

(٥) سقطت من (د).

(٦) فى (جـ) (بعض اصحاب المحققين).

(٧) فى (د): (كلهم فى الأول).

وفى (جـ): (كلهم فى الأحوال فى الأزل).

(٨) سقطت من (جـ).

(٩) الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف مكية.

ثم فرّقهم بالسعادة والشقاوة، والتقريب والإبعاد، والإكرام والإهانة، وأشباه ذلك.

فقال: «هؤلاء فى الجنّة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى»[١].

وقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٢].

[و «للجنيد»[٣] فى معنى الجمع والتفرقة:

وتحــقـقــتك فى سـرى فـناجـاك لســانى
فـاجـتــمعنا لمـعــانٍ وافـتـرقنا لمــعـانى
إن يكن غـيّـبَك التـعظـيمُ عن لحظ عـيـانى
فلقد[٤] صـيّرك الوجـدُ من الأحشـاءِ دانِ][٥]

(١) حديث: (هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى).
انظر الحديث رقم (٩٤) من الأحاديث القدسية ١/ ١٠٠.
(٢) الآية رقم (٧) من سورة الشورى مكية.
(٣) تقدمت ترجمته، وهذه الأبيات للحلاج انظر ديوان الحلاج.
(٤) (قلقط) هكذا هامش (جـ).
(٥) ما بينهما سقط من (ب) ومصحح مقابلة بالهامش.

ومنها: الفناء والبقاء:

فالفناء: سقوط الأوصاف المذمومة.

والبقاء: وجود الأوصاف المحمودة.

فمتى بدّل العبد أوصافه المذمومة بالمحمودة فقد حصل له الفناء والبقاء.

والفناءُ فناءان:

أحدهما: ما ذُكِرَ وهو بكثرة الرياضة.

والثانى: عدم الإحساس بعالم المُلك والملكوت.

وهو بالاستغراق فى عظمة البارى ومشاهدته.

وإليه أشار بعض المشايخ بقوله:

الفقر: سواد الوجه فى الدارين

يعنى: الفناء فى العالمين.

ومنها: الغيبة والحضور:

فالغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق بما يرد عليه من الحق، ثم قد يغيب عن غيره فقط، وقد يغيب عن غيره وعن نفسه، أيضًا، إذا عظم الوارد، ثم قد تطول الغيبة وقد تقصر، وقد تدوم.

واعلم أن العبد له أفعال وأقوال[١] وأحوال.

فالأفعال: تصرفاته الاختيارية.

والأقوال[٢]: طباعه[٣] الفطرية، لكنها تتغير بتبديل العادة على مرور الأيام.

والأحوال: ترد على العبد ابتداء، وصفاؤها بحسب صلاح أعماله، ومتى فنى العبد عن الأفعال والأخلاق والأحوال بزوال إحساسه عن كل ذلك فقد استولى عليه سلطان الحقيقة، فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق.

[ومما[٤] يشهد بصحة وجود الغيبة أنَّا نرى الرجل يدخل على عالِم أو سلطان أو رجل جليل القدر فيذهل عن نفسه، وعن أهل مجلسه، وربما ذهل عن هذا الرئيس أيضًا، حتى إذا سُئِل بعد خروجه من كان عنده فى المجلس وما كان لباسه لم يحفظ ذلك لفرط دهشته وذهوله من الهيبة والإجلال.

وأدل من ذلك وأوضح قضية النسوة اللاتى قَطّعن أيديهن حين شاهدن يوسف، عليه السلام، فإذا كان مشاهدة جمال «يوسف» والاشتغال غيبتهن عن الإحساس بألم القطع لفرط الدهش والذهول بجمال مخلوق مثلهن، مع أنهن أضعف من الرجال خلقًا، وأقل جَلَدًا وصبرًا، فكيف يكون غيبة من شاهد أنوار ذى الجلال والإكرام، وخالق السموات والأرض، فلا غرو أن يصير مستهلكا بكليته فى وجود الحق بغيبته عن كل شىء سواه.

ومن المشهور عن «أبى حفص النيسابورى الحداد»[٥] فى ابتداء حاله أنه سمع قارئًا

---

(١) فى (جـ): (وأخلاق). (٢) فى (د): (الأفعال) وفى (جـ): (الأخلاق).

(٣) فى (جـ): (طباعية).

(٤) من هنا سقط من (جـ).

(٥) (أبو حفص النيسابورى) هو: أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد (وتقدمت ترجمته) كان من قرية يقال لها: كورداباذ على باب مدينة نيسابور، أحد الأئمة والسادة الصوفية مات سنة ٢٦٤هـ. انظر نفحات الأنس للجامى ص ١٧٨، والرسالة القشيرية ص ١٨.

يقرأ آية من القرآن فورد قلبه وارد فغاب عن إحساسه، وأدخل يده وأخرج الحديدة المحماة بأصابعه فرآه تلميذه.

فقال له: يا أستاذ ما هذا؟.

فنظر «أبو حفص» إلى ما كان منه وترك الحرقة، وكان منه ما كان.

ورُوى عن «على بن الحسين»[١] ﷺ أنه كان فى سجوده فوقع فى داره حريق، فلم يحضر من غيبته.

فقيل له فى ذلك، فقال: شغلتنى النار الكبرى عن النار الصغرى][٢].

وأمّا الحضور: فهو حضور العبد بعد غيبته عن الخلق، وذلك باستيلاء[٣] ذكر الحق على قلبه، ودوامه فيه، وقدر حضوره بالحق بقدر غيبته عن الخلق، فإن كان بالكلية كان حضوره كذلك، وإن كان بالقلب فقط كان حضوره كذلك، ثم يكون مكاشفًا فى حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق بها.

وقد يقال: حضر العبد بمعنى عاد من غيبته، وعدم إحساسه بأحوال نفسه، وأحوال الخلق.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حتى هنا سقط من (جـ).

(٣) فى (جـ): (سبب استيلاء).

ومنها: الصحو والسُّكر:

فالصحو: رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته، وزوال إحساسه.

والسُّكْر: غيبته بوارد قوى، فهو أقوى من الغيبة، وأتم منها أيضًا.

لأن الغيبة قد يكون سببها الرغبة، أو الرهبة، أو الخوف، أو الرجاء.

والسُّكْر لا يكون إلا المكاشفة بنعوت[1] الجمال، لأنه طرب الروح وهيام القلب، ولا يكون ذلك إلا لأصحاب الوجد والمشاهدة والوجود لا لأهل الرغبة والرهبة والخوف والرجاء.

ومنهم من قال: إن من السُّكر ما هو أضعف من الغيبة.

وليس بشديد لأن ذلك لا يُسمَّى سُكْرًا.

فالحاصل أن السُّكر هو الغيبة العظيمة.

والغيبة الضعيفة ليست بسكر، بل هى انتشاء[2] وتساكر.

[وأنشدوا فى معنى السُّكْرِ:

فـأسكـرَ القـومَ دوارُ كـأسٍ
وكـان سُكْـرى من المـديرِ

[وقيل][3]:

سُكْرَانِ: سُكْرُ هَوىً، وَسُكْرُ مُدَامَةٍ
فَـمَـتـى يَفِـيـقُ فـتًى بـه سُكْرانِ

وإذا ظهرت رايات سلطان الحق والحقيقة فى عرصات القلوب استوت حال الصاحىَ والسكران فى الفناء والبقاء، فإنهما فانيان بالله تعالى، باقيان فى الحالتين.

إذا طلعَ الصباحُ[4] لـنجمِ راحِ
تساوى فيـه سكران وصاحِ][5]

---

(١) فى (جـ): (بنعت) (٢) فى (جـ): (إنشاء).

(٣) زيادة يقتضيها السياق حتى لا يفهم أن البيتين متصلان، ولا حتى لشاعر واحد.

(٤) سقطت من (د) ويقتضيها السياق.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط كله من (جـ).

ومنها: الذوق والشرب:

وهما قبل الصحو والسكر.

فالذوق: أول مقامات العارف، وهو وجدان لذة الحقيقة.

والشرب: هو السُّكْر المحض بعد الكرع من[1] كأس المشاهدة.

والرِّيّ: نتيجة دوام المواصلة بعد صفاء المعاملة.

* فصاحب الذوق متساكر.

* وصاحب الشرب سكران.

* وصاحب الرِّى صاح.

[قال الإمام القشيرى[2]: مرادهم بالذوق والشرب ما يجدونه من ثمرات التجلى، ونتائج الكشوفات، وبواده الواردات، ومن قوى حبه دام شربه، ولا يؤثر فيه الشرب سكراً لقوة حاله، فيكون صاحيًا بالحق، فانيًا عن كل حظ لا يتأثر بما يرد عليه من الواردات ولا يتغير.

ومن صفا سرُّه لم يكدر عليه الشرب، ومن صار له الشراب غذاء لم يصبر عنه، ولم يبق عنده][3].

واعلم أن الذوق، والشرب، والرِّى، كل ذلك من نتائج التجلى.

فالخواصُّ: لهم دوام التجلى فهو فى كمال الرِّىّ.

ومن دونهم فى رتبة التجلى لهم كمال الشرب.

ومن دونهم لهم كمال الذوق.

ومن دونهم هم العوام، وهم فى غطاء الستر.

[وأنشدوا[4] فى الشرب:

إنَّمــــا الـكأسُ رِضَــــاعٌ بَـيْنَنا

فَـــإذَا امـــا لَمْ تَذُقْــهــا لَــم تَعِش

---

(١) فى (جـ) (فى). (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ) ومصحح بالهامش.

(٤) من هنا سقطت من (جـ) حتى نهاية هذا الفصل.

وقال الآخر:

شَرِبْتُ الحُبَّ كَـأسًا بَعْدَ كَـأْسٍ
فَـمَـا نَفَـدَ الشَّـرَابُ وَلَا رَوِيتُ

وقيل كتب «يحيى بن معاذ الرازى»(١) إلى «بايزيد البسطامى»(٢):

إنّى شربت كأسًا فلم أظمأ بعدها.

فكتب إليه «بايزيد»: عجبت من هذه الحال، فإنى أعرف من شرب بحار الكون ويقول: هل من مزيد.

واعلم أن كاسات رحيق المشاهدة تبدو من الغيب ولا تدار إلا على نفوس مجردة، وأسرار وأرواح عن رق الموجودات مجردة](٣).

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حتى هنا سقط من النسخة (جـ).

ومنها: الستر والتجلى:

فالستر للعوام.

والتجلى للخواص.

والمراد بالستر: قيام الحجب المانعة من المشاهدة.

وصاحب التـجلى يوصف بالخشـوع أبدًا، لقوله ﷺ: «إذا تجلى الله تعـالى بشىء خُشع له»[(١)].

وللخواص أيضًا سترٌ، مع أنهم فى دوام التجلى.

والحالتان فى حقهم متناقضتان لفظًا لا معنًى.

لأن التجلى عبارة عن انكشاف سرادقات الجلال عن كمال الجلال.

والستـر فى حق الخواص: عبارة عـن حفظهم عن التلاشى والاحـتراق وتمكينهم فى مقام الثبات.

إذ لولا ستره عليهم ما كاشفهم[(٢)] به لتلاشوا[(٣)] عند ظهور سلطان الحقيقة.

إذا الخلق لا بقاء لهم عند وجود الحق.

وإلى هذا الستر أشار النبى ﷺ بقوله: «إنه ليغـان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة»[(٤)].

والاستغفار: طلب الغفر وهو الستر.

فمعناه: أنه كان يطلب الستر للثبات والبقاء عند غلبة سلطان الحقيقة.

وإليه أشار أيضًا النبى ﷺ بقوله: «يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبى على دينك»[(٥)].

---

(١) حديث: (إذا تجلى الله تعالى بشىء خُشع له) لم أقف عليه.

(٢) فى (جـ): (ما يكاشفهم).

(٣) فى (د): (لتلاشى).

(٤) حديث: (إنه ليغان على قلبى) سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (جـ): (يا مثبت القلوب ثبت قلبى) والحديث: (يا مـقلب القلوي ثبت قلبى على دينك) رواه الترمذى وحسّنه عن أنس، والحاكم وصححه عن جابر.

انظر الحديث رقم (٣٢١٥) من كشف الخفاء ٢/ ٣٩٠.

[وفى الخبـر: «إن الله تعالى لو كشف عن وجـهه لأحرقت سـبحات وجهـه ما أدرك بصره»(١).

وقيل: إنمـا قال الله تعالى لموسى، عليـه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(٢) ليستر عليه بتلك المشاغلة لمسألة بعض ما كان فيه من دوام التجلى الحاصل بمفاجآة سماع الخطاب الإلهى، ويرده على حالة الثبات والتمكين](٣).

فالحاصل أن الستر للعوام عقوبة، وللخواص رحمة.

وأصحاب الذوق كـعوام هذه الطائفة، فلا جرم أن عيـشهم فى التجلى، وبلاؤهـم فى الستر.

وأما الخـواص فهم بين طيش وعيش: إذا تجـلى لهم طاشوا، وإذا ستـر عليهم رُدوا على الثبات والتمكين فعاشوا.

(١) حديث: (إن الله تعالى لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره).
(٢) الآية رقم (١٧) من سورة طه مكية.
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

ومنها: المحو والإثبات:

فالمحو: رفع أوصاف العادة.

والإثبات: إقامة أوصاف العبادة.

فمن محا[1] عن نفسه وأحواله الخصال المذمومة، وأثبت لها الخصال المحمودة، فهو صاحب محو وإثبات.

وقيل: **المحو:** انسلاخ العارف عن كل وجود غير وجود الحق.

والإثبات: إثبات أحكام العبادة، وهي تصفية الستر عن كدورات الإنسانية.

ثم المحو والإثبات على ثلاثة أقسام:

محو العوام وإثباتهم: وهو محو الزلة عن الظواهر، وإثبات الطاعة عليها، وفيه إثبات المعاملات.

ومحو الخواص وإثباتهم: وهو محو الغفلة عن الضمائر[2]، وإثبات اليقظة فيها، وفيه إثبات المنازلات.

ومحو العارفين وإثباتهم: وهو محو العلة عن السرائر، وإثبات الحق فيها لا غير، وفيه إثبات المواصلات.

وهذا كله محو وإثبات بشرط العبودية.

وحقيقة المحو والإثبات المطلق:

أن المحو: ما ستر الحق ونفاه.

والإثبات: ما أظهره الحق وأبداه[3].

فهما مقصوران[4] على المشيئة.

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[5].

---

(١) في (د)، (جـ): (محى) والصحيح بالألف لأن أصلها واو.

(٢) في (د): (الظاهر).

(٣) في (جـ): (وأبلاه).

(٤) في (د): (وفيهما مقصودان).

(٥) الآية رقم (٣٩) من سورة الرعد مدنية.

قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غيره، ويثبت على ألسنة المريدين ذكره.

والمحق فوق المحو.

لأن المحو يبقى معه أثر، بخلاف المحق فإنه لا يبقى معه أثر بالكلية.

فغاية همَّة القوم المحق.

فهـو: أن يمحقـهم الله تعالى عن مشـاهدتهم، ثم لا يردهم لا يردهم[1] إليهم بعدما محقهم عنهم.

---

(١) مكررة فى (د).

ومنها: المحاضرة ثم المكاشفة ثم المشاهدة[(١)]:

فالأولى هى المحاضرة: وهى حضور القلب [وقد يكون بتواتر البرهان، ثم المكاشفة: وهى حضور][(٢)] بنعوت[(٣)] البيان لا بالنظر فى الدليل.

ثم المشاهدة: وهى وجود الحق من غير بقاء تهمة، فإذا أضحت سماء الحقيقة عن غيوم الستر أشرقت شمس المشاهدة فى بروج المقابلة.

وقال الجنيد[(٤)]: حقيقة المشاهدة: وجود الحق مع فقدانك.

* فصاحب المحاضرة يهديه قلبه.
* وصاحب المكاشفة يدنيه علمه.
* وصاحب المشاهدة تدنيه معرفته.

وقيل: إن المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلوب من الأدناس والأقذار، وخلوصها من الأضداد والأغيار فى مراقبة الجبّار، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وبرد اليقين.

ولهذا قالوا: إن المشاهدة تتولد من المراقبة.

ولم يزد فى بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله «عمرو بن عثمان المكى»[(٥)].

ومعنى ما قاله: أنه بتوالى أنوار التجلى على قلب العارف، من غير أن يتخللها سترٌ وانقطاع، كما لو قدَّرنا اتصال البروق تتصل أضاءت كالليلة الظلماء حتى تصير كالنهار[(٦)].

فكذلك، يضىء قلب العارف باتصال أنوار التجلى حتى يصير دائم النهار غائب الليل.

كما قيل:

لَيلِى بوَجْهِكَ مُشْرِقٌ
وَظَلاَمُهُ فِى النَّاسِ سَارِ

---

(١) فى (جـ) يقول: (على هذا الترتيب).
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د).
(٣) فى (جـ): (بنعت).
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) هذه الجملة مضطربة فى (جـ)، (د) وتم ضبطها، فقد كانت:
(لو قدرنا إيصال البروق يتصل أضاءت الليل الظلماء) هكذا.

فـــالناس فـي سُـــدَفِ الـظلام
وَنَحْـنُ فى ضَـــوْءِ النَّهَـــارِ[١]

وتوهم قوم أن فى المشاهدة تفرقة من حيث أنها مفاعلة، وهو وَهْمٌ منهم[٢]، لأن كل باب المفـاعلة لا يقتضى ذلك وصار كـساتر[٣]، وصادف، ورابط، وغـافر[٤]، وواظب، ونظائره كثيرة.

---

(١) هذا البيتان تكررا فى أبواب الكتاب.

(٢) فى (د): (أنهم منه).

(٣) فى (جـ): (كسارف وشارف).

(٤) فى (د): (عاقر).

ومنها: اللوائح والطوالع واللوامع:

وهى متقاربة فى المعنى لا يكاد يحصل بينهما كثير فرق، وكلها من صفات أصحاب البداية[١] الذين لم يتضح لهم ضياء[٢] شموس المعارف ولم يدم، لكن الله تعالى يؤتى قلوبهم من ذلك رزقها فى كل حين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٣].

كلما أظلمت عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنحت فيها لوائح الكشف، وتلألأت لوامع القرب، وأشرقت طوالع السعد، فتكون أولاً لوائح ثم طوالع.

فاللوائح كالبروق فى سرعة الزوال.

واللوامع أظهر وأثبت من اللوائح، فقد تبقى وقتين أو ثلاثة، لكنها تنقطع.

فأهل اللوامع بين روح، ونوح، وكشف، وستر.

والطوالع أدوم وقتًا وأقوى سلطانًا، وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة.

ثم هذه الثلاثة قد يكون[٤] لها أثر يتعلل به صاحبها ويعيش به فى بركته إلى حين عودها، وقد يذهب عينها فأثرها كأنها لم توجد.

---

(١) فى (جـ): (المبدأة).

(٢) (ضياء) سقطت من (د).

(٣) الآية رقم (٦٢) من سورة مريم مكية.

(٤) فى (جـ): (قد تبقى).

ومنها: البواده والهجوم:

فالبواده: ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة، إمّا موجبًا للفرح أو للترح.

والهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنُّع منك.

وقيل: الهجوم: هى الحال الواردة فجأة.

والبواده: هى الحال الواردة على السكون[١].

واعلم: أن أحوالهم فى البواده والسكون مختلفة، فمنهم من تغيره البواده، ومنهم من يحتملها وتغيره الهواجم، ومنهم من لا يتغير بشىء منها، وهم سادات القوم.

كما قيل:

لا تَهْـتَـدِى نُوَبُ الـزَّمَـانِ إِلَيْـهِمُ
وَلَهُمْ على[٢] الخَطْبِ الجَلِيلِ لَجِامُ

(١) فى (جـ): (على سبيل السكون).

(٢) فى (د): (إلى).

ومنها: التلوين[(١)] والتمكين:

فالتلوين[(٢)]: هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة، وهو الصراط المستقيم.

والتمكين: هو مقام الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم[(٣)].

وإنما سُمُّوا أرباب التلوين[(٤)] لتلوُّنهم وتبدُّل صفاتهم البشرية فى طلب الصراط المستقيم، بخلاف أرباب التمكين، فإنهم ثابتون مستقرون على استقامتهم.

فالتلوين[(٥)]: صفة أرباب الأحوال.

والتمكين: صفة أهل الحقائق[(٦)].

فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقى من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل تمكَّن.

فصاحب التلوين أبدًا فى الزيادة.

وصاحب التمكين وصل واتصل.

وقال المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بها فقد وصلوا.

يريدون بذلك زوال أحكام البشرية، واستيلاء سلطان الحقيقة عليهم.

وقال أبو علىٍّ الدقّاق[(٧)]: كان موسى، عليه السلام، صاحب تلوين[(٨)] لأنه رجع من سماع كلام الله تعالى وطلب الرؤية إلى ستر وجهه، فما[(٩)] أثرت فيه الحال.

ومحمد ﷺ كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب ليلة المعراج لم يؤثر فيه ما شاهده، ولا ما سمعه تلك الليلة.

[وكان يقول: مثال حالهما امرأة العزيز والنسوة.

---

(١) فى (جـ): (التكوين).

(٢) سقطت من (جـ).

(٣) سقط من (د): (المستقيم).

(٤) فى (جـ): (التكوين).

(٥) فى (جـ): (التكوين) أيضًا.

(٦) فى (جـ) (صفة أهل الحقيقة).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) فى (جـ): (التكوين) والناسخ مُصِرٌ على ذلك لدرجة توصله إلى التحريف فى النص، فضلا عن الحذف الكثير الذى تعانى منه هذه النسخة، والسقط الذى يتضح أنه مقصود.

(٩) فى (جـ): (لما).

* فالنسوة لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن ما قلن.

لأنهنّ لم يكنّ فى حبه مقام التمكين.

* وامرأة العزيز كـانت بيوسف أتم بلاءً منهن، فلا يجرى عليها ذلك الـيوم شىء مما جرى على النسوة، ولكونها صاحب تمكين فى حبه][1].

وقال غير «أبى على»[2]: كلاهما صاحب تمكين.

يعنى، موسى ومحمدًا، عليهما الصلاة والسلام.

بمعنى خروجهما عن أوطان البشـرية، لكن لما دخلا فى ولاية الحق والحقيقة، وهى لا منتهى لهـا، كان لهما فيـها سلوك وتلوين يليق بتلك الحال، غـير أن جواذب الحق إلى قلب محمد ﷺ كانت أقوى منها إلى قلب موسى، عليه السلام.

ويدل على هذا النوع من التلوين قـوله ﷺ: «لى مع الله وقت لا يسعنى فـيه ملك مقرب ولا نبى مرسل»[3].

وفى رواية أخرى: «لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى».

أخبر عن وقت مخصوص.

وبهذا استدل[4] من قـال من المشـايخ: إن التمكـين لا يدوم، واستـدل أيضًا بقـوله ﷺ لأصحابه: «لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة»[5].

وقيل: يصح دوام الأحوال كلها [لكن][6] للواصلين.

---

(١) سقط ما بين المعقوفتين من (جـ).

(٢) أى: غير (أبى على الدقاق) وتقدمت ترجمته.

(٣) حديث (لى مع الله وقت لا يسعنى فيه...).

الحديث أورده العجلونى فى كـشف الخفاء، وقال: يقرب منه ما رواه التـرمذى فى شمائله، وابن راهويه فى مسنده، عن على فى حديث: «كان ﷺ إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء».

وذكر: «لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى» انظر الحديث رقم (٢١٥٩) ٢/ ١٧٣ من كشف الخفاء.

(٤) فى (جـ): (ولهذا يتبدل).

(٥) حديث: (لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصـافحتكم الملائكة) لم أقف عليه بلفظه، وإنما أورد السيـوطى: (لو أنكم إذا خرجـتم من عندي تكونون على الحال الذى تكونون عليـه لصافـحتكم الملائكة بطرق المدينة).

وقال السيوطى: رواه أبو يعلى عن أنس ﷺ، الحديث رقم (١٧٥٩٨).

وانظر أيضًا الذى بعده حديث رقم (١٧٥٩٩) ٥/ ٣٨٤.

(٦) (لكن) سقطت من (د).

وخطاب النبى ﷺ بما ذكروه إنما كان على قدر فهم المخاطبين، وبحسب أحوالهم.

وأمَّا المسلوب عن نفسه وإحساسه بالكلية فهو من المحو المحض، فلا تلوين له، ولا تمكين، ولا حال، ولا تشريف، ولا تكليف ما دامت به تلك[١] الغيبة، إلا أنه قد يصدر منه فعل يظن أنه متصرف به، وهو فى التحقيق غير[٢] متصرف به.

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾[٣].

ثم قيل: صاحب البرهان والنظر هو صاحب علم اليقين فى أول مقام التلوين.

وصاحب عين اليقين فى أوسطه[٤].

وصاحب حق اليقين فى آخره.

وهو أول مقام التمكين، ولا آخر لمقام التمكين.

قالوا: ولعل الخليل، عليه السلام، كان صاحب علم اليقين[٥]، فكان فى أول مقام التلوين، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٦]، إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧].

---

(١) (به) سقطت من (د) و (الك سقطت من (جـ).

(٢) سقطت من (جـ).

(٣) الآية رقم (١٨) من سورة الكهف مكية.

(٤) فى (د) (واسطه).

(٥) غير واضحة فى (جـ).

(٦) الآية رقم (٧٥) من سورة الأنعام مكية.

(٧) الآيات حتى (٧٩) من سورة الأنعام مكية من (٧٥ - ٧٩).

ومنها: القرب والبعد:

فالقرب: أول مراتبه[١] القرب من طاعته، وشغل الأوقات بعبادته.

والبعد: أول مراتبه التدنس بمخالفته، والإعراض عن طاعته.

فقرب العبد من الله بالإيمان والإحسان، وقرب الله من العبد بما يحضر به في الدنيا من العرفان، وفي الآخرة من الشهود والعيان، لا بالمسافة، تعالى الله عن ذلك، ولا يقرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق.

والقرب من صفات القلوب دون الأجسام، وقرب الله بالعلم وبالقدرة عامٌّ في حق الكل، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين وبخصائص الأنس خاص[٢] بالأولياء.

وقال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[٤].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٥].

والفرق بين القرب والحضور: أن القرب يكون بالطاعة والعبادة الدائمة، والحضور هو الحضور مع الله تعالى بصرف كليته إلى ذكره.

ورؤيته حجاب عن القرب[٦]، فمن شاهد لنفسه محلا أو خطرًا فهو ممكور[٧] به، ولهذا قالوا: أوحشك الله من قربه.

أي: من شهودك لقربه.

---

(١) في (د): (مرتبة).

(٢) في (د): (بالمؤمنين بالأولياء).

(٣) الآية رقم (١٦) من سورة ق مكية.

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الواقعة مكية.

(٥) الآية رقم (١٨٦) من سورة البقرة مدنية.

(٦) في (جـ): (ورؤية القرب حجاب عن القرب).

(٧) في (د): (ملوم).

ومنها: الشريعة والحقيقة:

فالشريعة: أمر بالتزام العبودية.

والحقيقة: مشاهدة الربوبية.

فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة.

وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة، أيضًا.

والشريعة: أن تعبده.

والحقيقة: أن تشهده.

والشريعة: قيام بما أمر الله تعالى[1]

والحقيقة: شهود لما قضى، وقدر، وأخفى وأظهر.

---

(١) سقطت من (جـ).

ومنها: النَّفَس:

وهو ترويح القلب بلطـائف الغيـوب، كـالوقت والحال، إلا أن صـاحب[١] الأوقات يبتدى[٢] فى تحصيل أمداد ألطاف الغيب.

وصاحب الأنفـاس منتهٍ فى راحـة القلب بعجائب الغـيب وغرائب الأنس من مـعاهد القدس.

وصاحب الأحوال متوسط بينهما.

فالأوقات: لأصحاب القلوب[٣].

والأحوال: لأرباب الأرواح[٤].

والأنفاس: لأهل السرائر.

وقالوا: أفضل العبادات عدُّ الأنفاس مع الله تعالى.

وقال الأستاذ «أبو علىٍّ الدقّاق»[٥]: العارف لا يسلم [فى راحة قلب، لأنه لا يسامح، والمحب يسلم][٦]، لأنه لو لم يسامح بالنفس لتلاشى احتراقًا لعدم طاقته.

فعليك أيُّها العارف بعدِّ الأنفاس والأحوال والأوقات مع الله، فى الله، بالله، من الله.

---

(١) هنا فى (د): (صاحب الحال) وهى تحريف، والمقصـود، طبعًا: صاحب الأوقات، أو صاحب الوقت، انظر الرسالة القشيرية ص ٤٥.

(٢) فى (جـ): (مبتدى).

(٣) فى (د): (لصاحب).

(٤) فى (د): (لصاحب الروح).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (جـ).

ومنها: الخواطر الواردة على الضمائر[١]:

وهى خطاب يرد على الضمائر[٢] فقد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، وقد يكون من أحاديث النفس، وقد يكون من الله تعالى.

فالأول: إلهام.

والثانى: الوسواس.

والثالث: الهواجس.

والرابع: الخاطر الحق.

* **فعلامة الإلهام:** موافقته للعلم.

* **وعلامة الوسواس:** ندبه للمعاصى[٣].

* **وعلامة الهاجس:** ندبه[٤] إلى اتباع الشهوات وحظوظ النفس، وأجمع له المشايخ على إن كان قُوتُه من الحرام لم يفرِّق بين الإلهام والوسوسة.

وأجمعوا على أن الخواطر المذمومة محلها النفس.

والخواطر المحمودة محلها القلب.

وأن النفس لا تصدق أبداً.

والقلب لا يكذب أبداً.

وقال «الجنيد»[٥]: الفرق بين هواجس النفس، ووسواس الشيطان: أن النفس إذا طالبت بشىء ألحَّت فى طلبه[٦] حتى يوجد لا محالة.

اللهم إلا أن يكون صاحبها صادق المجاهدة فيردها عن ذلك بصدق مجاهدته[٧].

وأمَّا الشيطان إذا دعا[٨] إلى زلة فلم يوافق عليها تركها ودعا إلى أخرى، لأن الكل عنده سواء من حيث إنه معصية ومخالفة.

---

(١) فى (د): (الظاهر).
(٢) فى (د): (الظاهر).
(٣) فى (جـ): (على المعاصى).
(٤) فى (د): (الهواجس ندبها).
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) فى (د): (بطلبه).
(٧) فى (د): (مجاهدتها).
(٨) فى (جـ): (دعى) وقد توحى بأنها (دُعى) وهنا الطامة الكبرى، لو فهمت هكذا فالصحيح أنه (يدعو): لا (يُدعى) لعنه الله، ومن هنا تبدو أهمية التدقيق فى الألفاظ لأن (دعا) أصلها (واو).

فإن ورد على الإنسان خاطران متغايران.

قال الجنيد: الأول أقوى.

وقال ابن عطاء(١) : الثانى أقوى.

وقال «عبد الله بن خفيف»(٢): هما سواء، لأن كليهما(٣) من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر.

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) فى (د): (كلاهما).

ومنها: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين:

وكلُّها عبارات عن علوم جليَّة:

فاليقين: العلم الذى لا شك فيه، ولا يوصف به سبحانه وتعالى لعدم التوفيق.

وهو(١) فى اللغة بمعنى واحد.

وفى اصطلاح أهل الطريق، قد ذكرنا الفرق بينهما فى باب اليقين.

وقال الإمام القشيرى(٢):

علم اليقين: ما كان بشرط البرهان.

وعين اليقين: ما كان بشرط لحكم البيان.

وحق اليقين: ما كان بنعت العيان.

فعلم اليقين: لأرباب العقول.

وعن اليقين: لأصحاب العلوم.

وحق اليقين: لأصحاب المعارف.

---

(١) فى (جـ): (وهى).

(٢) تقدمت ترجمته.

ومنها: الواردات:

وهى جمع واردة.

والوارد: ما يرد على القلب من الخـواطر المحمودة مـما لا يكون بتعليم العـبد، وقد يكون الوارد لا من قِبَل الخاطر، بل من قبل العلم، أو من قِبَل الحق، فالواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه.

والوارد، أيضًا: ما يرد على القلب من سرور أو حزن، أو قبض، أو بسط، أو نحوها.

ومنها: الشاهد[(١)]:

وهو[(٢)] عبارة عن الحاضر.

وفى اصطلاح القوم: عبارة عمّا كان حاضراً فى قلب الإنسان وغلب بعليه ذكره، حتى كانه يراه ويبصره.

فإن كان الغالب عليه[(٣)] العلم فهو شاهد العلم.

وإن كان الغالب عليه الوجد فهو شاهد الوجد.

وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق.

فكل ما كان[(٤)] عليك ذكره فهو شاهدك.

وقيل: مرادهم بالشاهد من يشاهد ما فى القلب.

فالحبيب شاهد قلب المحب، أى: حاضر قلبه كأن يراه عيانًا ويشاهد ما فيه، وإن كان غائبًا عنه، وهو كالقول الأول فى المعنى.

وسُئِل «الشبلى»[(٥)] عن المشاهدة فقال: من أين لنا بمشاهدة الحق، إنما لنا شاهد الحق.

أراد بذلك ذكر الحق المستولى على قلبه الغالب عليه.

وقال بعضهم: إنما سُمِّى الشاهد شاهداً من الشهادة، وإذا تجلى للإنسان جمال شخص، فإن كانت بشرية الرائى ساقطة عنه لم يشغله جمال ذلك المرئى عن حاله، ولم يؤثر فيه صحبته شيئًا.

بوجه من الوجوه، فيكون هذا المرئى مشاهداً للرائى على فناء نفسه، ومن أثَّر فيه كان شاهداً عليه فى بقاء نفسه، وقيامه بأحكام بشريته[(٦)].

وعلى هذا حمل قوله ﷺ: «رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة»[(٧)]،

---

(١) فى (جـ): (ومنها لفظ الشاهد). (٢) فى (جـ): (وهو فى اللغة).

(٣) فى (جـ): (على قلبه).

(٤) فى (جـ): (فكل ما غلب) وفى (د): (فكلما).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) فى (د): (بشرية).

(٧) حديث: (رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة).

رأيتـها تلك الليلة، ولـم تشغلنى رؤيتـه، بل رأيت المـصور فى الصـورة والمنشئ[١] فى الإنشاء.

قال الإمام القشيرى[٢]: أراد به رؤية العلم لا الإدراك البصرى[٣].

(١) فى (د): (النش).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) فى (جـ): (لا إدراك البصر).

ومنها: النفس والروح:

وقد ذكرنا تعريفهما فيما سبق.

والذى نريده هنا أن النفس التى هى عندهم ما كان معلولاً ومذموماً من أوصاف العبد وأخلاقه، كالكبر، والغضب، والحسد، والحقد، والبخل، وقلة الاحتمال، وما أشبه ذلك، قابل للزوال بالمجاهدة وتعويد [النفس][1] خلاف ذلك.

وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمًا أن لها استحقاق قدر، وتعظيم وتبجيل، ولهذا عُدَّ ذلك من الشرك الخفى.

ومعالجة الأخلاق بترك النفس وكسرها، من مقاساة الجوع والعطش وغيرهما من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضًا من جملة ما تكسر به النفس.

وأمَّا الروح: فقد سبق تسطير ما خطر لنا فى ذكرها.

---

(١) فى (د) ساقطة.

ومنها: السـر:

وهو عندهم لطيفة مودعة فى القلب[١] كالروح، وهو محلٌّ المشاهدة، كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة.

وقالوا: السرُّ: ما لك إشراف[٢] عليه، وسرُّ السرِّ: ما لا يطّلع عليه إلا الله.

والسر عندهم لطف من الروح.

ويقولون: الأسرار معتقة[٣] عن رق الأغيار[٤] من الآثار[٥] والأطلال.

ويطلق لفظ السر، أيضًا، على ما يكون مصونًا بين العبد وربِّه من الأحوال.

يقال: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وهو آخر ما قصدنا إيداعه فى هذا المختصر.

فنسأل[٦] الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، أن ينفعنا بالعلم، ويوفقنا بالعمل به[٧]، ويرزقنا فى العلم[٨] والعمل والصدق والإخلاص، وابتغاء وجهه[٩] الكريم، ويقطع عنا العلائق والعوائق، ويكشف الحجب الحائلة بيننا وبين حقيقة معرفته[١٠]: أنفسنا، بمنّه ولطفه وجوده وكرمه[١١].

والله أعلم بالصواب

---

(١) فى (د): (فى القالب).
(٢) فى (جـ): (إشراق).
(٣) فى (جـ): (معتقده).
(٤) فى (د)، (جـ): (الأعيان).
(٥) فى (د): (الأسرار).
(٦) فى (جـ): (فسأل).
(٧) (به) من (جـ).
(٨) فى (د): (بالعلم).
(٩) فى (د): (وجه).
(١٠) من (جـ)
(١١) فى خاتمة (جـ): (الحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد وآله أجمعين، برحمك يا أرحم الراحمين تمت بعون الله).
ثم أسفل الصفحة.
وفات مغفور [هكذا] أبى حنيفة (رحمة الله عليه) ببغداد، فى رجب سنة خمس ومائة، وهو يومئذ ابن سبعين سنة.
وفات القاضى أبى يوسف (رحمة الله عليه) فى سنة اثنين وثمانين ومائة.
ومات مرجوم محمد بن الحسن الشيبانى (رحمة الله عليه) فى سنة سبع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

تم الكتاب حدائق الحقائق
بعون رب المغارب والمشارق
وهو كتاب مشحون بالرقاق
مملوء بالدقائق

مجموعة الفهارس :

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأشعار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس المراجع التى أعانت على التحقيق.

٦- فهرس المحتوى.

١ - فهرس الآيات القرآنية :

١٠- سورة يونس

١١- سورة هود

١٢- سورة يوسف

٢ - فهرس الأحاديث النبوية :

حرف اللام

حرف الميم

رقم الصفحة	البيت أو الأبيات
٨٧	فـالجـسم منى للجليس مـؤانس وحـبـيب قلبى فـى الفـؤاد جليـسى
	قافية الشين
٢٧٦	سُلْطَانُ حُبّه أنـا لا أقْبَلُ الرِّشَـا فاسألُوهُ فِدَيْتُـه لِمَ يَقْتُلنى تَحَرُّشَا
٣١٠	إنَّمـا الـكَاسُ رِضَـاعُ بَيْنَنا فَـإِذَا امـا لَمْ تَذُقْـهـا لَم تَعِش
	قافية العين
٢٣٩	إنْ كُـنْـتَ تُـنْـكِـرُ لـلألْـ ـحَـانِ فَـائِدَةً وَنَفْـعًـا فَـانْظُـر إلَى الإبِـلِ اللّـوَا تِى هُـنَّ أغْلَظُ مِنْـكَ طَبْـعًـا يَخْـلو لَهَـا نَغَمُ الحِـداءِ فَـتَـقْطَعُ الْبَيْـداءَ قَطْعًـا
	قافية الفاء
٨٠	لا تيـأسنَّ فـإن الإله رحـيم رءوف ولا ترحلن بلا عُدّةٍ فإن الطـريق مخـوف

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
قافية الكاف	
كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمِعَتْ فِى أنْ يَرَاكَ	
وَمَا حَسْبُ العَيْنِ أنْ ترَى قَدْرَكَا	٢٧٦
جعلت تنزهى نظرى إليكا	٣٠٣
قافية اللام	
قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّى	
وبِذَا سُمِّىَ الخَلِيلُ خَلِيلا	٢٢٧
أنْتَ هَمِّى وَهِمَّتِى وَحَدِيثِى	
ورُقَادِى إذَا أرَدْتُ مُقِيلا	٢٢٨
لو لم تُحل مَا سُمِّيتْ حَالا	
وكُلُّ مَا حَالا فَقَدْ زَالا	
انظُرْ إلى الفَىء إذَا مَا انْتَهى	
يَأخُذُ فِى النَّقْصِ إذَا طَالاَ	٢٩٤
قافية الميم	
لا تَهْتَدِى نُوَبُ الزَّمَانِ إلَيْهِمُ	
ولَهُمْ على الخَطْبِ الجَلِيلِ لَجِامُ	٣١٩
أنام على سهر وتبكى الحمائم	
وليس لها جرم ومنى الجرائم	٨٣

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
قافية النون	
وَكُنَّا عَلَى ألاَّ نَحُولَ عَنِ الهَوَى فَقُلْ وَحَيَاةُ الحُبُّ حُلْتُمْ وَمَا حُلْنا لَعَلَّ الَّذِى يَقْضِى الأُمُورَ بِعِلْمِهِ سَيَجْمَعُنا بَعْدَ المَمَاتِ كَمَا كُنَّا	٢٧٣
ذكَرتُكَ لاَ إنِّى نَسِيتُكَ لَمْحَةً وَأَيْسَرُ مَا فِى الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِى فَلَمَّا رَآنِى الوَجْدُ أنَّك حَاضِرِى شَهِدتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تكلُّمٍ وَلاَحَظْتُ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عِيَانِى	١٨٧
إذَا استُنْجِدُوا لَمْ يَسْألُوا مَنْ دَعَاهُمُ لأيَّةِ حَرْبٍ أَوْ لأَىِّ مَكَانِ	٢٢٣
سُكْرَانِ: سُكْرُ هَوىً، وَسُكْرُ مُدَامَةٍ فَمَتَى يَفِيقُ فَتًى به سُكْرَانِ	٣٠٩
وكالسيف إن لايَنْتَه لاَنَ مَتْنُهُ وحدَّاه إنْ خاشَنْته خَشِنَانِ	٢٩٢

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
وتحــقـقــتك فى ســرى فــناجــاك لســانى فــاجــتــمــعنا لمــعــانٍ وافــتــرقنا لمــعــانى إن يكن غــيَّــبك التــعظيمُ عن لحــظ عــيــانى فلقـــد صــيّــرك الوجــدُ من الأحــشــاءِ دانِ	٣٠٥

٤ - فهرس الأعلام:

حرف الهمزة

حرف الألف

حرف البـــــاء

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

٥- فهرس المصادر والمراجع
التي أعانت التحقيق :

١- آثار البلاد وأخبار العباد	زكريا بن محمد القزوينى طبعة: دار صادر ـ بيروت
٢- الأحاديث القدسية	طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة.
٣- إحياء علوم الدين	للإمام الغزالى تحقيق د/ بدوى طبانة. طبعة: دار البيان العربى ـ مصر.
٤- الإرشادات الربانية فى شرح همزية الإمام البوصيرى	من فيض القطب الأكبر سيدى أحمد التجانى (خاتم الأولياء) ﵁. جمعها سيدى: على حرازم برادة. طبعة مكتبة القاهرة ـ الصنادقية ـ الأزهر ـ مصر
٤- الإصابة فى تمييز الصحابة	لابن حجر العسقلانى طبعة: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
٥- أعذب المسالك المحمودية	للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى بتحقيقنا.
٦- الأعلام	خير الدين الزركلى
٧- الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل	للامام عبد الكريم الجيلى ـ بدون تحقيق.
٨- البداية والنهاية.	لابن كثير ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة.
٩- تاريخ الأدب العربى	ـ بروكلمان ـ الطبعة العربية ترجمة وإشراف/ د: فهمى حجازى، وآخرين. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٠- تاريخ التراث العربى	للتركى فؤاد سزكين (المقيم بألمانيا). ترجمة أ. د/ محمود فهمى حجازى وآخرين.

طبعة: السعودية جامعة محمد بن سعود، وطبعة القاهرة ٢ جزء ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١- تاريخ الثقات العجلى ـ طبع بيروت

١٢- التجريد الصريح لأحاديث البخارى الصحيح الامام الزبيدى

١٣- تذكرة الحفاظ للامام الذهبى طبع بيروت ـ دار الكتب العلمية.

١٤- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ـ طبع القاهرة

١٥- تهذيب الكمال لجمال الدين المزّى ـ طبع بيروت ـ دار الفكر.

١٦- جامع كرامات الأولياء يوسف النبهانى، طبع بيروت.

١٧- الجامع الصغير للسيوطى ـ طبع القاهرة ١٩٦٤ مطبعة المشهد الحسينى.

١٨- جمع الوسائل فى شرح الشمائل ملا على القارى ـ بدون تحقيق ـ طبع بيروت

١٩- جوامع الكَلِم من أحاديث سيد العرب والعجم تأليف الإمام العامل صلاح الدين التجانى الحسنى طبع: الهيئة المصرية العامة لكتاب ـ سلسلة التراث

٢٠- جواهر المعانى من فيض سيدى أحمد التجانى وهو الامام العالم العالم والقطب الراسخ وخاتم الأولياء. جمع القطب الكبير سيدى على حرازم برادة. طبع: مكتبة الكليات الأزهرية.

٢١- حلية الأولياء للامام أبو نعيم الأصفهانى

٢٢- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى طبع: دار الفكر، والمكتبة التجارية

٢٣- دلائل النبوة للبيهقى ـ طبع: دار الريان للتراث

٢٤- ديوان ابن الفارضى — عمر بن الفارضى
طبع المكتبة الثقافية بيروت

٢٥- الرسالة القشيرية — للإمام: أبو القاسم القشيرى
طبع عيسى البابى الحلبى.

٢٦- رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال — للامام عبد الرزاق القاشانى بتحقيقنا
طبع المكتبة الأزهرية للتراث

٢٧- السيدة عائشة رضي الله عنها وتوثيقها للسنة — د/ جيهان رفعت فوزى ـ طبع مطبعة ومكتبة الخانجى مصر

٢٨- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح — شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبى
طبع المكتبة التجارية: مكة

٢٩- شرح المواقف للنفرى — عفيف الدين التلمسانى
تحقيق أ د/ جمال الدين المرزوقى
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ـ سلسلة التراث.

٣٠- شعب الإيمان — الإمام البيهقى
تحقيق محمد السعيد زغلول
طبع: بيروت لبنان.

٣١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ — للامام القاضى عياض ـ بتحقيقنا
طبع هشام على حافظ (طبعة خاصة)

٣٢- صفة الصفوة — أبو الفرج ابن بالجوزى

٣٣- طبقات الصوفية — أبو عبد الرحمن السلمى
طبع مكتبة الخانجى القاهرة ـ مصر.

٣٤- الطبقات الكبرى — الامام الشعرانى
المكتبة التوفيقية ـ ميدان سيدنا الحسين.

٣٥- طبقات المفسرين — شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ـ طبع: دار الكتب العلمية

٣٦- الفتوحات المكية — للعالم العارف الكبير محيى الدين بن عربى
طبع دار صادر بيروت لبنان

٣٧- قوت القلوب فى معاملة المحبوب — لأبى طالب المكى
طبع المثنى القاهرة

٣٨- كتاب العظمة — أبو الشيخ
مكتبة ابن سينا ـ القاهرة

٣٩- كتاب الوفيات — لابن قنفد القسنطينى
تحقيق: عادل نويهض
طبع: دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان.

٤٠- كشاف اصطلاحات الفنون — محمد على الفاروقى التهانوى
ترجمة د/ عبد النعيم محمد حسنين.
دار الكتاب العربى ـ مصر.

٤١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس — للعجلونى
طبع القاهرة

٤٢- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون — حاجى خليفة

٤٣- كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم — سماحة الإمام: صلاح الدين التجانى الحسنى
طبع: دار التيسير للطبع والنشر

٤٤- الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية — للامام عبد الكريم الجيلى ـ بتحقيقنا
طبع مطبعة ومكتبة عالم الفكر ميدان سيدنا الحسين القاهرة

٤٥- الكنز فى المسائل الصوفية — سماحة الامام: صلاح الدين التجانى الحسنى
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة التراث

٤٦- الكواكب الدرية — عبد الرؤوف المناوى

تحقيق دكتور عبد الحميد حمدان
طبع المكتبة الأزهرية للتراث.

٤٧- لسان العرب — جمال الدين ابن منظور
طبع دار المعارف بالقاهرة ـ مصر
تحقيق لجنة

٤٨- لطائف الإعلام (معجم الاصطلاحات والإشارات الصوفية) — للقاشانى: عبد الرزاق، بتحقيقنا
طبع: دار الكتب المصرية ـ القاهرة

٤٩- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخارى ومسلم) — جمع وتأليف: محمد فؤاد عبد الباقى
طبع دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر

٥٠- مؤلفات ابن عربى — تأليف دكتور/ عثمان يحيى
ترجمة د/ أحمد محمد الطيب
طبع دار الهداية ـ القاهرة ـ مصر

٥١- مختصر دول الإسلام: للذهبى. — تحقيق محمد فهيم شلتوت
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٢- مدارج السالكين — ابن قيم الجوزية
طبع دار الحديث ـ القاهرة

٥٣- مروج الذهب — للمسعودى

٥٤- مشكاة الأنوار — للغزالى
تحقيق د/ أبو العلا عفيفى
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٥- المعارف — تأليف ابن قتيبة
تحقيق: دكتور ثروت عكاشة
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٦- معجم المؤلفين — تأليف: عمر رضا كحالة
طبع: دار إحياء التراث بالعربى بيروت
مكتبة المثنى

٥٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحدبث النبوى — مجموعة من العلماء ونسك ـ بروخمان
مطبعة بريل ١٩٦٧

٥٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبد الباقى
طبع دار الحديث القاهرة

٥٩- المغنى عن حمل الأسفار — للحافظ زين الدين العراقى
على هامش الإحياء
طبع دار البيان العربى ـ القاهرة

٦٠- منارات السائرين — أبو بكر الرازى ـ بتحقيقنا
الطبعة الثانية الهيئة العامة للكتاب
سلسلة التراث ـ القاهرة

٦١- منازل السائرين — الهروى الأنصارى
دار الكتب العلمية بيروت

٦٢- مناقب عمر بن الخطاب — أبو الفرج ابن الجوزى
تخقيق دكتور على عمر
طبع مكتبة الخانجى ـ مصر

٦٣- موسوعة أبو بكر بن أبى الدنيا — ٥ مجلد فى مجموعة من مؤلفاته
طبع بيروت

٦٤- موطأ الإمام مالك — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة ـ مصر

٦٥- النجوم الزاهرة ـ لابن تغرى بردى — الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ مصر

٦٦- نهاية الأرب — للنويرى ـ الهيئة العامة للكتاب

٦٧- نوادر الأصول — الحكيم الترمذى

٦٨- هدية العارفين — إسماعيل باشا البغدادى

فهرس كتاب حدائق الحقائق

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع | الصفحة

الموضـــــــوع	صفحة
- ذكر باللسان فى غفلة القلب	١٨٥
- ذكر باللسان مع حضور القلب	١٨٥
- ذكر بجميع الجوارح والأعضاء	١٨٥
الباب الأربعون: فى الشكر	١٨٩
- الشكر عند المحققين	١٨٩
- الشكر نوعان:	١٩٠
شكر باللسان، شكر بالقلب	١٩٠
- منازل الشكر ثلاث	١٩١
الباب الحادى والأربعون: فى الدعاء	١٩٥
الباب الثانى والأربعون: فى الإرادة	٢٠١
- فى اصطلاح أهل الحقيقة	٢٠١
- المريد	٢٠١
- فى اللغة - عند أهل الحقيقة	٢٠١
الباب الثالث والأربعون: فى التوحيد	٢٠٥
- فى اللغة	٢٠٥
- عند أهل الحقيقة	٢٠٥
- للتوحيد عبارة ومعنى	٢٠٦
الباب الرابع والأربعون: فى المراقبة	٢٠٩
- فى اللغة	٢٠٩
- عند أهل الحقيقة	٢٠٩
الباب الخامس والأربعون: فى الاستقامة	٢١١
- فى اللغة	٢١١
- عند أهل الحقيقة	٢١١
- مدارج الاستقامة	٢١٢
الباب السادس والأربعون: فى الولاية	٢١٣
- فى اللغة	٢١٣
- عند أهل الحقيقة	٢١٣

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر

ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧